مبادئ إنسانية

نعيم عاطف

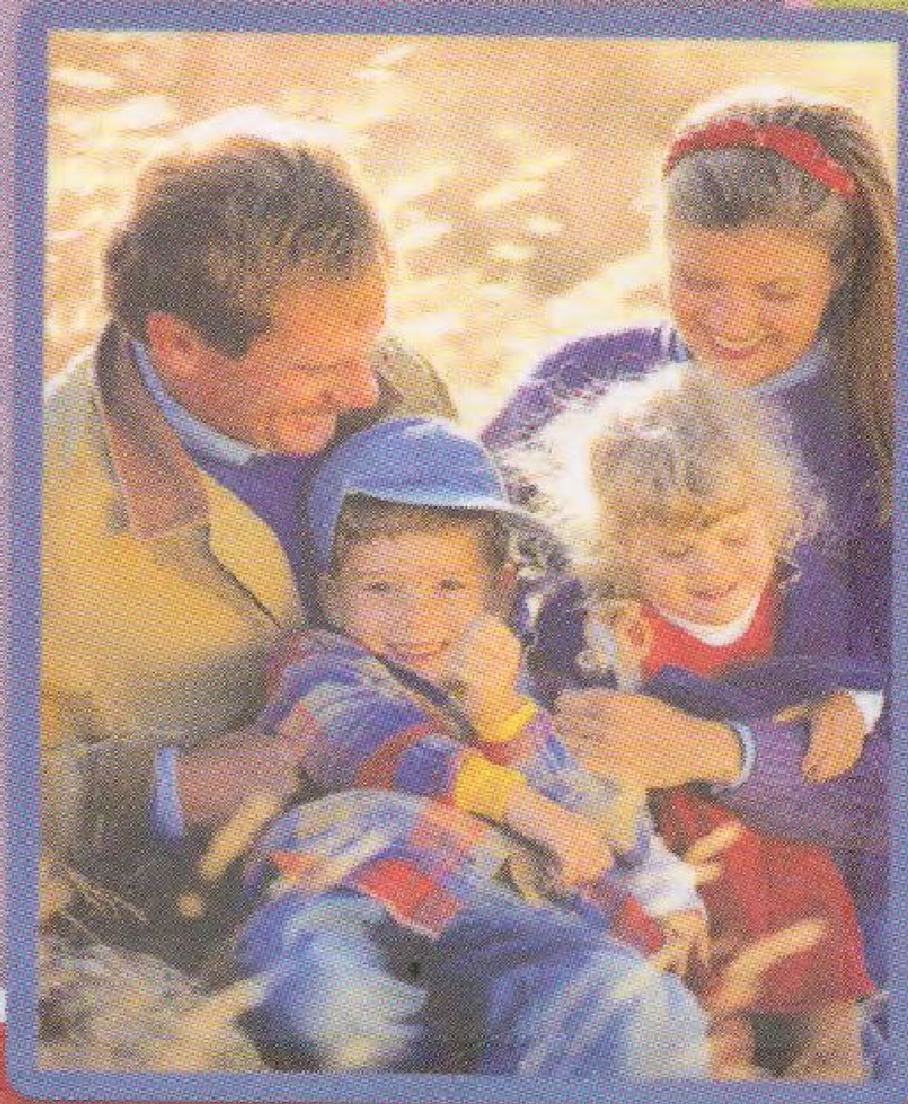
جزء ١

الحب و الزواج و الأبناء و الأسرة









إعداد
سمير سوانى

تقديم
د. آمال توفيق

مبــادئ إنسانيــة   الجزء الأول

نعيم عاطف

الحب .. والزواج ..

والأبناء .. والأسرة ..

تقديم

الدكتورة آمال توفيق

إعداد

سمير سوانى

اسم الكتـــاب : مـــــبـــــادئ إنــســانــيـــــــة

الجـــزء الأول : الحب .. والزواج .. والأبناء .. والأسرة ..

المؤلــــــــف : نـعـيـــم عـــاطـــــف - القاهـــرة

إعـــــــداد : ســمــيـــر سـوانـــــى - القاهـــرة

الناشـــــر : ســمــيـــر سـوانـــــى - القاهـــرة

تصميم الغلاف : مـعـتـصــــم مـخـلــــــوف

الجمع والتنفيذ : مؤسسة بيتر للطباعة والتوريـــــدات

١ ش جمعية الشباب – عين شمس الشرقية (ت : ٢٤٩٠١٠٦٥)

www.peterprintes.com

E-mail : mail@print1979.com

رقم الإيداع : ٢٠٠٩ / ٧٩٤٠

تليفون : ٢٥٧٧٦٩٦٩

محمول : ٠١٢٨٨٢٠٠٨٧

E-mail : samir.sawany@yahoo.com

تقديم

للدكتورة آمال توفيق

فى منتصف سبعينيات القرن الماضى ، تركتُ عملى بالتليفزيون ، كرئيسة تحرير بقطاع الأخبار ، للمشاركة فى تأسيس مجلة ثقافية للشباب العربى **" مجلة هو وهى "** . وحققت تلك المجلة - التى رأست تحريرها قرابة خمسة وعشرين عاماً - إنتشاراً واسعاً على إمتداد العالم العربى .

ولما كانت المجلة ذات طابع روحى ، فقد سعت منذ مولدها إلى ترسيخ القيم الثقافية والأخلاقية والحياتية فى قلوب الناشئة ، دون الدخول فى الأطر السياسية ، أو التوجهات الطائفية . فقدمت المجلة فناً راقياً ، وأدباً نظيفاً ، وترفعت عن المعالجات السطحية ، وإبتعدت عن التوجيه المباشر ، مما حقق لها جمهوراً من المحبين والمريدين ، الذين تتلمذوا فى مدرستها ، وتعلموا منهجها ، فترسخت فى أعماقهم القيم والمبادئ السامية ، فكانت سبباً فى تحولات واضحة فى مسار حياتهم العملية .

وكان باب **" مبادئ إنسانية "** واحداً من أقرب الأبواب لقلوب القراء ، الذين طالما كتبوا لنا معبرين عن إستفادتهم بمحتواه ، فإستمر باباً ثابتاً ينتظره ويتابعه آلاف القراء .فلم يكن يتناول المبادئ من مداخل وعظية متعالية أو توجيهية مترفعة ، بل يتناولها فى روح التأمل والخشوع ، ومن منطلقات إنسانية حية وصادقة وعملية . وبالرغم من تباين الموضوعات وإختلافاتها ، فقد ظلت ذات نسق واضح ، يتمازج فيه الواقع المادى مع التوجه الروحى . وينتهى إلى ترديد صرخة إنسانية يتوجه بها الكاتب والقارئ معاً لإستلهام المعونة الإلهية والقدرة العلوية لتحقيق حياة إنسانية متناسقة ومتصالحة مع ما حولها من معطيات .

وكثيراً ما تلقينا رغبات من القراء والناشرين فى تجميع هذه المقالات وتصنيفها للإحتفاظ بها والإستفادة منها ، غير أن ذلك تعذر على مدى السنوات الماضية - لظروف خارجة عن إرادتنا . وها قد جاء اليوم لنشرها .

ونود أن نذكر أن كاتب هذه المقالات لم يأخذ عنها أجراً مادياً ، بل ظل يكتب متطوعاً على مدى ربع قرن من الزمان . وهو اليوم أيضاً يتنازل للناشر عن أية حقوق مادية أو أدبية ، وكل ما يرجوه أن تساهم هذه الكلمات فى تشجيع القارئ وتوجيهه لما فيه خيره ومستقبله .

د . آمال توفيق

تمهيد

فى مرات كثيرة نسمع من يقول : " **فلان شخص صاحب مبادئ !** " ، أو " **فلان شخص ليس له مبدأ !** " . وهذه الكلمات قد يوصف بها شخص متعلم أو جاهل ، فقير أو غنى ، متدين أو ملحد ، عبقرى أو متخلف .

- **فما هو المبدأ ؟**
- **هل المبادئ هى المثاليات والقيم العليا والإفتراضات المستحيلة ؟**
- **هل هى قائمة بالوصايا القديمة المستخلصة من كتب الحكمة ؟**
- **وكيف تتشكل فى داخلنا المبادئ الحياتية ؟**
- **ومن هو صاحب المبادئ ؟**
- **وهل يتحتم أن تكون لنا مبادئ نتمسك بها ولا نفرّط فيها ؟**
- **وهل تؤثر مبادئى فى حياتى وعلاقاتى ومستقبلى ومصيرى ؟**
- **هل الإلتزام بالمبدأ أمر صعب أم مستحيل أم ممكن ؟**
- **أليس التمسك بالمبادئ قيداً يقلل فرص التقدم الحر فى شارع الحياة ؟**
- **ألا يقودنا التمسك بالمبدأ إلى التعصب وضيق الأفق أحياناً ؟**
- **كيف أكون صاحب مبدأ ملتزماً وناجحاً ؟**

هذا الكتاب لا يجيب على هذه الأسئلة . ولا يدعى الكاتب أنه قادر على إجابتها . وكل ما يستطيع أن يقوله من واقع خبرته الشخصية هو أن **المبادئ ليست شيئاً يشترى بالمال ، أو يقتنى بالعلم والمعرفة . لكنها توجّهات حياتية ، تتشكل فى داخل الفرد كحصيلة لخبراته الإنسانية والروحية ، مروراً بمعاناته وصراعاته ووعيه ونضجه وحساسيته وقدرته على التأمل ! .**

وإذا كان للكاتب أن يطلب شيئاً من قرائه ، فإنه يلتمس منهم أولاً العفو عن أخطائه ، ثم يشاركهم ببعض خبراته التى يلخصها فى النقاط التالية :

- إتخذ لنفسك مبادئ صادقة نابعة من قناعتك ، فهى وحدها التى تبقى ! .
- لا تتخذ مبدأ لإرضاء أحد ، أو لإرضاء كبريائك ، أو لتنال إستحسان النـاس . وتذكر أن المبادئ أشياء نحيا بها ، وليست مقتنيات نفخر بحصولنا عليها ! .
- لا تتعمد أن تتبنى المبادئ الشاذة لمجرد مخالفة الآخرين ، فليس ذلك سوى محاولة لتمجيد الذات على حساب الأمانة والحق ! .
- المبادئ قيم روحية ، فلا تتحول عن جوهرها الخفى إلى شكلها الظاهر ! .
- إذا تمسكت بمبادئك فأحذر أن يقودك ذلك للكبرياء والترفع ! .
- لا تجعل التمسك بمبادئك مبرراً للتعصب والعناد وركوب الرأس والقسوة والصلف وإدانة الآخرين أو حتى تجنبهم ! .
- المبادئ قوى حية متجددة ، فأفحص مبادئك القديمة فى ضوء النور المتجدد الذى تحصل عليه ، فإذا لمست خطأ فارجع إلى الصواب ! .
- يقول الفلاسفة : إن المبدأ المطلق الذى ليس قبله مبدأ هو الله ! فإذا أردت أن تبدأ من منطلق سليم ، فليكن الله مبدأك ! .

وإلى القارئ العزيز خالص محبتى

نون عين

١ - مبادئ إنسانية ..

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا
صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء " ديكنز "

جوهر الحب

فى رواية شعرية كتب أحد الأدباء قصة رمزية تتحدث عن رجل شرير ، إمتلأ جسده بالقوة ، وقلبه بالغلظة ، وعقله بالجمود ، وعواطفه بالجفاف . وقف هذا الرجل يسخر من الناس حوله ، يلعن الأرض ويتحدى السماء ! ولم يجد فى القوم من يصده عن غيه ، أو ينهه عن شره ، فالناس يخافون الأقوياء ، ويرهبون الجبابرة ، ولهذا فقد صمت الجميع أمام سطوة هذا الوحش الكاسر ، وإن كان أغلبهم وهو فى صمته قد إستنزل عليه لعنة الله ونقمة السماء ! .

وإستطاب الرجل هذا الإحساس بالعظمة والسطوة ، فوجه بندقيته نحو السماء ، وقال فى سخرية : " هل فى السماء من يستطيع أن يبارزنى ؟ " ، وفى هستيرية وحقد أطلق الرجل الرصاصة بعد الأخرى نحو السماء وهو يردد كلمات السخرية والتحدى ! .

وإلتفت الناس الطيبون نحو السماء ، وقال أحدهم : " ستنزل صاعقة من السماء لتحرق الرجل " ، وقال ثان : " ستنشق الأرض لتبلعه " ، وقال ثالث : " سيتوقف قلب الرجل ، ويسقط فجأة " ، وقال رابع ، وخامس ، وسادس : " ستحوله السماء الى كلب أو حمار أو خنزير ! " ... إلخ .

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل إنطلقت أسراب الحمام من أبراجها ، وإقتربت أفرادها ، لترسم بأجسادها على صفحة السماء كلمات واضحة تقول " الله محبة " .

ويريد صاحب الرواية أن يقول هنا : إننا كثيراً ما ننسى أن الله سبحانه لا يحمل ما نحمله فى قلوبنا من حقد أو رغبة فى الإنتقام أو ميل للسطوة . لكن جوهره هو الحب والرحمة والحنان .

وقد خلق الله الإنسان ، وفيه صورة الله المحب ، لذلك فإن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدون الحب ، ولا يمكنه أن يتجاهل تلك العاطفة ، لأنها بعض منه : إنه

يحس ويدرك ويتجاوب هو وأصداء الحب التى تملأ أجواء الكون ، لذلك لا ينبغى أن ندهش عندما نلاحظ أن أكثر الناس جموداً أو وحشية يرق فى مرات كثيرة ، ويتجاوب كالطفل البرئ وكلمات ومشاعر الحب إذا وجهت إليه فى صدق ، فالإنسان خلق ليحب .

حاجة الإنسان إلى الحب

على رصيف إحدى محطات نيويورك ظهرت مجموعة من الشرطة تدفع أمامها رجلاً مقيداً بالسلاسل ، وكان الرجل شرساً كالح الوجه تبدو عليه علامات اليأس والقنوط ، فقد إرتكب الكثير من الجرائم وهو محمول الآن إلى مصيره التعس .

ومع أن الرجل كان شارداً بفكره بعيداً فإنه تنبه إلى همسات طفلة صغيرة عمرها سبع سنوات أفلتت من يد والدها ، وأسرعت نحوه والدموع فى عينيها لتقول له : " أنا حزينة من أجلك ! " ، ولم يسمع هذه الكلمات الخافتة إلا الرجل وحده ، لكنها تركت فى نفسه أثراً لم يمحه الدهر .

فعند إنفراده فى زنزانته الصغيرة - كانت هذه الكلمات وحدها ترافقه ، وعندما أظلمت كل الأنوار كان بريق الحب فى عينى الطفله يضئ ليله ! ولأول مرة بدا هادئاً وادعاً رقيقاً . وقد شهد بذلك السجَّان قائلاً : " كنت أعرف هذا السجين من قبل ، فكثيراً ما سبب لى المتاعب فى كل مرة جاء إلى هذا السجن ، لكنه فى هذه المرة جاء مختلفاً تماماً ، فقد غيرته كلمات الحب الصادق ، أو كما قال هو : " إن بنتاً صغيرة حزنت لأجلى ، فكسرت شفقتها قلبى " .

قدرة الإنسان على الحب

الإنسان ليس فقط محتاجاً للحب ، لكنه من نعمة الله عليه قادر أن يحب ، بل قادر أن يفنى فى حبه . فعندما خلق الله أبانا آدم كان يعلم أن هذا المخلوق المدلل لم يكن ليحس بالسعادة حتى فى الجنة دون أن يكون هناك من يبادله الحب ، لذلك خلق له حواء وأعطاه الميل إليها ، والمقدرة على حبها وإحترامها والإستئناس برأيها والسكون إليها ، وجعل بينهما مودة ورحمة .

وليس عجيباً إذن أن نقرأ قصة الزوجة التى لم تستطع أن تحمل زوجها المشلول

لتهرب به من النار ، فجلست إلى جواره لتلقى معه المصير الواحد ! .

وليس عجيباً أن نقرأ قصة الرجل الأفريقي الذى دفع بجسده إلى أنياب الأسد الجائع ليعطى زوجه فرصة الفرار ! .

وليس أقل من هذا أو ذاك وفاء صديق لصديقه فى ملحمة من ملاحم الحب الأقوى من الموت ! .

ونحن حين نقرأ القصص التاريخي الذى يتناول سيرة المحبين الذين أحبوا رفقاءهم أكثر من حبهم لأنفسهم - قد تبدو هذه الصور اللامعة للحب كما لو كانت صوراً غير طبيعية ، لكن الحقيقة أنها برغم ندرتها تمثل الصورة الطبيعية التى خلقنا الله عليها ، والتى يعتبر الخروج عنها شذوذاً غير إنسانى وإنحرافاً عن الحب الحقيقى الذى أودعه الله قلوب البشر .

عندما تنحرف أقدام الحب

لماذا إذن يقتل الأخ أخاه ؟ ولماذا يدب الخلاف بين زوج وإمرأته من بعد حب عميق ؟ ، ولماذا يختلف حبيبان من بعد وعود وعهود ؟ ، لماذا المكايد والتخاصم والتقاتل والتطاحن ؟ ، ولماذا يختنق الحب الوليد ، وتذبل أزهاره الندية ؟ .

لعل السبب الأساسى فى ذلك ليس سطوة الشر بقدر ما هو إنحراف عن الحب كما أعلنه الله فى ذاته وفى خليقته .

فقد وضع الله هذه العاطفة فى قلب الإنسان حتى يستطيع بها أن يحفظ علاقته بها فى إرتباط وثيق عميق قوى بالله الذى هو ينبوع الحب وجوهره ، كى يكون هذا الحب الطبيعى سياجاً يحمى حياة البشر من السقوط فى مخالب الغرائز والميول المنحرفة .

لكننا " نسقط فى الحب " أو لعلنا " نسقط من الحب " عندما تنحرف أقدامنا عن جوهر الحب الصحيح .

جوهر الحب الصحيح

غاية الحب إذن هى معرفة الله ، لا معرفة الإدراك والخضوع ، بل معرفة الحب

والحنين ، معرفة الولاء والوفاء ، معرفة الشوق والهيام .

إن جوهر الحب إنما هو قيام علاقة خاصه بين الإنسان وربه يبث فيها الإنسان نجواه أو شكواه وحنينه وهيامه ، ويتلقى الإنسان فيض ينابيع الحب الدافق التى تملأ قلبه ، فيحب الناس والدنيا جميعاً .

لقد وضع الله الحب فى قلب الإنسان ، ليقترب به الى الله ، ولينهل به من حب الله الذى لا ينضب ، ولا يقف عند حواجزالمطامع البشرية الصغيرة فى دنيانا الزائلة وأحلامنا الزائفة ! .

إن جوهر الحب هو الله نفسه ، والحب الحقيقى هو سكناه فى قلوبنا وإتحادنا معه فى شركة قدسية .

إن حبه نار تطهرنا من نجاساتنا ، وتحرق زيف مطامعنا ! .

إن روح الله فى قلوب التائبين هو ينبوع الحب الصحيح الذى يوقف تيارات الطمع والحسد والجشع والحقد ، ويلهب روح الود والمحبة والعطاء والإيثار .

لكننا نفقد طريقنا عندما نُغلق قلوبنا أمام صوت الحب الإلهى ، فنشبه بذلك سائقاً يملك سيارة رائعة لكنها غير مزودة بالوقود ! إن قلباً ليس فيه جوهر الحب لهو قلب معطل يمكن أن يدفعه صاحبه بالجهد خطوات قليلة ، لكنه لا يلبث أن يقف ، لأنه قلب بارد ، لذلك تتعطل قلوبنا ، وتقف جامدة على ممرات الحياة ، لأنها ليست مزودة بزيت العلاقة الحارة بالله ! .

إنها قلوب ساكنة ، طاقات عاطلة فى مواقفها بجوار الأرصفة ، ولو أنها إمتلأت بروح الله وحبه لصرنا ملائكة وصارت الأرض سماء ! .

مواقف الحب العاطل

ألم ترَ كيف تحطمت آمال الحب بين شاب وفتاة ؟ ، ألم ترَ كيف تفككت أواصر الصداقة ورُبط القرابة بين المحبين ؟ ، إنها مواقف الحب العاطل ! .

فمع أن أغلب الشباب يظنون أنهم يسيرون على طريق الحب ، ويستمتعون بأطياف حالمة وأنغام هامسة تعزفها أوتار خاصة فى قلوبهم ، فإن كثيراً من البشر أيضاً يقفون فى منتصف الطريق بقلوب خاوية ، وطاقات مستنفذه ! .

٢ - مبادئ إنسانية ..

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا
صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء " ديكنز "

مواقف الحب العاطل

فى درب الحب نسير
فى بستان الحب تنمو أزهار سعادتنا
فى أروقة الحب يحبو ربيع أيامنا ، وتتطهر أقدامنا
وبغير الحب نموت
تذبل أوراق القلب الأخضر
تختنق الأنفاس الملهوفة
تتلاشى من أيدينا نبضات الأمل الدافق
يتوارى بريق العين
وتغطى ألوية الليل السوداء أطراف الجسد البارد

ففى شارع الحب الكبير يسير (ملايين) البشر ، يتهادى موكب المحبين الذين يكتبون بخطاهم المرهفة أحلى سطور التاريخ الإنسانى ويغسلون بدموعهم آثار الأقدام الخشنة الملطخة بالكراهية ! ويرددون بإبتساماتهم أصداء الفردوس وتراتيل الملائكة .

بذور الحب

ففى فجر الخليقة فاضت نعمة الله على الإنسان حين زرع فى قلبه بذور الحب المنتقاة من أفضل فراديس الجنة ، فعرف هذا الكائن المميز كيف يحب ؟ ، وكيف يفنى فى حبه ؟ ، وكيف يسمو بحبه فوق طبيعته المادية ؟ .

وضع الله بذور الحب فى قلب البشر ، ليعرف المحبون كيف يستخدمون أيديهم

فى العطاء ؟ ، كما يستعملها غيرهم فى الأخذ ، وعرف المحبون كيف يشبعون بلا طعام ؟ ، وكيف يرتوون بلا ماء ؟ ، وكيف يبكون فرحاً ويتهللون فى آلامهم ؟ ، فما أروعك يا بذرة الحب ! .

ولكـــن ..

ولكن بعض القلوب أجدبت ، تحجرت تربتها ، حاصرت الأشواك بذور الحب النقية فإختفت منها ألحان البلابل ، وأصداء النفس المطمئنة :

فبينما الحب يسير على رأس الموكب ومن خلفه يسير جمهور المحبين إذا بالبعض يخرجون عن الركب ، ليقفوا على جانب الطريق ، ليصنعوا محطة للحب العاطل تماماً كما تفعل سيارة معطلة على جانب الطريق ! .

وفى شارع الحب توقف كثير من القلوب الخاوية التى كانت يوماً مليئة بالحب دافقة بالود والحنان ! على أرصفة الحب توقف كثير من القلوب التى نضب معينها ، وفرغ خزان الوقود فيها ، فركنت إلى سكون الموت ، لتسكنها خفافيش الخوف ، وينعق فيها بوم الحقد ! .

ولكن .. لماذا تتعطل القلوب عن الحب ؟ .

لماذا يتعثر المحبون فى طريقهم ؟ .

لماذا يُرى الحب عاطلاً فى مواقفه ؟ .

تعالوا بنا نفحص تلك المواقف التى تتعطل عندها مسيرة المحبين :

موقف حب الذات

كانت إحدي السيدات تقود سيارتها بين مئات السيارات المتدفقة في الشارع الطويل حين إقترب منها واحد من رجال المرور الذي كان يقود دراجته البخارية في خط مواز لها ، وطلب رجل المرور منها الخروج من صف السيارات ، والتوجه الي جانب الطريق .

قال الرجل لها : لاحظت يا سيدتى أنكِ مشغولة عن الطريق بالنظر الى المرآة ، وهذه المرآة وإن كانت أمامك - وضعت بزوايا خاصة لتبصيرك بالطريق من خلفك

لا لتصفيف الشعر، فإنتظرى حتي تصلحى من شأنك ، ومتى فرغت من ذلك يمكنك مواصلة السير ! .

وكثير من الناس يفعلون كتلك السيدة : **فهم مشغولون دائماً بأنفسهم ، منصرفون إلى ذواتهم ، إنهم لا يرون الأمور إلا من زاوية شخصية ! . إن حب الذات يجعل الرؤية غير واضحة ، ولا يعطى الفرصة لتفهم خلفيات الأمور! . وكم من شقاق يحدث بين المحبين بسبب عدم تفهم الواحد لموقف الآخر لتركيزه الشديد فى ذاته ، فتندفع علاقة الحب بينهما إلى أحد مواقف الحب العاطل ! .**

إن الإهتمام بالآخرين وتقدير ظروفهم ، بل الإنشغال بهم عن أنفسنا هو ألف باء الحب الحقيقى ، إنه الوقود الذى يجعل مراكبنا تسير فى الإتجاه الصحيح فى شارع الحب .

من الأمثلة الرائعة للحب ما رُوى عن الجندى الإنجليزى " فيليب سدنى " (١٥٥٨ - ١٦٠٣) الذى أصيب فى إحدى المعارك بجرح قاتل ، فطلب جرعة ماء ، وبعد البحث وجدوا له قليلاً من الماء بصعوبة بالغة ، ولكنه وهو يكاد يرشف الماء سمع جريحاً آخر يطلب ماء ، فنظر إليه ، وقال : يبدو أن جرحك أعمق من جرحى ، ثم أعطاه الماء وأسلم الروح وهو ظمآن ! .

ولو تأملنا هذا الموقف الإنسانى لوجدنا أن هذا الرجل المحب بالرغم من موته - لا يزال سائراً فى موكب الحب الذى أحاط بروحه الصاعدة ، وظل إسمه يُذكر لسنين عديدة كلما ذكر الأوفياء .

موقف حب المال

ومن القصص الطريفة ما يقال عن أحد الأثرياء الذى كان يقيم فى قصر عظيم ، ويحيا حياة مترفة ، لكنه كان بائساً شقياً ، فإستشار فى ذلك الوقت أحد الحكماء . فأخذه الحكيم إلى إحدى نوافذ القصر وقال له : ماذا ترى خلف زجاج النافذة ؟ ، فأجاب الرجل : أرى الأرض والسماء والطير والبشر والحياة بجملتها ، ثم أخذه الحكيم إلى قاعة من قاعات القصر ووقف معه أمام مرآة بلورية رائعة وسأله قائلاً : وماذا ترى الآن فى زجاج المرآة ؟ ، فأجاب الرجل : أرى نفسى وقصرى ؛ قال الحكيم : أنظر يا أخى ، إن الفارق الوحيد بين لوحى الزجاج فى كل من النافذة

والمرآة هو أن المرآة مغطاة بطبقة رقيقة من الفضة وهذه الفضة أخفت عنك الناس والدنيا جميعاً وهذا هو سر شقائك .

وكثير من الناس من يعيشون هذه التجربة الأليمة . **إن الفضة والذهب والمال والمطامع المادية تمثل حائلاً عصيباً فى مسار الحب ، فعلى مذبح المطامع المادية يذبح الحب الوليد ، فيفترق الحبيبان وتنفصم علاقات الود بين أسرتين ، ويتعطل قطار الحب ويُدفع إلى أحد الأرصفة المهجورة بعيداً عن طريق المحبين ! .**

موقف الكبرياء

وكثيراً ما نسمع واحد يقول : " يجب أن يعرف الآخرون أننى حساس جداً " ، وهو فى ذلك لا يعنى سوى أنه معتز جداً بذاته وكرامته الشخصية ، أى : أنه لا يقبل أن يقترب أحد من شئونه ومعتقداته أو طريقة تفكيره أو أسلوب حياته أو ظروف نشأته أو محيط أسرته ، وهو يعتبر كل ما يتعلق به أرضاً محرمة ؛ ما إن يشار إلى شئ منها حتى تغلى الدماء فى عروقه ويملأه الغضب ! فإذا تعرض لنقد حول سلوكه أو مظهره باع الحب وأظهر العداء ! إنه يحب ذاته أكثر من أى شئ فى الوجود ! إنه يضحى بكل الحب ، لكنه لا يريد أن يخضع كبرياءه .

إن حساسية الإنسان يمكن أن تكون ظاهرة طيبة لو أنها حساسية الإرهاف تجاه الآخرين : بمعنى الإدراك اللمّاح لحاجاتهم ، والتقدير القلبى لمشاعرهم ، والحنين عليهم ، والرغبة فى تطييب خواطرهم . أما الحساسية الذاتية التى تتركز فى المشاعر الذاتية - فهى علامة مرضَية تشير إلى كبرياء القلب وحاجته للخضوع والإتضاع ! .

وبسبب الكبرياء وعدم القدرة على التسامح ، أو عدم القدرة على الاعتذار - فإن الحب يتعطل ، ويقف الحبيبان فى أحد مواقف الفشل على جانب الطريق على حين أن الحب يسير بدونهما ! .

موقف عبادة الفرد

وهذا الموقف قد يكون غريباً ومختلفاً تماماً عن سابقيه ، لكنه ليس أقل منهما من حيث كفايته لتعطيل السير فى موكب المحبين السعداء .

فى هذا اللون من ألوان الحب يهب الحبيبان المخلصان قلبيهما كلٌ للآخر فى صورة مثالية رائعة ، ولكن هذه الصورة محفوفة دائماً بالخطر : فالذى يحب بهذا الفناء كثيراً ما يصطدم هو والواقع حين يكتشف أن الإنسان - أى إنسان - لا يمكنه أن يملأ قلب إنسان آخر ؛ لأن جوهر الحب ليس من " مادة الإنسان " لذلك فقد كتب **شاعر الهند العظيم طاغور :**

" لا تطلب من المخلوق أكثر مما يستطيع أن يعطى ! لا تطلب حباً كاملاً وإخلاصاً تاماً ، أو ولاء مطلقاً وإلا خيبت الحياة ظنك ، وإبتلتك بالحسرة والأسى ، فأعرض عن المخلوق ، وإتجه للخالق ، وعندئذ تدرك معنى الراحة والصفاء " .

وليست هذه دعوة للهجر وسوء الظن لكنها دعوة لتصحيح الفكر ومعرفة الطريق الذى يحقق الشبع الحقيقى ثم العلاقة الصحيحة .

إن جوهر الحب الروحى إذن هو الإرتباط بالله قلباً وروحاً ، ومن هذه العلاقة تنبع قنوات الحب الصادق للأصدقاء والأعداء على حد سواء . ومن خلال علاقة الحب الروحى والإرتباط القلبى بالله تنمو علاقة الحب الصحيح بين إثنين من البشر ! .

فالعلاقة بين زوج وزوجه أو بين شاب وفتاة لا يمكن أن تكون فى ذاتها مصدراً للدفء والسلام ما لم تكن شمس الحب الالهى هى مصدر الدفء الحقيقى لحياتيهما كأفراد .

كتب أحدهم إلى زوجته يقول : " يا حبيبتى ، أنا لا أعطيك قلبى ، لأنى سبق أن أعطيته السماء ، وأنا واثق أنه ليس ملكاً لأحد فى هذا العالم ، لكن الحب الذى تسمح السماء لى بأن أقدمه لإنسان أقدمه لك وحدك ! " .

ولكن بعض المحبين يُغلقون حياتهم على أفكارهم وأموالهم وخططهم . وهؤلاء يتعرضون حتماً لنفاد وقودهم ، ولابد أن تتعرض حرارة حبهم للفتور ، ثم التوقف على جانب الطريق ، حيث السأم والملل والندم والضيق ! .

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا
صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء " ديكنز "

الحب الصاعد إلى أعلى

تماماً كما يسقط حجر فى قاع نهر ، فيظل قابعاً فى الظلام مع أن النهر يجيش بالحياة ـ هكذا يسقط بعض الناس فى نهر الحب الحى الدافق ، فلا يعرفون من أمره سوى ظلمة القاع وبرودة الليل ! .

حدثتنى مجموعة من أصدقائنا الشباب فقالوا : الناس يقولون فى أحاديثهم الدارجة : إن (فلاناً) وقع فى الحب ، فهل الحب وقوع ؟ ، أهو نوع من السقوط ؟ . وقبل أن أجيب عاجلنى أحدهم بقوله : أكاد أرى أن الحب منزلق خطر ، وهو فى أغلبه سقوط إلى هاوية سحيقة ! وقلما ينجو من غدره واحد من بنى البشر ، وكان الأجدر بالمرء أن يتحاشاه ، فيحيا آمناً لا يمزقه القلق والخوف ، ولا يعتصره الحزن والألم ! .

وما إن أكمل صديقى قوله حتى أخذ كل واحد يسرد على مسامعى قصة مما مر به فى علاقاته مع أصحابه وخلانه ممن أخلص لهم الحب ، وأحسن بهم الظن ، لكن الأيام كشفت له عن سوء تقديرهم وخيبت إنتظاراته من عشرتهم ، وعادت عليه بالآم كان فى وسعه أن يتخلص منها لو لم ينطو قلبه على الحب الصادق لهم والإخلاص فى نواياه نحوهم ! .

وظل السؤال الأول عالقاً بأذنى : هل الحب وقوع وسقوط ، أو هو سمو وصعود ؟ .

ومن خلال ما سرده أصدقائى من قصص أليمة حاولت أن أجد جواباً لهذا السؤال ، فوضعنا هذه النماذج من القصص والتجارب الإنسانية موضع الدرس والفحص ، فراعنا أن وضح لى ولأصدقائى أن هناك بالفعل ما يمكن أن نسميه

بسقوط في الحب ، وأنه سقوط أليم كثيراً ما يحطم صاحبه ، ويدمي قلبه الوفي ! .

فأى حب هذا الذى يجرح ، ويقتل ويدمى القلوب ؟ .

من خلال نماذج الحب الهابط إلى القاع رأيت :

الحب الحسابى

إنه حب " المحاسب " رجل الأرقام الذى يدرس الأمور ، ويضعها فى " جداول " ويرتبها فى كشوف ! إنه فى حبه يفحص مشاعر الآخرين بالقوانين الحسابية والمعادلات الرياضية ، إنه يريد فى كل صفحة من صفحات الحياة أن يطابق " الإيراد " و " المنصرف " ! وأن يعرف ما له وما عليه . وهو بطبيعته لا يستطيع أن يتساهل أو يتسامح فى شئ مهما كان طفيفاً .

وهذا اللون من الحب " الحب المحاسبى " مألوفٌ فى حياتنا ، ولعله أكثر ما نراه أساساً للإرتباط بين إثنين فى سوق العلاقات البشرية وهو ما يسميه الناس بالفطنة وحسن التدبير ولعله بالفعل كذلك ، ولكنه فى ميزان الحب لا يعدو أن يكون حبّاً هابطاً إلى المألوف والسائد أو حبّاً على السطح تحمله الريح كغيره من الأوراق الجافة لينتهى إلى هاوية الضياع ! .

الحب التجارى

أما هذا اللون الذى شقت عنه بعض قصص الحب الفاشل - فهو أشر كثيراً من سابقه ، إذ ليس هو حب المحاسب فقط ، بل حب التاجر ! إنه لا يحسب الأرقام ليضبط " الدفاتر " ، بل ليملأ الخزينة ! إنه ليس مشغولاً بموازنة الوارد والمنصرف بل بتغليب الكسب على الخسارة .

وكثير من الناس من يحبون بقلب تاجر ، ونحن لا نقصد الفتاة التى تتطلع إلى زوج ثرى أو الرجل الذى يبحث عن صاحبة الميراث فقد لا يكون هذا حبّاً مطلقاً ، لكننا نقصد روح التاجر التى نلحظها أحياناً بين إثنين يحملان بالفعل مشاعر حب حقيقى ، لكن هذا الحب لم يستطيع أن يكسر فى قلبيهما روح الأثرة فنرى كُلاً منهما ينتصر لرأيه أو لأسرته أو لوجهة نظره أو لمذهبه الفكرى أو لمنهجه السلوكى .. إلخ . محاولاً أن يأخذ أكثر مما يعطى ، وأن يغلب ولا يُغلب ! فإذا لم يبلغ أحد

الطرفين مراده أصابه الهم والضيق ! وإذا حقق ما يريده من مطلب ذاتى كان ذلك على حساب حبه الذى يميل حينئذ وينحدر نحو القاع ، فروح التاجر فى علاقات البشر تجعل الحب ثقيلاً لا يطفو فوق أمواج الحياة الصعبة ، فتنطوى قصة حب كانت تبدو ناجحة بعض الوقت ، لأن أحد الطرفين له قلب تاجر ! .

الحب المتعالى

إنه حب مترفع - يجلس على منصة القضاء ، بين يديه تشريعات ونصوص وقوانين ثابتة ، وعلى عينيه منظار ضخم ! إنه دائم الفحص والتفتيش ، يقضى ساعات يومه فى الدرس والبحث بين السطور ، أنه صاحب الحكم وله الكلمة الأخيرة فى كل الأمور ، إنه لا يملك أن يسامح المذنب ، ولا يستطيع أن يغفر للمسئ ، إنه يحمى هيبته ويقدس قوانينه ، ويحفظ ميزان العدالة بعيداً عن الرحمة والحنان ، فالمجرم لابد أن يدان ، ولكل خطأ جزاؤه العادل .

والذين يتقمصون روح القاضى فى علاقاتهم يقتلون روح الحب فى قلوب الناس ، بل يفعمون القلوب بالكراهية ، فإذا كان تطبيق القانون هو غاية الكمال البشرى - فإن بث الحب هو غاية الكمال الإلهى ، فالحب يعلو فوق القانون ، والرحمة تسمو فوق القضاء ! .

وحينما يملأ الكبر قلب إنسان فيتعالى على أحبابه ، أو عندما تسيطر عليه شهوة النقد فيدين أعمالهم ، ويحكم على أفكارهم - فإنه بذلك يقضى على الحب الذى فى قلوبهم ، ويزحزح رواسيه ، فيهبط من سماء الحب إلى أرض " المنصة وقفص الإتهام " ! .

الحب فى بالون

وهذا لون سائد فى كثير من إختبارات الحب التى يرويها الشباب المتحمسون ، إنه حب قوى حار ينمو بسرعة ويرتفع خفة ورشاقة فى أجواء الرومانسية الحالمة ، أنه منطاد كبير يعلو سابحاً فى الفضاء يحمله ما إنطوى عليه من غاز خفيف .

لكنه مع الأسف الشديد لا يحتمل تقلبات الجو ، ولا يثبت أمام الريح ، إنه بالون حساس يخشى الأشواك ، فإذا أصابه شئ منها إنفجر وتبدد ، وعاد هابطاً إلى حيث كان ممزقاً وضائعاً ! .

الحب الهابط إلى أسفل

تماماً كما يسقط حجر فى قاع نهر ، فيظل فى الظلام مع أن النهر يجيش بالحياة هكذا يسقط بعض الناس فى نهر الحب الحى الدافق ، فلا يعرفون من أمره سوى ظلمة القاع وبرودة الليل ! .

فالحب الهابط إلى أسفل إنحدار عن سطح العلاقات إنه مستوى أدنى من اللا حُب إنه بالفعل إختلال أدى إلى السقوط فى بالوعة أو بئر ! وقد يبقى صاحب هذا الإختبار بعض عمره - أو كل عمره - مستلقياً فى أرضه الهابطة دون أن يتنسم هواء الحب النقى ، ودون أن يستمتع بإشراق الحب الساطع ! .

وعندما تصل إلى آذاننا الشكاوى المرة التى يرددها الواقعون فى الحب ، ويبكون فيها أملاً ضائعاً وقلباً مذبوحاً - فإننا ندرك أن وراء المأساة واحدة من المحاذير التى سقط فيها المسكين ، ليستقر فى قاع الفشل - هاوية الحب الهابط ! .

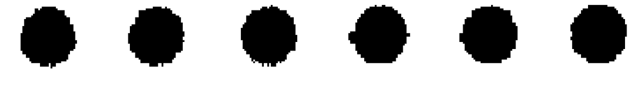
لماذا تقع فى هاوية الحب الهابط ؟

إننا نقع ، لأن أجنحتنا ضعيفة ، أو بمعنى أصح لأنه ليس لنا أجنحة تحملنا إلى أعلى فصحيح أن الله خلقنا لنحب ، لكن أرواحنا أثقلتها آثامنا ودنايانا ، فلم تستطع أجنحة الحب أن تحملنا فوق أنفسنا ، فظلت قلوبنا حبيساً فى قوالب جامدة من روح التاجر أو المحاسب أو القاضى أو الجلاد أو رجل الشرطة .... إلخ . ونحن نحتاج إلى أن ننخلع من ذواتنا ونلقى بأنفسنا على أجنحة علوية تحملنا إلى آفاق الحب النقى الذى لا ينشغل بدنايا المطالب الذاتية ! إننا نحتاج إلى أن نتعلم الحب من فوق ، الحب النابع من قلب الله الذى هو مصدر الحب وجوهره .

فإذا كان الله سبحانه هو غاية حبنا - فهو أيضاً مصدر علاقاتنا الحبية بالآخرين . وبدونه لا يستطيع الإنسان أن يحب إلا نفسه فقط ، ويستأثر لها بكل الخير ! .

لكن الإنسان - وهذه هى بلواه - كثيراً ما يفضل الحب الهابط إلى أسفل إلى نفسه وجسدانيته - على الحب الصاعد إلى أعلى : فبدلاً من أن يمجد الله ويستلهم منه الحب الحقيقى - يمجد ذاته ويستلهم غوايته ! . وبدلاً من أن يثق فى الله فإنه يعتمد على نفسه وحكمته وقدرته الذاتية ، وعوضاً عن الرضا بعدالة الله يقيم من نفسه قاضياً

يحكم على الآخرين ، فتكون خطيئة حياته وعثرته الدائمة - أنه جعل نفسه مركزاً لحياته ، تاركاً لله ورافضاً له كمركز للحياة ! وهذا هو الطريق المحتوم إلى الحب الفاشل ، فمن امتلأ قلبه بالحب لذاته والتأليه لها - فلن يستطيع أن يتذوق حلاوة الحب الحقيقى القائمة على العطاء والبذل ، وهذا هو سر شقاء البشر مهما علت مكانتهم ، أو سمت مراتبهم ! .



فهل عرفت الآن : لماذا إعتل الحب الذى كان يربطك بشخص ما ؟ .

هل أدركت : لماذا هدأت جذوة الحب ، أو إنطفأت شعلتها برغم حرصك عليها ورعايتك لها ؟ .

ذلك لأن هناك " قصوراً ذاتياً " يجعلنا غير قادرين على عطاء الحب ، لأن نبع الحب الحقيقى لم يملأ قلوبنا بعد ! .

إن الله عندما يدخل القلب فإنه يحوله إلى ينبوع للحب الدائم ، إنه يجعل قلوبنا ربيعاً أخضر يتسع لكل الناس ، ويفيض بالحب على كل الناس .

إن الحب الصاعد إلى السماء يرفعنا فوق الخلافات الشخصية والعقد النفسية والميول الذاتية ، ويفتح فى قلوبنا طريقاً للألفة الروحية والإرتباط الوجدانى والإنسجام الفكرى مع أحبابنا ورفقائنا ، بل يصنع حولنا سياجاً من الحب يحمينا من الشر والأذى ! .

فيا صاحب القلب الجريح ، أفتح قلبك لله ، إرتبط به سبحانه بعلاقة خاصة ، ليتحدث إليك ويعمر قلبك ، ويملأك بروحه - روح الحب والعطاء .

إن الله عندما يملأ قلبك فإنه لا يحول بينك وبين حبك ، بل يضعك على مجرى الحب الصحيح الذى لا يفشل .

فالترتيب الإلهى للحب هو : الله ثم الناس ثم أنا ، فإذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا صرنا ملائكة ، وصيّرنا الأرض سماء ! .

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا
صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء " ديكنز "

نماذج من الحب

ليس صادقاً من يوحى إليك أن الحياة قد أصبحت كالشجرة اليابسة التى جفت أغصانها وسقطت أوراقها ، وإمتدت ساقها الحزينة رافعة فروعها الواهية كناسك يردد إبتهالات الزاهدين ! .

وليس صادقاً من يوحى إليك أن الحب قد باد من الأرض وإنقرض ! وأن العالم تسوده الكراهية والأثرة والحقد ! .

وصادق كلّ الصدق من يقول لك : إن السماء مليئة بالنجوم التى لا نراها لكثرة الضباب وإنتشار الغيوم .

وفى هذه الحلقة نؤكد إيماننا بالحب الذى يجعل الأرض سماءً ، ونعرض من واقع الحياة بعض نماذج الحب الصادق .

الحب فوق الشهرة

وقف رجل مبهوتاً وهو يتأمل (اللوحة) القاتمة فى صدر القاعة ، ثم جال بعينيه المفزوعتين يبحث عن شخص ما ، وما إن رآه حتى صرخ صرخة ملتاعة وقال :

ـ ماذا فعلت أيها الأحمق المجنون ؟ ماذا أصاب عقلك اللامع ، وأعمى بصيرتك المتوقدة فى هذه الساعة الحرجة ؟ .

ـ أى ساعة حرجة ؟ .

ـ ساعة الإفتتاح .. لم يبق سوى لحظات حتى يفتتح المعرض الكبير ! إن رجال الصحافة واقفون بالباب والمصوريسن يستعدون للدخول وأنت واقف هكذا تلطخ (اللوحة) الجميلة بهذا المعجون الأسود ! .

- ألا تعجبك هذه الألوان الهادئة ؟ .

- أسكت يا جو ، ولا تجعلنى أنفجر ! إن إبتسامتك الهادئة تثيرنى وتملؤنى بالغيظ والحنق عليك ! ماذا أفعل الآن وقد دعوت نخبه من رجالات الفن والأدب ليروا (لوحتك) هذه ، فيبايعوك أميراً للمصورين فى بريطانيا ؟ ، لقد حدثتهم عن تحفتك الرائعة ، وأشدت بألوانها المشرقة ، وأعددت الناس ، ليروا عملاً ساحراً ! وهأنتذا قد شوهت (اللوحة) ! قل لى ماذا أفعل ؟ .

- لا شئ ! لا شئ ! يا صديقى ! هون عليك . قل لهم : إننى أحمق متقلب المزاج ! أو إننى موتور أصابنى مس من الجنون ! قل لهم . أى شئ تحفظ به كرامتك ، فلا تبدو غشاشاً مخادعاً ! .

- لكن قل لى بحق السماء ، ألا تستطيع أن تصلح من شأن (اللوحة) ، لتعيد إليها بعض البريق الذى كانت عليه ؟ .

- أستطيع ذلك بالطبع ، لكن ثق يا صديقى أن ما تراه الآن هو الحل الوحيد الذى يمكننى أن أفعله ، وفى الغد القريب سأخبرك بكل شئ ! .

كان هذا الحوار قد دار بين الرسام البريطانى الشهير جوزيف تيرنر ذات يوم من سنة ١٩٢٦ م فى صالة العرض الكبرى حيث يعرض مشاهير (الفنانين) البريطانيين ، وكان تيرنر قد أرسل (لوحته) " كولونيا " لإدارة المعرض ، وقبل إفتتاحه بيومين ذهب ، ليرى كيف تبدو (لوحته) بين أعمال زملائه من المشاهير ، وفوجئ تيرنر (بلوحته) مثبته إلى جوار (لوحة) صديقه الرسام البريطانى " سيرتوماس لورانس " الذى كان عمره يقرب من الستين .

ولاحظ تيرنر أن (لوحته) كانت أكثر تألقاً من كل أعمال لورانس بما لا يترك مجالاً للمقارنة بل إنها كانت تخطف الأبصار ، وتبعد الإنتباه تماماً عن جاره ! .

وحاول تيرنر أن ينقل هذه (اللوحة) المشرقة إلى مكان بعيد ، لكنه فشل فى إقناع اللجنة المشرفة على تنسيق المعروضات ، إذ كان لديهم عوامل كثيرة لابد أن توضع فى الإعتبار قبل تلبية المطالب الشخصية .

وتحير تيرنر ، إذ لم يكن يستحب أن يسرق الأضواء من لورانس ، وخاصة بعد أن لمح الإعجاب فى عيون النقاد الذين كانوا يتسللون خلسة إلى داخل المكان .

وبعد ليلة من القلق قضاها تيرنر مستلقياً على فراشة مستغرقاً فى تفكير عميق - إنفرجت أساريره عن إبتسامة سعيدة ، فقد كان مسموحاً للرسام أن يضع لمساته الأخيرة على (اللوحة) إذا أراد وهى مثبتة فى مكانها ، ولذلك فما إن أشرق الصباح حتى حمل حقيبته وألوانه ، وإتجه إلى القاعة حيث أعمل فرشاته ليغطى (اللوحة) بظل رمادى تزداد كثافته حيثما زاد بريق (اللوحة) .

وبعد أن إنتهى المعرض الكبير حمل تيرنر (لوحته إلى مرسمه ، وجلس يتحدث إلى صديقه الصحفى قائلاً :

لا تجزع يا أخى ، فهذا الذى تراه على سطح (اللوحة) ليس سوى طبقة خفيفة من السناج سأزيلها الآن بقطعة من القماش المبلل بالماء ، لتعود كما كانت أولاً . وأرجو أن تسامحنى ، فقد كان من الصعب علىَّ أن أسبب شيئاً من الضيق لمنافسى لورانس ! فقتلت لوحتى ، وذبحت شهرتى ثمنا رخيصاً لمحبتى الصادقة ! .

ما أحلاك أيها الحب الصادق !

إذا إمتلكت قلوب الناس صاروا ملائكة ، وصارت الأرض سماء ! .

الحب فوق السلطة

أغلق الرجل العظيم باب مكتبه ، وجلس يصلى : كان يدعو الله أن يلهمه الرأى السديد ، إذ كان عليه أن يقرر أمراً خطيراً يتعلق بحياة الملايين .

ففى ذلك الوقت كان الصراع قد إحتدم بين مواطنيه فى شمالىّ البلاد وجنوبيهّا ، وخسرت البلاد مئات الألوف من الذين سقطوا فى الحرب الطاحنة ، وفرقت الأحقاد حتى قلوب الوزراء .

وكان لابد لذلك الرجل الجالس على كرسى الحكم أن يضع حداً حاسماً لتلك الحرب قبل أن تفنى الصراعات كل أمل فى الوفاق أو الإصلاح ، ولكن حسم الأمور بالحرب كان مغامرة غير مضمونة العواقب ، فلو أن هذه الخطوة إنتهت بالفشل لسارت الفوضى شمالىّ البلاد وجنوبيهّا ، ولم يكن أحد يدرى ما كان يمكن أن يحدث بعد ذلك لهذا كان هذا القرار يحتاج إلى شجاعة وحكمة بل إرشاد إلهى .

وفى ذلك اليوم من يوليو سنة ١٨٦٣م جلس هذا الرجل " **إبراهام لنكولن** " إلى

مكتبه ، وأصدر أمراً عسكرياً وجهه لقائد الجيش بدخول المعركة الحاسمة ، فكان هذا الأمر في ذاته عملاً عظيماً . لكن الأعظم من ذلك كان خطاباً شخصياً كتبه الرئيس " لنكولن " للقائد ، وأرفقه بالأمر العسكرى وفيه يقول :

" عزيزى جرانت ، أنا أشفق عليك فى مهمتك الصعبة ، ولا أريد أن أسبب لك قلقاً أو حرجاً ، فإحتفظ بالأمر العسكرى فى جيبك الآن ولا تظهره لأحد قبل أن تدخل المعركة الفاصلة ، وعند إنتصارك فيها بإذن الله مزق هذا الأمر ، حتى يكون فضل النصر لك أنت وحدك ! أما إذا دارت المعركة على غير ما نرجو ، وخسرت هذه الجولة الخطيرة ، وإنكسرت قواتك - فحينئذ أظهر الأمر العسكرى الذى يحمل توقيعي ، لتقع مسئولية الفشل علي عاتقى وحدى . إذا جاء النصر فهو لك ، وإذا جاء العار فهو لى ! " .

وإنتصر الرجل المتواضع صاحب القلب المحب الذى أعلن منشور العتق ، ووضع شعاره الشهير " دون ما حقد على أحد ، ولمن الخير للجميع ! " .

ومع أن الرجل سقط بعد عامين مقتولاً بيد أثيمة فإنه ترك :

مثالاً للحب الذى لو امتلك قلوبنا لصرنا ملائكة ، وصارت الأرض سماء ! .

حب أقوى من الموت

من الشخصيات اللامعة فى تاريخ الرحالة والمكتشفين فى العصر الحديث رجل عظيم يدعى " **إيرنست شاكلتون** " (١٨٧٤-١٩٢٢ م) ، وهو الرجل الذى يرجع إليه فضل إكتشاف القطب الجنوبى والذى قاسى فى سبيل ذلك أهوالاً لا توصف ! .

ومن الطبيعى أن هؤلاء الرواد واجهوا عجائب كثيرة ، وصادفوا الكثير من الغرائب ! ولذلك فإنهم كانوا دائماً موضع إحتفاء الجماهير ، وضيوفاً مرموقين فى المنتديات والصالونات الثقافية فى الفترات القصيرة التى كانوا يعودون فيها إلى أوطانهم الأصلية بين رحلة وأخرى .

وفى إحدى هذه المرات سُئل " سيرشاكلتون " عن أكثر لحظات عمره إثارة فقال :

" إتجهت بالسفينة مخترقاً المحيط الأطلسى مروراً بشاطئ أمريكا الجنوبية حتى

وصلت خليج الحيتـان ، وإخترقت الدائرة القطبيـة الجنوبيـة بصحبة ثمانيـة وعشرين رجلاً ومجموعة من الكلاب والخيل والزحافـات والمؤن ، وفـى طريقنـا الوعر رأينـا فى يوم واحد أكثر من خمسمائة جبل جليدى تطفو على وجه المـاء ، ممـا جعل نجاتنـا أمراً عسيراً يحتاج إلى جهد ويقظة وعمل مستمر ! .

وبالفعل إستطعنا بمعجزة أن نصل إلى الحاجز الجليدى العظيم بعد صراع مرير إستمر أياماً وليـالى كثيـرة . وهنـاك عجزنـا عن مواصـلة الإبحـار ، فألقينـا مراسينا وقضينا أشهر الشتاء الطويلة قابعين فى أماكننا ، ثم بدأ الجليد فى التحـرك فـى الربيع ويالهول ما تعرضنا له عندما تقاذفت كتل الجليد الضخمة سفينتنا حتـى تحطمت تمامـاً بكل مـا فيهـا ! فهرعنـا إلـى القـوارب الـصغيرة التـى إنتشلناهـا مـن الـسفينة الغارقـة ، وصارعنا المحيط حتى وصلنا بعد أسابيع إلـى جزيـرة الفيل ، وهـى بقعـة نائيـة ليس فيها سبيل للحياة ، إذ تبعد عن أقرب مكـان فيـه بشر بـأكثر من ألف ميل ، ولـم يكن أمامنا سوى الموت أو المخاطرة ! .

فأخذت قـاربى مـع ستة فقط مـن الرفـاق فـى رحلـة يائسة نحـو جورجيا تتقاذفنـا الأمواج الهائلة ، حتـى وصلنا ونحن بين الموت والحياة إلى شاطئ جورجيا الجديدة ، فلمـا رآنـا الأولاد فـى محطـة صيد الحيتـان هربـوا رعبـاً لفرط مـا كنـا عليـه مـن سوء الحال ! وإنقضت عدة أسابيع قبل أن أتمكن من العودة لإنقاذ زملائى هناك .

ولكن أكثر ما أثارنى هو ذلك الذى حدث ونحن نقضى ليالينـا الموحشة فـى جزيـرة الفيل ننتظر مصيراً محتوماً ، وكنا فى نومنا نحلم بالطعام ، إذ لـم يكن لنـا مـن أسباب الحياة والأمل شئ يذكر ! وحدث أننـى قسمت علـى البحـارة آخر مـا تبقى معنـا مـن المخبوزات ، ولم يعد لدينا بعد ذلك ما نقسمه وفـى تلك الليلـة نـام كل واحد فـى حقيبة نومـه وكنـت أنـا وحدى مـستيقظاً حين أحسست فـى الظـلام بوقـع أقدام متلصـصة ، وشاهدت شبحاً يتحرك فى حذر شديد ، كان واحد من البحارة قد دنا مـن زميلـه الراقد على بُعد خطوات منه ، ونظر فى وجهه ليتيقن إستغراقه فـى النـوم ، وإنحنـى ، ليلتقط الـصندوق الـذى كـان بـه المخبـوزات ، ويعـود متقهقـراً وعينـاه مثبتتـان فـى الوجـه النائم ! .

ودارت بى الدنيا ، فقد كان هذا البحار ساعدى الأيمـن ، وقد وثقت فيه كل الثقـة ، ووضعت حياتى وأسرارى فى يديه لمعرفتى بنبله وحبه وإخلاصه ولم أكن أتوقـع أن أرى فى حياتى أشر من أن يسرق أحد آخر لقمة من فم أخيه .

ومرت لحظات كالدهر قبل أن أرى هذا البحار يفتح الصندوق ، وينقل إليه كل ما كان لديه هو من مخبوزات فى صندوقه الخاص ، ثم يعود ليضعه فى مكانه بجوار زميله ، ويرجع إلى فراشه وقد علت وجهه إبتسامة الرضا ! .

وتيقنت في تلك اللحظة أننا لن نموت ، فصاحب الحب الذى يضحى بحياته من أجل إخوته لا يمكن أن يموت جوعاً ! " .

ما أحلاك أيها الحب الصادق !

إذا امتلكت قلوبنا صرنا ملائكة ، وصارت الأرض سماء ! .

٥ - مبادئ إنسانية ..

نحن نحب أنفسنا ، ولكن من الحب ما قتل !

إن أحببت نفسك ، فأسرع لإنقاذها من نفسك !

" ست الدار " فلاحة بسيطة ، تعيش فى قرية صغيرة فى قرى صعيد مصر . والبيوت فى القرية صفوف متلاصقة فى حارات ضيقة ، تكاد تتشابه فى كل شئ . باب خشبى صغير ، من ورائه حجرة ضيقة يغطيها الحصير . وفى أحد أركانها يوجد الفرن الذى تعلوه فتحة فى السقف يدخل منها النور والهواء ، ومنها يتسلل أهل البيت إلى السطح ، حيث يوجد " خزين السنة " من الحطب ، وأعواد القطن الجافة . أما الملابس فهى معلقة على الجدران ، أو محفوظة فى " صندوق العروسة " الخشبى .

بعد إنصراف الرجال إلى أعمالهم فى الحقل ، بدأت ست الدار فى إشعال الفرن لإعداد الخبز . وبينما هى مشغولة بالعجين ، أمسكت النار بسقف البيت المنسوج من أعواد الجريد ! وإمتدت النار إلى السطح لتلتهم أكوام الحطب المتجاورة فوق أسطح كل البيوت .

ومع الشرارة الأولى ، هرول جميع الفلاحين ، عائدين من الحقل لإطفاء الحريق، ومع ذلك فإن النار أكلت كل بيوت القرية .

وفى التحقيق الذى أجرته السلطات ، تعجب المسئولون ، كيف لم يستطع هذا العدد الكبير من الرجال من إطفاء حريق قريتهم ، لكن دهشتهم زالت حين قال كل واحد من الرجال إنه إتجه إلى بيته ، فألقى ما عليه من وقود إلى أرض الشارع ، حتى لا تنتقل النار إلى بيته هو ! فإنتقلت النار من الأسطح إلى الطريق العام ، وأمتدت ألسنتها إلى شوارع القرية كلها ، وإلتهمت البيوت من أساسها ، حتى سوتها بالأرض ! .

لقد أراد كل واحد فى القرية أن يخصص خدمته لذاته ، فإشترك الجميع فى إيذاء أنفسهم جميعاً ! .

إن محبة الإنسان لذاته قد تساعده على الإرتفاع بشأنه وتحسين حاله ، لكنها إذا

سيطرت على مشاعره تماماً ، فقد تقوده إلى تدليل ذاته وإيذائها إلى حد الضياع ، وقد تجعل منه إنساناً مكروهاً يبغضه الجميع . فإذا سيطرت محبة الذات على قلوب الجميع ، هلك المجتمع كله وضاع ! .

الذين يحبون أنفسهم فقط

يولد الإنسان أنانياً محباً لذاته ، يريد أن يأخذ كل شئ لنفسه ، ونحن نلاحظ ذلك فى الطفل الصغير الذى يريد أن يكون الجميع فى خدمته ، لأنه يظن أنه وحده مالك الكون .

لكن الطفل عندما يكبر يكتشف أن الحياة مليئة بأناس آخرين ، وأنهم جميعاً مهمون ، ويجب عليه أن يخدمهم كما يخدموه ، فالحياة لا تستقيم بغير الخدمات المتبادلة .

وكلما إستطاع الإنسان أن يمنح من ذاته للآخرين ، كلما كان أقدر على التعايش مع المجتمع المحيط .

ولكن بعض الناس تتملكهم محبة الذات ، فلا يرون سوى أنفسهم ، فيندفعون وراء رغباتهم يحققونها بأى طريق ، ولو أدى تحقيقها لوقوع كارثة للآخرين ، بل وللمجتمع كله ! .

وهناك نماذج كثيرة للذين يخربون المجتمع من أجل قضاء شئونهم . من هؤلاء المخربين نجد الذين يجرفون الأرض ليصنعوا من الطمى الغالى قوالب الطوب ، ومنهم من يلوثون مياه النهر بفضلاتهم ، ومنهم من يسرقون الدواء الذى فيه أرواح الناس ، ومنهم من يبيعون بضائع مغشوشة ، ومنهم من يتاجرون فى أطعمة فاسدة . **وقد قيل إن الأنانى يشعل النار فى غابة ليشعل منها سيجارته ! .**

الذين يدللون أنفسهم

وبعض الناس يحبون أنفسهم لدرجة التدليل . ويدفعهم هذا الحب إلى إرضاء أنفسهم حتى فيما يضرهم . فالمدمنون مثلاً هم بعض عشاق أنفسهم ، الذين خدعتهم رغباتهم الضارة ، فلم يستجيبوا لصوت العقل ، بل أطاعوا أنفسهم فيما هوت ، فكان حبهم لذواتهم قاتلاً .

كان أحد الطلبة يدرس فن الرسم على يد أستاذ كبير ، علمته الأيام كيف ينبغى أن يصارع من أجل الإبداع . وفى ذات يوم رأى الأستاذ تلميذه فخوراً جداً باللوحة التى رسمها ، وقنوعاً بما بلغه من مرتبة راقية فى الفن الذى يتعلمه ! .

وتألم الأستاذ لذلك ، ولم يكن أمامه إلا أن يفسد اللوحة عمداً فى غياب تلميذه ، حتى لا تقف دون تقدمه . فلما جاء التلميذ جن جنونه ، وأسرع إلى ألوانه ليصلح لوحته المشوهة . وبذل فى ذلك جهداً عظيماً حتى خرجت اللوحة بأفضل مما كانت عليه ! .

قال الأستاذ : يا إبنى .. لقد كان إعجابك الشديد بلوحتك يدل على أنك تحب ذاتك أكثر مما تحب الفن . ولن تصبح فناناً عظيماً ما لم تتخل عن إعجابك بنفسك . فالفنان الذى يجد الشبع فى ذاته ، لا يسعى للإبداع أبداً ، فانس نفسك وأحبب فنك ! .

ومن محبة النفس ما قتل !

وبعض الناس تحاصرهم محبة الذات ، حتى تضيق عليهم دنياهم ، فيختنقون فى داخل الكهف الذاتى الذى يعيشون فيه ! .

قال أحدهم : هل تعرفون قصة البحر الميت ؟

إنه بحيرة عظيمة فى النهاية الجنوبية لنهر الأردن ، طوله ٤٧ ميلاً ، وإتساعه عشرة أميال ، وعمقه ١٢٩٢ قدماً تحت سطح البحر ، إنه بحر كبير متسع ، لكن هل تعرفون لماذا حكم عليه الناس بأنه بحر ميت ؟ لقد أسموه كذلك لأنه يأخذ ولا يعطى ! إنه يتسلم يومياً ٥ مليون طن من المياه ، ينحدر إليه من نهر الأردن ، لكنه يحتفظ بها جميعاً ولا يعطى منها شيئاً . فهو لا يروى الأرض المحيطة ، ولا يغذى الوادى الممتد تحته ، حتى صار كالصحراء الجرداء . فماذا جرى لهذا البحر الأنانى ؟ لقد صارت مياهه أملح خمس مرات من مياه المحيط ، صارت هذه المياه مُرة المذاق ، زيتية الملمس ، ذات صبغة صفراء . لا تعيش فيه الأسماك ، ولا تزهر على ضفافه الأزهار ، ولا تغرد بجواره الطيور ، ولا تنبت أشجار الفاكهة .

إن البحر الميت صورة من الطبيعة تمثل الإنسان الذى يأخذ من الدنيا كل شئ ، ولا يعطى لها شيئاً . من يحب ذاته يصبح ميتاً مهجوراً مكروهاً يعلو حياته الصدأ ! .

من يحب نفسه يضبطها

إن النفس الإنسانية تعمل أحياناً كحصان جامح ، لا أمان له . قد يفلت زمامه من يد صاحبه فيقوده إلى الهلاك . لذلك فإن من أراد أن يحفظ نفسه فعليه أن يضبطها ، ومن يترك لذاته العنان فإنه يهلكها .

كان مايكل أنجلو المثال الشهير يثبت شمعة فوق رأسه أثناء العمل ، حتى لا يسقط ظله على التماثيل التى ينحتها ، فتتغير درجات الضوء والظلال ، ويفسد العمل ! ولعلنا نقتبس من هذا فكرة معنوية نافعة ، هى أن نؤدى أعمالنا بروح مجردة من الأنا ، خالية من محبة النفس ، تسمو فوق رغبتنا فى إثبات الذات ! .

إن محبتنا لأنفسنا ، كثيراً ما تلقى ظلها على حياتنا وعلى أعمالنا ، فتفسد هذه الأعمال ! .

خلص نفسك

للنفس عدو مشهور ، هو النفس ذاتها ، فكثير ما تأمرنا نفوسنا بما يسئ إلينا . فالنفس الإنسانية لها هاتف قوى لحوح ، قد يجعلنا نميل إلى طرق وعرة .

قالت فتاة جميلة لرجل حكيم : " إننى أملك كل شئ فى الحياة ، المال ، والجمال ، والصحة ، والمركز الإجتماعى ، والعائلة ، والأصدقاء ... الخ ، لكنى شقية النفس ، يائسة بائسة . وقد ذهبت إلى كل الدنيا رغبة فى الترفيه عن نفسى فلم أجد إلى ذلك سبيلا " ! .

قال الحكيم : " يا إبنتى أنت لا تحتاجين أن تذهبى إلى كل الدنيا لعلاج نفسك من الشقاء ، أنظرى فى هذه المرآة القريبة وسترين فيها سر شقائك " ! .

كان سر شقائها هو إهتمامها الشديد بجمالها ، وخوفها أن يذبل أو يضيع ! .

إن أشر ما يسئ إلى الإنسان هو إهتمامه الشديد بنفسه ، والتمركز حول ذاته . ثم يصل الخطر إلى قمته حين يرى الإنسان فى نفسه الكفاية والكمال . ولا يدرك أنه مجرد إنسان عاجز ضعيف ، محتاج إلى رحمة الله وغفرانه .

قال أحد المخدوعين - الذين خدعتهم ذواتهم - قال : " إذا كان هناك فى الأرض

رجلين صالحين ، فهما أنا وأبى ، فإن لم يكن هناك إلا رجل واحد ، فهو أنا فقط " ! .

مسكين الإنسان الذى تخدعه نفسه حتى لا يرى حقيقة ذاته ! .

إن من يحب نفسه كثيراً ، يهلكها لأنه يغلق أمام نفسه فرصة حساب النفس ، ثم الخضوع بين يدى الله ، والإعتراف بالخطيئة والعجز الإنسانى ، وإلتماس التوبة والغفران .

إن كنت تحب نفسك حقاً . فلا تهلكها ، بل أسرع لإنقاذها من غواية النفس .

صرخة إنسانية

يارب

ألجأ إليك لتنقذنى من نفسى ،
فكثيراً ما أمرتنى بما ضرنى .
فحين أخلو إلى نفسى بالنهار ،
فإنها تدفعنى لإرتياد طرقات الشر .
وحين أخلو لها بالليل ،
فإنها تملأ ذهنى بأفكار الغواية .

أنا مهزوم أمام نفسى ،
ضعيف أمام شهواتها ،
ساقط فى قبضة ذاتى ،
تابع ذليل لأنانيتى وضعفى .
شغلتنى نفسى عن الإنشغال بك ،
وحرمتنى من سماع صوتك ،
وصرفتنى إلى خطيئتى وشرى ،
والآن
- الجأ إليك معترفاً بصفحتى
السوداء ،

الصفحة التى لم يقرأها أحد سواك .
- الجأ إليك بـ" ذاتى " العنيدة ،
الذات التى تعصى صوتك فى داخلى .
- الجأ إليك بقلبى المتكبر ،
القلب الذى حرمنى من الخضوع لك .

فإنتزع يارب ضعفى ،
وغير طبيعتى ،
فأنا أريد أن أفلت من قبضة ذاتى ،
أريد أن أصير إنساناً جديداً ،
يسكننى قبس من روحك ،
ويحررنى من سلطان خطيئتى .
أما نفسى التى ضيّعتنى وضيّعتها ،
فهبنى أن أجدها جديدة بين يديك ،

يارب .

عندما يغدر بنا الأصدقاء، تبقى السماء ملجانا، الحب الصادق ..

ينابيع الحنان الفائضة !

من حق أى صديقين أن يختلفا . فالصداقة علاقة إنسانية قوية ، تتحمل المصارحة والإعتراض والإختلاف فى الرأى - الذى لا يفسد للود قضية كما يقولون ! .

لكن ما فعله " ممدوح الميكانيكى " تجاوز كل حدود الخلافات بين الأصدقاء .

وحكاية " ممدوح ورجب " حكاية غريبة ومثيرة ومؤلمة ، نشرتها الصحف من عام خمسة وتسعين ، وإكتملت فصولها فى أغسطس (آب) من عام سبعة وتسعين .

" ممدوح " و " رجب " صديقان قديمان ، جمعتهما روابط كثيرة ، حتى أصبح كل منهما بالنسبة إلى الآخر : " صديق العمر " . كما جمعتهما مصالح مشتركة ، فأحدهما " سائق " ، والآخر " ميكانيكى " .

والعلاقة بين السائق والميكانيكى مثل العلاقة بين " الخيط والإبرة " ، أو بين " المفتاح والقفل " ، لا يستغنى أحدهما عن الآخر ! .

ولسنوات طويلة ، ظل الصديقان يحلمان معاً ، فالسائق يحلم بشراء سيارة يعمل عليها كسائق أجرة بدلاً من العمل أجيراً لدى الغير . ويحلم الآخر بتأسيس ورشة صغيرة لإصلاح السيارات .

وتحقق حلم السائق فإشترى السيارة ، وتأخر حلم صديقه فلم يتحقق .

وفرح السائق ، وفرح معه الميكانيكى ، فهو صديق العمر الذى يشاركه همومه وأفراحه - آماله وآلامه ! .

وأراد الميكانيكى أن يحتفل مع صاحبه بهذه المناسبة السعيدة ، فإتفق معه أن

يقتطعا بعضاً من الوقت ، ليذهبا معاً فى نزهة خاصة بالسيارة الجديدة إلى مكان بعيد عن ضوضاء المدينة .

وعلى أطراف الصحراء ، تناول الإثنان " نخب الصداقة " ، زجاجتين من العصير، كانت إحداهما تحمل مادة مخدرة ، أعدها الميكانيكى لصديقه السائق ! فما أن شربها حتى غاب عن الوعى ، فعاجله " الصديق " بضربات على الرأس مستخدماً " الشومة " التى أعدها لهذا الغرض ! .

حطم الصديق رأس صديقه تماماً ، ثم حمل الجثة وألقى بها فى مياه ترعة بعيدة ، وباع السيارة بأوراق مزورة ! .

- هل خدّر ممدوح صديقه قبل أن يقتله خجلاً وحياءً وإحتراماً للصداقة ؟ .

- هل خشى ممدوح أن يلمح فى عينى صديقه شيئاً من العتاب واللوم ؟ .

- هل خجل القاتل أن يواجه صاحبه بكل ما أضمره له من الخيانة والغدر ؟ ! .

- ربما ...

- لكن الأرجح أن يكون قد خدره أولاً ، لأنه (أى القتيل) أقوى منه ، هذا هو الأرجح ، لأن الغدر والخيانة لا يعرفان الحياء والخجل ! .

- ماذا بقى من الصداقة بين الصديقين ؟ .

- بقى لهما شئ واحد إشتركا فيه هو الموت العاجل وهما فى صدر شبابهما . فقد مات أحدهما مقتولاً " بالشومة " ، ومات الآخر بعد عامين معلقاً بحبل المشنقة ! .

مسكينة " الصداقة " ، إنها تُذبح فى كل يوم فوق مائدة الأطماع ، وبإسمها ترتكب الفضائح ! .

قال لها : أحبك

وغدر الأصدقاء هو أحد الجروح النازفة أبداً على صفحات العلاقات الإنسانية . إنها جرح لا يهدأ ، وسيظل مفتوحاً فى عمق أعماق المحبين والمخدوعين ! فليس بعيداً عن ذاكرتنا حكاية قيصر وصديقة بروتس ، إنها الملحمة الأسيفة التى تركت لها القولة الشهيرة : " حتى أنت يا بروتس ! " ، وهى العبارة التى نستخدمها دائماً

حين تفاجأ بغدر الأصدقاء ! .

لكن أغرب القصص الحديثة ، حكاية الموظف وزميلته المهندسة الزراعية . وهى قصة لا ندرى إن كنا نعتبرها فكاهة أم مأساة ! .

تقول القصة التى نشرتها الصحف إن موظفاً بإحدى المصالح الحكومية فى بلد عربى ، أحب زميلته المهندسة الزراعية ، ووجد فيها ما يحتاج إليه ! فصارحها بحبه ورغبته فى الزواج بها ، وتجاوبت عروس المستقبل ، وأتخذ الطرفان الخطوات التنفيذية ، حتى تم إعداد " عش الزوجية " ، وهى شقة صغيرة أعدها العريس ، ودعا عروسه لوضع لمساتها الأخيرة فى البيت الذى سيضمهما .

وبينما كانت العروس فى قمة نشوتها ، فوجئت برجلين ملثمين يقتحمان البيت ، وينهالان عليها بالضرب ، وينتزعان المصوغات الذهبية التى كانت تتحلى بها ! .

وأمام النيابة تكتشف العروس المسكينة أن فتى أحلامها هو الرأس المدبر لهذه الجريمة ، وأن اللصين صديقان له ، وأن كل ما أحاط بقصة الحب الوهمى والزواج المزعوم ، لم يكن سوى حيلة دنيئة للإيقاع بها لسرقة الذهب ! .

مرة أخرى ...

مسكينة " الصداقة " ، إنها تُذبح فى كل يوم على مائدة الأطماع ، وباسمها ترتكب الفضائح ! .

يهوذا ...

لكن التاريخ ترك لنا قصة مأساة أخرى بطلها يهودى من تلاميذ السيد المسيح .

وقد أصبحت القصة نموذجاً صارخاً للصديق الغادر ، فقد باع يهوذا صديقه للأعداء مقابل كيس من الفضة .

وعنصر الإبداع فى تشكيل قصة الخيانة ، يجئ من المفارقة الصارخة بين ما أبداه يهوذا ، وما أخفاه ! فقد أقبل يهوذا على المسيح ، وقبّله وحيّاه ، وطلب له السلامة ! وكانت هذه القبلة هى العلامة التى أعطاها لجنود الأعداء ليتعرفوا على المسيح ، وليقبضوا عليه ! .

ألم نقل إن الغدر لا يعرف الحياء ! .

مرة ثالثة ...

مسكينة " الصداقة " ، إنها تُذبح فى كل يوم على مائدة الأطماع ، وباسمها ترتكب الفضائح ! .

ماذا تعلمنا خبرات الصداقة ؟

لعلنا نتعلم ثلاثة دروس :

- قدم لأصدقائك إخلاصاً لا تشوبه الأطماع ، ولا تعكره الأنانية ، ولا تقتله الغيرة . وتذكر أنك لن تستطيع أن تفعل ذلك بنجاح ما لم تلمسك يد الله بقوة إلهية ، وتمنحك روح الحب الخالص الذى يعلو فوق طبيعة البشر ! .
- سامح صديقك إذا غلبته أنانيته ، فالأنانية وحب الذات هى قوام طبيعتنا البشرية ! .

أما الدرس الثالث فهو :

- حول نظرك دائماً إلى السماء ، إنها تمنح بسخاء ، ولا تطمع فى شئ ... إنها الصديق الذى لا يغدر أبداً ! .

صرخة إنسانية

يــارب

نحمدك ونشكرك ،
فانت الباب المفتوح ..
الذى لا يغلق فى وجوهنا
الذى ناتى بآمالنا .. فتشجعنا ،
إليك نأتى بآلامنا ..فتعزينا ،
إليك ناتى بأحمالنا .. فتريحنا ،
إليك ناتى بجروحنا ودموعنا وأثقال
القلب ،
فيغمرنا سلامك العجيب !

إلهى أحمدك ،
فانت الذى ترسم ملامح
سعادتنا -
فتبهجنا !
وأنت الذى تلمس أوتار حياتنا
المشدودة -
فتعالجنا !

يــارب
نحمدك ونشكرك ،
ففى البعد عنك تتفتّح جروحنا ،
وفى القرب منك تطيب نفوسنا !
وحين يغدر بنا الأصدقاء ،
تبقى وحدك الود الدائم ،
والحب العجيب .
وعندما يتراجع الأقرباء ،
تبقى وحدك رفيق وحشتنا ،
والصدر الرحيب !
فأقبل حمدنا ،
وأمِل إليك قلوبنا ،
وإمنحنا معرفة حقيقية بك ،
وأعمل بروحك فى داخلنا ،
لنتغير بين يدك .

يارب .

هناك طريق مضمون لإكتساب الحب .. إنه منح الحب !

الإغتسال فى نهر الحب الإلهى

دق جرس الهاتف فى أحدى البيوت الأمريكية الكبيرة ، حيث تلقت سيدة القصر مكالمة تليفونية مثيرة ! كان المتحدث هو إبنها الذى عاد فجأة الى الوطن بعد أن شارك فى الحرب الكورية .

كانت عودة الإبن سبب سعادة بالغة للأم المتلهفة للقاء إبنها ، فقد إنقطعت أخباره وسط أنباء أليمة عن آلاف القتلى الذين يسقطون كل يوم فى ساحات القتال ، لذلك فقد غمرتها الفرحة بأنه لازال حياً ! .

ودار حوار مثير جداً بين الإبن العائد وأمه . قال الإبن " سأجئ غداً إلى البيت ، ولكنى أريد أن أصطحب معى شاباً من رفقاء الحرب - فهل يمكن ذلك ؟ " .

أجابت الأم بدون حماس : " نعم .. يمكنه أن يظل معك لبعض الوقت " . قال الإبن : " إسمعى يا أمى ، لقد أصيب إصابات بالغة جداً ، ولم يتبق له الآن ، سوى عين واحدة وذراع واحد وساق واحدة فقط ، وليس له مكان آخر ليقيم فيه ، وأنا أريده أن يعيش معى " . قالت الأم : " إذن فلنجرب أن يبق لدينا سنة كاملة " . قال الإبن : " أمى يبدو أنك لم تفهمى قصدى ، أنا أريده أن يعيش دائماً معنا ، إنه فى حالة سيئة جداً : عين واحدة .. ذراع واحد .. ساق واحدة ، وليس له مكان آخر غير بيتنا ! " . وهنا لم تستطيع الأم صبراً فقالت : " إسمع يا إبنى ، أنك تتعامل فى هذا الأمر بعاطفة مفرطة بتأثيرات الحرب عليك ، إنه سيصبح عبئاً ثقيلاً عليك ! " . وعند هذا الحد ، وضع الشاب سماعة التليفون فجأة وأنهى الحوار ! .

وفى اليوم التالى تلقى الوالدان صدمة عنيفة فى صورة برقية من إدارة البحرية الأمريكية تقول : " الليلة الماضية قفز إبنكما من الدور الثانى عشر من فندق سان دياجو ، ولقى حتفه ! " .

وعندما تسلم الأبوان جسد إبنهما الحبيب لاحظا أنه كان بعين واحدة وذراع

واحد وساق واحدة ! .

لقد كان الإبن يتحدث إلى أمه قبل حضوره ليستشف منها مدى قبولهم له كإنسان مشوه ! وحين لم يلمس قبولاً صريحاً قوياً ، دفعته حساسيته المفرطة إلى إنهاء حياته ! .

وبالطبع - فقد كان الإبن المسكين مخطئاً فى تقديره للأمور ومخطئاً فى إقدامه على الإنتحار ، لكن القصة ترينا كم هو عزيز على نفس الإنسان أن يحس بأنه مقبول ، وبأنه مطلوب ، وبأنه محبوب ! .

المحبوب ..

فى جامعة بوسطن ، أجرى باحث يدعى د . جون جلمور بحثاً دقيقاً بين طلبة الجامعة ، إنتهى فيه إلى أن الشباب الذين ينتمون إلى العائلات التى تُظهر الحب لأبنائها يحققون تقديرات أفضل كثيراً من غيرهم . ويؤكد د . جلمور أن " قلة الإهتمام " يعتبر عاملاً رئيسياً وراء التقديرات المنخفضة ! .

والطريف أن ذات التجربة قد أجريت على الكلاب وعلى فئران التجارب . فقد أثبت الباحث الأمريكى تشارلز آرت من ميتشجان إن كلاب الحراسة المدربة على حراسة المصانع تؤدى عملاً مثالياً إذا قضت وقتاً بين أطفال يحبونها ! وفى ذات الوقت أثبتت باحثة من جامعة كوين مدى تأثير الحب والمعاملة الطيبة على فئران التجارب . فالفأر الذى يلمس المودة والرقة يقاوم التأثيرات السلبية للجرعات الدوائية أربعة أمثال غيره من الفئران التى تتعرض لذات التجربة ! .

غير أن أكثر الدراسات إثارة هى تلك التى أجراها أحد الباحثين الأمريكيين تحت إشراف البروفسير رينز سبتز . فقد أجرى الباحث مسحاً شاملاً لمؤسستين متماثلتين تماماً من مؤسسات رعاية الأطفال الرضع ، وكان الفارق الوحيد بينهما أن إحدى المؤسستين كانت تعهد بالأطفال إلى أمهاتهم ، بينما تعتمد الثانية على أمهات بديلات تعملن ساعات طويلة ، وتشرف كل واحدة على إثنى عشر طفلاً . وتناولت الدراسة : الحالة الجسمانية ، والعلاقات الإجتماعية ، والتوافق العضلى ، والذكاء العام للأطفال ... الخ ، وقد حصل أطفال المؤسسة الأولى على ١٠١ نقطة فى معدلات النمو . إرتفعت خلال عام إلى ١٠٥ نقطة بينما بدأ أطفال المؤسسة

الثانية بـ ١٢٤ نقطة هبطت خلال عامين إلى ٤٥ نقطة فقط ! والموسف أيضاً أن أطفال المؤسسة الثانية فقدوا ٣٧٪ من عددهم خلال سنتين ، بينما لم تفقد المؤسسة الأولى طفلاً واحد على مدى خمس سنوات ! .

إن الحب ليس شيئاً كمالياً فى الحياة الإنسانية ، إنه عنصر حيوى فى الحياة كالماء والطعام والهواء . فكل إنسان يحتاج أن يكون محبوباً لكى يكون ناجحاً ! .

والمكروه ..

وكما يتنوع البشر فى كل العالم بين أثرياء يملكون الملايين وفقراء لا يملكون قوت يومهم ، كذلك تتباين أنصبة الناس فى أشياء كثيرة - كالحكمة والمعرفة والذكاء ... إلخ .

والحب أيضاً هو واحد من هذه العناصر التى تختلف فيها الأنصبة . فبعض الناس يملكون الحب كنهر فائض يغطى شطوط حياتهم وعلاقاتهم ، والبعض لا يملكون منه حتى قطرات الندى ، فحياتهم وعواطفهم ومشاعرهم جافة قاسية ، وقلوبهم صحراء صفراء لا ينبت بها غير الشوك ! .

بعض الناس أثرياء بالحب ! قلوبهم عامرة به ، وهم أيضاً أسخياء فى توزيعه . إنهم ينالون الحب فيمنحونه ويستثمرونه فيزدادون ثراءً . وبعض الناس فقراء فى الحب ، وهم أيضاً يضنون به على الغير ، فيزدادون عزلة وفقراً .

بعض الناس مكروهون لإنهم أشرار ظالمون ، أو لأنهم طغاة مسيطرون ، أو لأنهم يتطفلون على حياة الآخرين . وبعض الناس مكروهون لأنهم أنانيون جشعون طماعون - يزاحمون الناس ويغتصبون حقوقهم . وبعض الناس مكروهون لأنهم سلبيون لا يتعاونون ولا يساعدون أحداً . أنهم كارهون مكروهون ، والكراهية فى حياتهم نتيجة طبيعية لما يزرعونه .

غير أن هناك من الناس من هم مساكين حقاً فهم بشر عاديون - ينشدون الحب ، لكنهم لا ينالونه - ليس لظلم أو شر فيهم - لكن لأنهم لا يملكون الجاذبية الكافية ، أو لأنهم لا يتمتعون بخفة الظل ، أو لأنهم منطوون عاجزون عن التواصل مع الأخرين ، أو لإنهم فقراء مطحونون غير قادرين على المشاركة ! هؤلاء المساكين يحتاجون إلى الحب لكنهم لا يجدونه ، يطلبونه ولا ينالونه دون ما ذنب

إقترفوه ! .

هؤلاء الجياع إلى الحب يعانون كثيراً ويتألمون كثيراً . وقد يقع بعض منهم فريسة للإحباط - وربما للجريمة ! .

أنهار الحب لابد أن تتدفق ..

إن أنهار الحب لابد أن تستمر جارية متدفقة فى أراضيها ، ولو أنها توقفت لتحولت الحياة إلى بحيرات ميتة راكدة آسنة . فكما تتحرك الثروات لإنعاش الحياة الإقتصادية ، هكذا ينبغى أن يتداول الحب بين الناس لإنعاش ربيع الحياة وخضرتها الدائمة . وكما تفتقر الدولة التى لا تستثمر مواردها ، هكذا يفتقر البيت ويفتقر المجتمع الذى يكتم حبه ، فحين تتوقف موجات الحب تتصحر المشاعر .

الحب هو أحد عطايا الله التى يسكبها فى قلوب المحبين ، ليعالج بها أشواك الحياة ودموعها . إنها الندى والمطر الذى ينعش الأرض لتدب فى عروقها أسباب الحياة .

وحين يأمرنا الله بالعطاء ، فإنه لا يقصر هذا العطاء على المال فحسب ، بل على الحب أيضاً . فالمال إحتياج حقيقى ، والحب احتياج حقيقى . وقد يكون الحب هو الإحتياج الأعمق فى حياة الكثيرين ! .

إذا لم تكن محبوباً ! ..

لعل من أبغض الأشياء على النفس أن يحس الإنسان أنه مكروه ! فكما أن الحب حياة ونضرة ، فإن الكراهية ظل قاتم يعانى منه الكاره والمكروه على حد سواء . والحياة فى ظل الكراهية كالحياة فى جوف بئر ملوث تحت أبخرة خانقة صدئة ! .

إذا كنت تحس أنك لست محبوباً بالكفاية ، فإفحص الأمر ، فربما يكون ذلك مجرد إحساس خادع لفرط حساسيتك ! فإذا تأكدت من صدق مشاعرك ، فأنظر لماذا لا يحبك الناس ، فقد يكون هناك ما يحتاج إلى تقويم فى علاقاتك ! فإذا لم يكن هناك أيضاً شئ من العثرات فى علاقتك بالآخرين فلا تيأس ، فمازال هناك طريق مضمون لإكتساب الحب إنه منح الحب ! .

فأفضل طريق تصل بها إلى حب الآخرين هى أن تمنح لهم مزيداً من حبك وقلبك . فالحب كما سترى إستثمار جيد وورقة رابحة دوماً . فكلما أنفقت ربحت ، وكلما أعطيت زاد رصيدك ! .

نبع الحب الذى لا ينضب ! ..

وفوق كل شئ ، هناك نبع الحب الذى لا ينضب . إنه الله سبحانه وتعالى . إنه جوهر الحب وأساسه وأصله .

إننا كبشر قد نحب وقد نكره ، ولنا ميول ومشاعر خادعة مخدوعة ، ولنا فى خصائص الآخرين ما يجذبنا أو ينفرنا أو يبعدنا . لكن الله سبحانه يحب كل فرد فى خليقته ، ويرى فيه قيمة وجمالاً ! وهو يرعى كل أفراد البشر مهما كانت ألوانهم أو مواقعهم أو تقييم الناس لهم .

إن الله يحب المنبوذين المطرودين الذين لا يحبهم أحد ! إنه يقبل المشوهين والضائعين والمكروهين ! وهو فى حبه يسعى إلى جميع المهجورين المرفوضين - يعالج إجدابهم وعزلتهم ويشفى مشاعرهم المحبطة والجريحة .

ومعجزات الله من خلال الحب تتجلى فى كل يوم ، فكم من شرير ظالم حاقد مكروه تحولت حياته بين أصابع الله إلى بركات فائضة من الحب والعطاء . فمحبة الله تغسل القلوب . وتطهر الضمائر ، وتلون الحياة الأنانية القاتمة بألوان الربيع والزهور !

إن الله محبة فافتح قلبك لله لتغتسل فى أنهار الحب ! .

صرخة إنسانية

يـــارب

أريد قلباً جديداً محباً -

أريد أن أغتسل فى نهر حبك المتدفق .

إن أبخرة الأنانية الصدئة تملأ حياتنا -

تلوث أجواء بشريتنا -

تخنق نسمات ربيعنا -

تحصد لنا الشوك والدموع -
تملأ مخازن مشاعرنا بالحزن والأسى ! .

نعلم أنك الحب ،
وأنك النبع والمنتهى .
فاغسل قلبى من الأنانية والحقد ،
أغمرنى بروحك وحبك ،
هبنى قلباً جديداً نابضاً بحبك ،
غيرّ طبيعتى .
أنقلنى من جفاف حياتى ،
من صحراء معتقدى .
هبنى أن أصطبغ بألوان محبتك ،
أكشف لى طريقاً لحياة جديدة -
من عمل روحك - روح الحب والسلام ،
وليس من لغو البشر -
المغموسين من بحور الدماء .
إقتلع جذور حياتى من أرض الزيف ،
وأغرسنى فى حقك ورضاك .

يارب

بالحب وحده يهدأ بركان الغضب

منذ أشهر قرأت حادثاً مثيراً قد لا يكون فريداً فى نوعه ، لكنه على أى حال يعتبر دليلاً واضحاً لما يمكن أن يصل إليه الإنسان مدفوعاً بالغضب .

وتدور القصة التى أوردتها الصحف حول شابين شقيقين يعيشان معاً فى حجرة واحدة : أحدهما طالب والآخر عامل .

ولما كان من حق أى منهما أن يزيّن الحجرة بما يراه صالحاً ومناسباً فقد إختار الطالب لذلك صورة لفريق من نجوم كرة القدم يتبع أحد الأندية الرياضية .

ولما كان الأخ الآخر لا ينتمى إلى النادى نفسه فقد ساءه أن يرى أمام عينيه فريقاً منافساً لناديه ! وأن يلقى هذا التكريم فى حجرته ! لذلك فقد عتب على أخيه هذا التحدى لمشاعره ، وكان من الممكن طبعاً لصاحب الصورة - وهو الطالب المتعلم - أن يتجنب ما يسبب الشقاق ، وأن يتحلى بروح رياضية تسمو بغرائزه وعواطفه ، لكنه بدلاً من ذلك إستشاط غضباً ، وأسرع إلى السكين ليغمدها فى صدر أخيه ! .

ولا نعلم كم أحس الجانى بالندم لفعلته الحمقاء وخاصة عندما حاول الشقيق أن يدفع عن أخيه الإتهام مختلقاً أسباباً أخرى لإصابته ! .

لقد غضب ففقد صوابه وإرتكب ما عاد عليه بالندم ! .

الغضب عاطفة إنسانية

ونحن لا نستطيع أن نوجه اللوم للناس عندما يغضبون ، فأنا وأنت وكل الناس يغضبون أحياناً ، وقد يحدث هذا كثيراً أو قليلاً أو نادراً ، لكنه يحدث ، لأن الغضب عاطفة إنسانية تلازم الإنسان منذ أن تنفتح عين الوليد على الدنيا ، وربما قبل ذلك أيضاً إذ يقال :

إننا نحس بنوبات غضب بدائى ونحن فى بطون أمهاتنا .

يختلف الناس فى قدرتهم على التحكم فى عواطفهم ، وفى وسائلهم لتصريف الغضب ، وهم فى ذلك أشبه ما يكونون بالبراكين ، فهناك براكين هادئة وثانية راكدة وثالثة عنيفة ، لكنها جميعها تحوى فى داخلها الغازات والأبخرة الساخنة المحتجزة خلف سدادة من الصخور ، وحين تتراكم الأبخرة وترتفع الحرارة إلى ما فوق التسخين - عندئذ تنفتح فوهة البركان ، وتزمجر الأحجار ، وتندفع الحمم ، لتدمر أمامها جميع صور الحياة ، بل قد يتمزق جسم الجبل كله ويصبح إرْباً إرْباً ! .

ونحن حين تغلى فى داخلنا مراجل الغضب فإن هذا ينذر بشر خفى . فإذا ما أسفر ذلك عن ثوران صريح إنفتحت أفواهنا عن كلمات التشهير والتهديد وسهام التجريح والأذى والعيب ، فكان ذلك كله شراً صريحاً يكشف ما كان خافياً مستوراً داخل صدورنا ومثلما يكشف البركان عما يحتويه فى جوفه من المعادن البخسة أو الثمينة - كذلك يُظهر الغاضب الثائر ما يشكل معدنه ويكشف دخائله .

وإذا قلنا : أن ثوران الغضب شر - فإننا لا نستطيع أن نتجاهل أن هناك بعض الخير فى أن تغضب وأن تعلن عن غضبك بصورة واضحة .

لكن المعادلة الصعبة هى أن تستطيع أن تغضب ولا تخطئ .. فإذا فعلت ذلك تكون قد جنيت العسل دون أن يلسعك النحل .

الغضب : خير قليل

وللغضب وجه طيب برغم ما فيه من عيوب : فهو يقوم بدور صمام الأمان فى حياتنا العاطفية : فعندما يتحول الغضب إلى ثورة يكون ذلك المتنفس الوحيد الذى يقينا العواقب الوخيمة للكبت المدمر .

ويقول العلماء : إنه من الأفضل أن نفتح الباب للغضب ، ليعبر تعبيراً صريحاً فى قنواته الطبيعية ، فذلك خير من الكبت الذى سيؤدى بنا فى نهاية الأمر إلى أن نطلقه على مواقف الحياة العادية .

ويرى البعض أن التعبير عن الغضب إذا إقتصر على كلمة ساخطة أو فعل شديد - لا يصل إلى حد العنف - قد يكون كافياً لإعطاء الإحساس بالراحة التامة ، فى الوقت

الذى يمكن أن يحطم الكتمان والكبت حياة الإنسان بجملتها من الداخل .

الغضب : شر كثير

كالبركان حينما يثور ، فلابد أن تنطلق الحمم لتغطى وجه الحياة بالتخريب والدمار ، وتأتى بالشر إلى حيث كان الأمن والسلام ، وحمم الغضب كثيرة ، وقديماً رأى الفلاسفة الإغريق فى الغضب إنه سيادة للعاطفة على العقل وأنه مصدر لشرور كثيرة ،

ولعل أبرز هذه الشرور التى تصيب الغاضب الثائر :

- **الخجل والندم :**

لعلنا جميعاً نعلم أننا فى غضبنا كثيراً ما نأتى أفعالاً أونطلق كلمات نخجل منها حينما تهدأ ثورتنا ، بل كثيراً ما نحس بالندم الشديد وقد سمعت يوماً قصة عن رجل داس على قدم أحد السادة الأثرياء، فما كان منه إلا أن صفعه صفعة شديدة على وجهه ، لكنه ما كاد يتأمل الوجه الذى صفعه حتى رأى ما جعله يندم على ما فعل شديد الندم ، ذلك لأن الرجل كان ضريراً ! .

وهناك قول حكيم أورده أمير الشعراء شوقى على لسان ليلى العامرية إذ قال :

ما لى غضبت فضاع أمرى من يدى

والأمر يخرج من يد الغضبان !

قالوا : أنظرى ما تحكمين فليتنـــى

حكّمت عقلى أو ملكت جنانى !

- **الشعور بالإثم :**

ويرتبط الغضب كثيراً بالإحساس بالذنب حينما نثور على من هم أقل منا قوة ، أو من لا يملكون الدفاع عن أنفسهم أمام عدواننا .

ونحن نعرف هذا الإحساس عندما يدفعنا الغضب والإنفعال إلى معاقبة الأطفال الصغار بقدر أكبر بكثير مما يستحقون ، وليس بدوافع التربية بقدر ما هو فشل فى ضبط النفس بإزاء أحداث بسيطة لها فى دنيا الصغار ما يبررها .

ونحن عندما نرى الدموع الحائرة فى عيون الأطفال العاجزين عن الرد - فإننا نحس بالألم الشديد وهو ما يحدث أيضاً عندما نسئ للشيوخ والعجائز والفقراء .

وقد أحسن من قال : " خير أن تعانى الإساءة من أن تفعلها ، لأن الإحساس بالذنب أكثر ألماً من الإساءة نفسها .

- **أضرار فسيولوجية :**

للغضب تأثيرات ضارة كثيرة تصيبنا فوراً ، وتظهر علاماتها فى توتر العضلات وإصطكاك الأسنان وحدة التنفس وسرعته . وعند الغضب تضيق الشرايين ويزداد ضغط الدم ، وتندفع الدماء إلى أعضاء العدوان فينا ، فنحس بقوة غير عادية فى أيدينا وأرجلنا سرعان ما تخبو تاركة تأثيراً سيئاً .

وتزايد الإفرازات الحمضية فى المعدة نتيجة الغضب يتسبب فى تآكل جدرانها - وهو ما يسمى بقرحة المعدة - أو ما يطلقون عليه " جرح الحضارة الحديثة " ، بل إن القلب - وخاصة القلب المريض - لا يسلم من الآثار الجانبية للغضب : فنحن عندما نثور فإن ذلك يؤدى إلى سرعة جريان الدم الذى قد لا يستطيع القلب أن يتحمله ، عندئذ قد يضطرب عمل أحد صماماته أو يتوقف كلية نتيجة للإرهاق الشديد ، وكثيراً ما سمعنا عن أشخاص فارقوا الحياة فى أثناء ثورة غضب .

والعين أيضاً لا تنجو من الإضطراب ، فقد يندفع الدم إلى شرايين العين مما يؤدى إلى فقدان البصر بصورة مؤقته .

ولعل هذا لا يحدث دائماً ، ولا يحدث جميعه لشخص واحد ، لكنها على أى حال أضرار يجدر بالعاقل أن يتجنبها .

تعقل الإنسان يبطئ غضبه

إذا كان للغضب كل هذه - المضار فكيف نتقى شره :

إن الإحتكام للعقل والإستشراد به قد يكون هو الطريق لإبطاء الغضب ، ولعل من أجمل ما قيل فى ذلك قول الحكيم سليمان : " كلمات الحكماء تُسمع فى الهدوء أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال ، فالحكمة خير من أدوات الحرب ، والبطئ الغضب خير من الجبار " .

ويحسن هنا أن نورد بعض كلمات أحد علماء النفس المشهورين (الدكتور إدموند برجلر) يقول : " إذا إستبد بك الغضب يوماً فتذكر أن الذى أغضبك إنما فعل ذلك ، ليجد فيك متنفساً لصراع فى داخله .. فالمشكلة ليست مشكلتك ، ولكنها مشكلته هو ، فلماذا الغضب إذن ؟ .. " .

" فليكن كل واحد مسرعاً فى الإستماع مبطئاً فى التكلم ، مبطئاً فى الغضب " .

الحب يستقطب الغضب

إذا كان العقل هو السبيل لإبطاء الغضب وإرجاء ثورته فإن

الحب هو السبيل للقضاء عليه وإجتثاث مرارته ،

فالحب يلتمس الأعذار للجميع ، الحب يتأنى ويرفق ،

الحب لا يتفاخر ولا ينتفخ ،

الحب لا يحتد ولا يظن السوء ،

الحب يحتمل كل شئ ، ويصبر على كل شئ ! .

لكن الحب لا يُصنع - ولا يقدر إنسان أن يتكلف الحب ،

لأن الحب هو صدى وجود الله فى قلب الإنسان .

فإذا كنت ضجراً غضوباً - فإحذر ألا يكون الحب فى قلبك ! .

٩ - مبادئ إنسانية ..

لا تعطى أجازة لقلبك ،

بل دعه ينبض بالحب وبالشوق لله .. !

منذ شهور قليلة ، فوجئ المارة بأحد ميادين مدينة الإسكندرية بصوت طلقات نارية ، أعقبها سقوط سيدة وسط بركة من الدماء ! .

وإنعقدت الألسنة وهى ترى شاباً صغيراً ينحنى فوق جثة القتيلة ، ويضمها إلى صدره ، ويقبلها فى حب شديد ! .

وتختلط دموع الزوج الشاب بدماء الزوجة الساخنة ، بينما يتصاعد الدخان من المسدس الذى كان لا يزال فى يد الزوج ! .

كان الزوجان - اللذان لم يمض على زواجهما غير شهور قليلة - يقضيان أجازة قصيرة على شاطئ البحر ، ليستريحا من مشكلاتهما الكثيرة . فالزوجة تعانى من مشكلات معقدة ، والزوج يعانى من ضغوط نفسية وشكوك قاتلة . كما أن حياتهما الزوجية القصيرة إنطوت على تفاصيل كثيرة متشابكة تحيطها الظنون والتداخلات المتشعبة . المهم أنهما سافرا فى أجازة هادفة طلباً للراحة وإلتقاط الأنفاس وإسترداد الصفاء . وبعد أن قضيا الأيام الثلاثة ، قررا العودة . بينما كانا ينتظران السيارة ، تلقى الزوج مكالمة هاتفية على تليفونه المحمول ، فأخرج مسدسه وأطلق النار على عروسه المحبوبة ، ثم إنخرط فى البكاء ! قال الزوج فى إعترافاته إنه يحبها ، ولم يكن يقصد أن يقتلها ، بل كان يريد أن يقتل الشيطان الذى فيها ! .

وبغض النظر عن كلمات الزوج ، ودون تدخل فى تفاصيل القصة أو فى دوافعها ، فإننا نأخذ من كلمات الزوج القاتل إشارته إلى الشيطان ، فنقول إن الشيطان موجود دائماً فى كل جريمة ، وإن كنا لا نعلم إن كان وجوده فى الزوجة أم فى الزوج أم فى كليهما - المهم أنه موجود .

لقد كان الزوجان فى أجازة ، لكن الشيطان لا يأخذ أجازة قط . إنه المخلوق الذى

يعمل ليلاً ونهاراً وفي كل وقت وفي كل مكان . فإذا أخذت أجازتك ، فتذكر أن الشيطان مازال يعمل ! .

الأجازة والراحة

الأجازة هي التوقف عن العمل بعض الوقت للراحة ، والترفيه عن النفس ، وإسترداد الطاقة ، وإلتقاط الأنفاس . والأجازة هي فرحة الطالب بعد جهد الدراسة طوال العام ، وهي راحة العامل الذي يكدح يومياً في إنتظار عطلة نهاية الأسبوع ، وهي إنتظار الأسرة كلها لتلتقي معاً بعيداً عن الإلتزامات الجبرية والمسئوليات الروتينية .

لكن بعض الناس ينشغلون بأعمالهم إلى حد الإدمان - إدمان العمل . فهم يعملون بلا توقف حتى يسقطون صرعى للإرهاق والتوترات العصبية - وربما للجريمة أيضاً . وهم بذلك لا يخطئون إلى أنفسهم فقط بل إلى أعمالهم وإلى أسرهم أيضاً .

وعلى الجانب الآخر - فهناك من يعيشون في أجازات ممتدة ، وفي حالة هروب دائم من العمل ، فهم لا يطيقون الإلتزام أو التنظيم ولا يحبون الجهاد ، فيصيبهم الخمول والتراخي والكسل .

والحقيقة هي أن الأجازة وإن كانت راحة للنفس والذهن والجسد والأعصاب ، إلا أنها إذا دامت لا تصبح متعة . فمتعتها تأتي من مجيئها بعد معاناة العمل لتكون مكافأة للنفس على ما حققته من إنجاز .

الأجازة والمتاعب .. !

ومع أن الأجازة كما قلنا راحة للنفس والجسد والذهن ، إلا أنها أحياناً لا تكون كذلك ، **بل إنها قد تأتي بالمتاعب ! وذلك لأن البعض يظن أن الأجازة هي تعطيل لكل شئ ، بما في ذلك العقول والضمائر والمبادئ والأخلاق .** وبسبب هذا الفكر الخاطئ تكثر المشكلات والمشاحنات . فعلى شاطئ البحر مثلاً يحتك المصطافون أحياناً ، ويتبادلون الشتائم ، ويتنازعون على المواقع ، وقد تتطاول الألسنة ، وتستباح الخصوصيات ، وتنتهي جلسات الراحة والإسترخاء بالمشاجرات والتواعدات .. إلخ . وكأن البحر الواسع الممتد آلاف الأميال لا يتسع لبضعة آلاف من المصطافين !

وفى كثير من الرحلات الجماعية تقع الخلافات بسبب إحتكاكات طارئة وأسباب تافهة ، وكأن الناس يصطنعون المشكلات خصيصاً حتى لا يتمتعون بأجازاتهم أو ليحرموا الآخرين من المتعة والسعادة ! .

أجازة بلا عقل

منذ بضعة شهور - أراد رجل إسكتلندى يدعى واين جاكسون أن يأخذ أجازة - يتنزه فيها مع زوجته وولديه . لكن العقبة التى كانت تؤرقه هى وجود طفلته الرضيعة ذات العام والنصف ، فالعناية بها ستفسد عليهم أجازاتهم . لذلك فقد حمل طفلته وتوجه بها إلى أحد مراكز الشرطة ، حيث تركها فى ركن من الأركان ، ولم يترك معها سوى بطاقة صغيرة تحمل رقم تليفون حماته ! .

فعل ذلك ومضى سعيداً ليستمتع بأجازته !

وبالطبع فقد أحيل للمحاكمة لتعريضه حياة الطفلة للخطر ، ولأنه تصرف بلا وعى مانحاً عقله أجازة أيضاً ! .

وأجازات بلا أخلاق

وهناك قصص متكررة عن أفراد كثيرين يسافرون للنزهة ، فيتعمدون قضاء أجازاتهم فى بلاد بعيدة عن موطن إقامتهم . ولأنهم فى بلاد لا يعرفهم فيها أحد ، فإنهم يمنحون أجازة لكل الفضائل والأخلاق والمبادئ والتقاليد والأصول ! فنراهم يسكرون ويرتادون الملاهى الليلية ، والأماكن المشبوهة ، وبيوت الدعارة ، مع أنهم فى بلادهم يتشدقون بالمبادئ - بل ويمارسون العبادات ! .

المشكلة هنا هى أن البعض يظن أن الأعمال المخزية ضرورة من ضرورات المتعة بالأجازة السنوية ، ويحسبون أن " الأجازة الأخلاقية " ثقيلة الظل قليلة القيمة ! .

وقد قرأت عن شاب عربى ينتمى إلى أسرة ثرية ، قبضت عليه الشرطة فى بلد أوربى وهو يسرق بعض المعلبات الرخيصة - التى كان بإمكانه شراؤها ، لكنه تصور أن الأجازة لا تكون أجازة حقاً دون مغامرة يحكى عنها عندما يعود ، والمغامرة لا تكون مثيرة حقاً إلا بإرتكاب الممنوعات وإقتراف المحرمات ! .

وأجازات بلا ضمائر

فى الربيع الماضى - سافر العروسان لقضاء شهر العسل فى رحلة سعيدة بين الموانى . وفى طريق عودتهما لم يفكرا فى عمل جميل يختتمان به أجازتهما العسلية ، ويستهلان به حياتهما الزوجية . بل هداهما تفكيرهما العقيم إلى جلب الهيروين ليقتل شباب بلدهما . وعلى الحدود الإيرانية سقط العروسان فى يد السلطات - ليطول شهر العسل ، وتمتد الأجازة داخل أحد السجون لسنوات طويلة - وبالرفاء والبنين ! .

إن غياب العقل وغياب الوعى وغياب الأخلاق تؤدى إلى عواقب وخيمة ، لكن أعظم الأخطار فى حياتنا الإنسانية تحدث حين يكون الضمير أيضاً فى أجازة ! .

إستدعاء عاجل

قال لى صديق إنه أراد مرة أن يقضى أجازته السنوية فى مكان هادئ بعيداً عن المدينة ، فقرر أن يذهب مع زوجته وأولاده إلى بيت الأسرة القديم فى أحدى القرى . ولما كان البيت مهجوراً منذ سنوات فقد ذهب أولاً لإعداده ، ثم ذهبت الأسرة كلها ، فقضوا هناك أجمل الأيام بين الحقول الخضراء . لكنه فى اليوم السابع تلقى إستدعاءً عاجلاً للعودة إلى العمل ، فقد كان يشغل منصباً عسكرياً هاماً . ولم يكن بد من أن يجمع حقائبه - لتعود الأسرة كلها إلى المدينة وهى تنعى حظها العاثر ! .

ويضيف محدثى القول إنه فور وصوله لبيته ، تلقى مكالمة من أحد رجال القرية ينبئه بأن المنزل قد إنهار تماماً ! ورفع الرجل يديه بالشكر لله من أجل الإستدعاء العاجل . لقد قطع الله أجازته قبل أن يدركه الخطر ! .

وربما تكون أنت يا عزيزى القارئ عائشاً الآن فى موقع خطير - تتعرض فيه حياتك للأذى . ربما تكون فى أجازة من الوعى ، وربما تكون قد أعطيت أجازة لعقلك أو لضميرك ، وربما تكون مستريحاً فى أجازة " اللا مبالاة " ، أو " الإهمال " ، أو " الفتور الروحى " ، أو " المادية " ، أو " حب المال " ، أو " الشهوات الشبابية " ، أو " التدين الظاهرى " . ربما تكون فى حالة إسترخاء مريح غافل ! .

ولعل الله يوجه إليك اليوم إستدعاءً عاجلاً لتعود من أجازتك الطويلة التى طالت إقامتك بها .

ربما يدعوك الله الآن إلى الصحو والتفكير وإسترداد الوعى ، وإسترداد نفسك الغالية .

ربما يدعوك الله اليوم للرجوع إلى موقع الأمان وضمان الحياة الراسخة والمستقبل الأبدى .

- لا تعط أجازة لعقلك فتحيا بلا وعى .
- لا تعط أجازة لأخلاقك فتحيا حياة عابثة .
- لا تعط أجازة لضميرك فتغيب عنك إنسانيتك .
- لا تعط أجازة لقلبك ، بل دعه ينبض بالحب وبالشوق لله .
- وإمنح أجازة مفتوحة للإهمال والشر ، وإكسب حياتك وأيام عمرك .
- إصغ لصوت الله وعش حياة واعية ! .

صرخة إنسانية

يارب

أشكرك من أجل العمل ،
وأشكرك من أجل الراحة ،
أشكرك من أجل الإسترخاء ،
وأشكرك من أجل الصحو .

أعطنى أن أتنبه لصوتك ،
أعطنى الوعى الذى يدرك معنى كلامك ،
أعطنى القلب الذى ينبض بحبك ،
وأعطنى العين التى تتعلق بك .

أعترف إليك بكسلى وتهاونى وغفلتى ،
أعترف إليك أننى نمت كثيراً .
وكأن الشيطان مستيقظاً ! .

فأيقظنى من غفوة الإسترخاء والإهمال ،
أيقظنى من إستراحة التدين الظاهرى ،
أيقظنى من تمثيلية العبادة الشكلية -
التى أريح بها ضميرى .

أخرجنى من أجازة اللا وعى ،
أخرجنى من بلادة الإستسلام للشر ،
إقبل لجوئى إليك ،
وأكشف لى طريق الحياة ،

يارب .

١٠ - مبادئ إنسانية ..

الله هو الحب المطلق ، ووجوده فينا هو الذى يضمن وجودنا

- العالم كله مشحون بالأطماع ، والمنازعات الفردية ، والأهواء الجامحة والرغبات المتضاربة ! .
- هان على الناس ذبح القيم العظيمة ، التى كان الحب على رأسها ! .
- قتل الناس الحب تحت أقدام الأنانية ، فسيطرت على البشر روح العصابات ، وقطاع الطرق ! .
- الحب الإلهى هو المادة اللاصقة التى تجمع شتات العالم المفكك ! .
- يلزمنا أن نختبر إختباراً روحياً جديداً مميزاً ، حين يبعث الله فى قلوبنا قبساً من روحه ، ويبصرنا بطريق الخلاص الأبدى ! .

إهتزت الآلة الكبيرة إهتزازاً عنيفاً ، وأحدثت ضجيجاً هائلاً ، كادت تتصدع له حوائط المصنع الكبير ! فقفز أحد المهندسين ، وأوقف التيار الكهربائى ، قبل أن تحدث كارثة تحطم المصنع كله ! .

وإجتمع المهندسون حول الآلة ، على حين عقدت الدهشة ألسنة الإداريين ، الذين لم يكن لهم دراية بأسرار القوى الآلية .

وأجاب أحد المهندسين مفسراً ما حدث ، فقال : هذه الآلة يقوم بتشغيلها محركان . وهذان المحركان يدوران فى إتجاه واحد ، ويدفعان جسم الآلة إلى الأمام . لكن الذى حدث الآن جاء نتيجة خلل ميكانيكى ، جعل أحد المحركين يعمل فى إتجاه مخالف لإتجاه المحرك الآخر ! وهذا الخلل كفيل بتحطيم الآلة تماماً ! وهذا الضجيج الذى سمعناه لم يكن سوى مقدمة ونذيراً بوقوع الكارثة ، فكان لابد من إيقاف الآلة وتوحيد القوى العاملة فيها .

هذه القصة تمثل ما يحدث الآن فى عالمنا ، الذى يشبه آلة كبيرة تخالفت فى

داخلها إتجاهات القوى المحركة ، فعلا ضجيجها ، وزمجرت تروسها ، حتى كادت تتحطم ! .

هذا العالم المفكك !

إن السطور العريضة على صفحة حياة البشر ، توضح أن العالم أصبح كقطعة خبز ، تتنازعها عشرات الأيدى ، ليس جوعاً ، لكن طمعاً . فالعالم مشحون بالأطماع ، والمنازعات الفردية ، والأهواء الجامحة ، والرغبات المتضاربة .

ولقد سيطرت على دنيانا روح الأنانية ، والنفع الذاتى ، والحافز الشخصى ، فهان على الناس ذبح القيم العظيمة ، التى كان الحب على رأسها ، فقتل الناس الحب تحت أقدام الأنانية ، وسيطرت على البشر روح العصابات وقطاع الطرق .

إن من يقرأ أخبار الجريمة فى كل بلاد الدنيا ، يكاد يعتقد أن **العالم مجرد غابة ، إنطلقت وحوشها الجائعة ، فى حرب محمومة . وهذه الحرب الطاحنة لن تهدأ قبل أن تخلف وراءها حطام الإنسان الهالك ! .**

فكل صباح جديد ، يحمل لنا مزيداً من أخبار القهر والظلم والتجبر . وكل مساء يأتى بمزيد من أخبار الفساد والمجون ، التى تقوم على الرق والإستغلال ومهانة المستضعفين لصالح المستغلين ! .

فعلى مستوى الأفراد ، نرى السرقة ، والإغتصاب ، والظلم ، والبطش ، والتحايل . **فأين الحب ؟ !** .

وعلى مستوى الجماعات ، نرى التنافس غير الشريف ، والتآمر الخفى ، والتطاحن الظاهر . ونرى التعصب والتسلط ، والرغبة فى التسيد وفرض السلطة على الآخرين . **فأين الحب ؟ !** .

وعلى مستوى الدول ، نرى التطاحن ، والتجسس ، والتسابق على التسلح ، وتجارة الدمار والتخريب ، **حتى أن نسبة ضئيلة مما يخزنه العالم اليوم من الأسلحة النووية تكفى للقضاء على جميع أشكال الحياة على الأرض .** أى أن الدول تنفق أموالها فى صنع أدوات الهلاك ، لتقتل الأبيض والأسود والأصفر ، والشيخ والطفل والرضيع . **فأين الحب ؟ !** .

لقد شكلت مطامع الأفراد ، والجماعات ، والدول ، نسيجاً خشناً من الكراهية والحقد ، تشابكت خيوطه ، وتداخلت ألوانه ، حتى صار وجه العالم قبيحاً مفككاً .

بالحب نعيش

والحب هو

المادة اللاصقة ، التى تجمع هذا العالم المفكك ! . إنه الزيت الذى يجعل العلاقات الإنسانية ناعمة ، والإحتكاكات أقل خشونة ! . إنه النار التى تذيب العواطف الجامدة ، والمشاعر الثلجية ! . إنه الغذاء الحقيقى ، الذى يشبع النفس ، فتترفع عن الأنانية ! . إنه الدواء الحقيقى للنفوس المريضة .

لاحظ طبيب أمريكى أن الطفلة الصغيرة التى كان يعالجها ، تتقدم نحو الشفاء بخطوات بطيئة . فأعاد فحصها ، فلم يجد مبرراً لذلك . لكنه لاحظ أنها طفلة حساسة للغاية ، وأنها تتجاوب مع المعاملة الحانية . فأدرك أن تقدمها البطئ قد يكون بسبب خوفها من إحدى الممرضات ، أو تخوفها من الجو المحيط بها عامة ، فكتب فى تذكرتها الطبية : **هذه الطفلة تحتاج إلى جرعة من الحب كل أربع ساعات ! .**

إننا نحتاج دائماً إلى جرعة من الحب ، والله يعلم هذه الحقيقة عنا . إنه يعلم أننا بالحب نعيش ، لذلك فهو لا يعطينا الحب فى جرعة يومية ، بل يقدم لنا حباً دائماً أبدياً ! .

فالله هو الحب المطلق ، ووجوده فينا هو الذى يحفظ حياتنا ووجودنا . إننا بالحب نعيش .

على حائط أحد الملاجئ كتب نزيل مجهول هذه الكلمات :

لو كان المحيط حبراً ، والسماء ورقاً ، وكل عشبة فى الحقل قلماً ، وكل إنسان فى الوجود كاتباً ..

فإن مداد المحيط سينفد قبل أن نستطيع أن نكتب قصة الحب الإلهى ، ولن تتسع صفحة السماء للقصيدة التى عنوانها " الله محبة " .

إن الله المحب يقود ـ بالحب ـ أكثر الناس شراً إلى أعمق الإختبارات الروحية ، التى تذوب فيها الأطماع والشهوات ، وتنمو فيها روح الحب والأثرة والعطاء .

كثيراً ما يخدعنا الشيطان ، فيصور لنا أننا نحب الله . ويضع الشيطان أمامنا الأدلة التى نرددها كلما تحركت ضمائرنا . فنقول : نعم نحن نحب الله بدليل أننا نفعل ما أوصانا به ، ونقدم له العبادة ، ونقيم الفروض ، أو نمارس الطقوس الدينية بدقة ، إبتغاء مرضاة الله .

وهذا ليس دليلاً على حبنا لله ، بل قد يكون تعوداً ، أو خوفاً أو مجاراة للمجتمع المحيط ! .

إننا كثيراً ما نبغض أخوة لنا نراهم ونعرفهم ، فكيف نحب الله الذى لا نراه ، ما لم نكن نعرفه معرفة قلبية ، ونبصره بعيون الإيمان التى ترى وراء المنظور؟ ! .

إننا لكى نحب الله ، يلزمنا أن نختبر إختباراً روحياً جديداً مميزاً . وهذا الإختبار الجديد - إختبار شخصى فردى - لا يشاركنا فيه أحد ، ولا نقلد فيه أحداً .

إنه إختبار رؤية الله رؤية قلبية ! حين يبعث الله فى قلوبنا قبساً من روحه ، فيبصرنا بسبيل الخلاص من رواسب الفكر البشرى المحدود القاصر ، ويخلصنا من أساليبنا البشرية فى عبادته ، ويفتح أمامنا أبواب السماء لنرى ونفهم كيف ستكون الحياة الأبدية ، التى ستحيا فيها أرواحنا فى الأجواء القدسية الإلهية .

فإذا نحن أتينا إلى الله معترفين بخطايانا وآثامنا .

وإذا نحن خلعنا عن أنفسنا غلاف التدّين الغليظ الذى يثقل ظهورنا ، ويغلق عيوننا ، ويقودنا إلى ممارسات نمطية ، لم تغير حياتنا ولا حياة غيرنا .

إذا نحن تخلصنا من إدعاءاتنا ، وجئنا بروح الإتضاع معلنين تجاوبنا مع محبة الله ، أضاء الله أمامنا الطريق ، فنبصر الله روحياً ، ويسكب الله حبه الحقيقى ، ومعرفته الحقيقية فى قلوبنا . ويصبح خلاص الله لنا ، وغفرانه لخطايانا طريقاً واضحاً كالشمس ، ويقيناً كاملاً فى القلب .

فهل نخلع عصابة الإدعاء عن عيوننا ،

ونطلب أن ينير الله عقولنا فلندرك غاية حبه لنا ؟ .

يا رب

كنت أظن أننى أحبك ،
لكن حبى لك كان زيفاً ،
فضحتنى أعمالى الشائنة ،
التى لا تليق بمن يحب .
وكشفت زيف عبادتى الباردة ،
التى لا تنبض بالحب الصادق .

لقد تعلمت عبادتك كما تعلمت قواعد
الحساب ! .
وأفهمنى الناس أن عبادتك رابحة ،
فأقبلت عليها .
أحببتك حب التاجر للربح ،
أردت أن أصيد فى بحارك الغنية .

بدأت طريقى إليك من حيث يبدأ
الطامعون المستغلون .
فتمخضت رحلتى معك ، عن علاقة
جافة باردة لا روح فيها .
وعدت كصياد عارى القدمين .
يجر شباكاً فارغة ، فى ليلة باردة .

فلبى بارد يارب
أريد قلباً ينبض بحب حقيقى لك ،
لكننى لا أراك !
ولا أحس نبض حبك !
مع أنك تحيط بخلائقك احاطة

الهواء .
ويبصرك الذين عرفوك ،
كما يبصرون الشمس !
فأرفع عنى جبل الثلج الجاثم على
صدرى ،
وحررنى من العبادات الخادعة ، التى
إستعرتها من الآخرين .
وأعطنى صفاء روحياً ،
عيناً تراك ، تلمس وجودك .
قلباً يحس نبضات حبك وجودك .
إرفع عنى غمامة التدين المصنوع ،
وحررنى من نفسى وذاتى وصلابتى
وجمودى ،

واكشف لى :
غاية حبك لى .
فأراك .. ربى .. ومحررى
ونبع الحب الذى يشغل قلبى ،
ويمنح نفسى خلاصها الأبدى .
ويضمن الحياة الخالدة ،
في سماوات مجدك .

يارب .

١١ - مبادئ إنسانية ..

ما أعظم محبة الله التى لا تفرق أو تميز ،
وما أعظم رحمته التى تتسع لكل القادمين !

فى يوم من الأيام الكئيبة ، التى إنتشرت فيها التجارة البغيضة - تجارة الرقيق ، هبطت على الساحل الأفريقى الغربى سفينة ضخمة ، تقودها عصابة من القراصنة الجبابرة ، يحملون بنادقهم وأسلحتهم البيضاء .

وفى لمح البصر هجم القراصنة كالوحوش الجائعة ، على بيوت المواطنين المسالمين ، فهدموا الأكواخ ، وضربوا النساء ، وداسوا العجائز ، وطاردوا الرجال ، وإصطادوا الصبايا من أقوى شباب القبيلة ! .

ومع غروب الشمس ، كانت الغابة تئن تحت أقدام الغزاة المتوحشين . وهم يدفعون أمامهم عشرات الضحايا من السود ، عرايا الأجساد ، تتدفق الدماء من جروحهم القاسية ، وتتصاعد الآهات من حناجرهم الذبيحة .

وفى قاع السفينة المظلم الرطب ، أخذ القراصنة يدفعون الرجال ، وقد قيدوا أيديهم خلف ظهورهم بحبال متينة ، وشدوا أرجلهم إلى أعمدة السفينة بسلاسل خشنة ، بين الحيوانات والبضائع ! .

وإندفعت السفينة مبتعدة عن الشاطئ ، وعلى ظهرها ظل القراصنة يتصايحون فى نشوة من الفرح والكبرياء والجنون . وفى القاع كان الأسرى السود منكفئين على وجوههم ، وقد تلاحمت أجسادهم الساخنة ، والتصقت جروحهم ، وهم يتقلبون فى الوحل والدماء والدموع ، يصارعون الألم ، والعطش ، والجوع ، والعذاب ! .

وخرجت نساء القبيلة إلى الشاطئ تصرخن بمرارة ، وبينهم عروس شابة تحمل رضيعها ، وتبكى فى حزن صامت حبيبها الذى رحل .

ومرت سنوات كثيرة ، كبر فيها الطفل ، وصار رجلاً متمرساً على حياة الغابة ، ومصارعة الوحوش ، لكن عينيه وعينى الأم لم تغفل عن الشاطئ الممتد ، إنتظاراً لعودة الأب الغائب .

ولم يعد الأب ، بل جاءت عصابة أخرى من القراصنة ! .

وبعيون متقدة نظر الإبن إلى القراصنة من خلف الأشجار الكثيفة ، وأمسك برمحه المسنون ، وإرتعش جسده كالنمر المتحفذ للصيد . وإنفرجت شفتاه عن إبتسامة سعيدة ، وهو يراقب أحد القراصنة وهو يبتعد عن رفاقه ، ويندفع فى طيش وحيداً إلى داخل الغابة .

ويتسلل الشاب خلفه فى حذر وإصرار ، وقد أضمر الإنتقام ، ثم حدث ما لم يكن فى الحسبان . فقد تعثرت قدم القرصان الأحمر ، وسقط على الأرض لتصطدم رأسه بحجر كبير ، فصرخ صرخة مكتومة كالوحش الجريح ، وأخذ يعض بأنيابه جذور الشجر .

وفى هذه اللحظة رفع الصبى رمحه عازماً أن يهوى به قلب الرجل ، لكن السماء تنشق عن صرخة الأم ، تحذر إبنها من الإنتقام من رجل جريح .

وإرتخت يد الصبى - ومرت لحظات طويلة من الصمت ، ثم إنحنى فوق القرصان الراقد ، يربط الجرح ويخفف العرق ! .

وبعد لحظات جاءت الأم ، ورفعت رأس الرجل برفق لتضع على شفتيه كوباً من اللبن ! .

كانت المرأة السوداء تحمل فى صدرها قلباً ناصع البياض ! .

التفرقة والظلم

إن التمييز بين الناس على أساس اللون ، أو العرق ، أو السلالات ، ينطوى على كثير من الظلم ، ويُظهر الوجه القبيح لكبرياء الإنسان المتجبر .

فجميع البشر هم خليقة الله ، صنعنا بإختلاف ألواننا وقدراتنا ، ومنحنا جميعاً مكاناً فى مملكته العليا - كرعايا لله فى كل مكان . لنا نصيب واحد من العناية السماوية والحب الإلهى .

لكن كبرياء الإنسان المتحضر ، وجبروت القوة الغاشمة ، إنتزعت الرحمة من القلوب ، ووضعت القوانين الجائرة ، التى أباحت بيع أجساد الناس للناس فى القرون الماضية ، أو بيع حقوقهم فى أيامنا الحاضرة ! .

فمع أنه لم يعد يحدث فى أيامنا أن تأتى السفن بالعبيد ، ويباع البشر فى الأسواق كالحيوانات والبضائع ، إلا أن ألواناً من التمييز العنصرى القبيح ، لازالت تمارس فى علاقات الناس ، وتضع الفوارق الكاذبة ، والحواجز الجائرة فى طريق المظلومين .

فى عقلى قرصان جائر !

وليس هذا التمييز اليوم من أعمال قراصنة البحر ، أو حكومات بعض الدول فقط ، لكنه كثيراً ما يتسلل إلى عقولنا كأفراد ، فيسرق من قلوبنا مشاعر الإخاء الإنسانى .

فنحن حين نفرق بين الناس على أساس الجنس ، أو الدين ، أو الطبقة الإجتماعية ، أو البيئة ، فإننا نمارس لوناً من التمييز الظالم ، ونمارس قرصنة فكرية - تغتصب حقوق المظلومين الذين نضطهدهم .

ونحن معرضون لهذا اللون من التفرقة فى علاقاتنا - وحتى فى داخل بيوتنا . وحين نحجب حبنا عن إخوتنا الذين لا يشاركونا أفكارنا ، فإننا نفعل ذلك لأننا نستضيف فى عقولنا قرصاناً جائراً يمارس العنصرية الفكرية ! .

الله - المحبة والعدل

فى الوقت الذى يعانى فيه البشر من ألوان الظلم ، والتفرقة الطبقية ، والتمييز العنصرى . يطل الله على عالمنا من خلال الحب المطلق ، والعدل المطلق لكل البشر . ويقدم الله عرضاً كريماً متساوياً لكل الناس للتوبة والرحمة .

فمع أن عقول الناس تختلف كبصمات الأصابع ، وأفكار الناس تتنوع وتتضارب ، فإن محبة الله تتسع للجميع من كل فكر ، وجنس ، وقبيلة ، وشعب ، وأمة ، وحضارة .

وهو يشرق على الأبرار والأشرار معاً ، ويرسل الأمطار ليروى الخاضعين له والمتمردين عليه ، ويقف إلى جانب الضعيف حتى يقوى ، والشارد حتى يعود ، والمتكبر حتى يخضع دون تمييز أو تفرقة .

فرصة متساوية .. ولكن

ويمنح الله للناس فرصاً متساوية للدخول فى طاعته ، ويفتح باب رحمته أمام جميع الوافدين إليه ، ويبسط يده السخية ليرزق كل اللاجئين إلى مائدته .

لكن الناس هم الذين يضيقون أرزاقهم حين يبتعدون عن رعاية الله ، ويدخلون فى المتاهات والصراعات البشرية .

والناس يضيعون مستقبلهم الروحى ، حين يخطئون فهم محبة الله وعدالته وقداسته . فمحبة الله للجميع ، وعدالة الله مطلقة ، وقداستة لا ترضى عن الخطيئة ، ولا تتهاون مع الشر .

لذلك فإن الكثيرين - رغم محبة الله لهم كبشر - يعزلون أنفسهم خارج دائرة الغفران الإلهى ، ويصطدمون مع مطاليب الله القدوس الطاهر ! **إنه سبحانه يحبهم ، ويريد أن يغفر لهم ، لكنهم يضيعون إمتياز الحب والرحمة الممنوحين للجميع .**

والذين يفهمون قصد الله لحياتهم ، يأخذون لأنفسهم إمتياز الدخول فى رحمته وقبوله الأبدى .

إن الله لا يميز الواحد على الآخر ، فجميعنا خطاة نسقط فى الخطيئة ، وجميعنا مدعوون للتوبة ، وجميعنا مقبولون فى رحمة الله إذا أردنا ، وجميعنا نتمتع بحرية مطلقة للقبول أو الرفض .

- ما أعظم محبة الله التى لا تفرق أو تميز .

- وما أعظم رحمة الله التى تتسع لكل من يرغب .

- وما أجهل الإنسان الذى يفصل ذاته عن رحمة الله ، وما أسعد الإنسان الذى يستجيب لصوته .

صرخة إنسانية

يارب

سامحنا ،

فنحن نميز بين الناس -

حسب أمزجتنا وهوانا !
ونفرق بين الناس -
حسب رؤيتنا القاصرة لظاهرهم !
نعلو بالناس ونهبط -
حسبما تخدعنا الوجوه والمظاهر .
ملأ الظلم بصائرنا ،
صنفنا الناس ألواناً وأجناساً ،
أخضعنا قلوبنا لأهوائنا ،
أصبحنا ضحايا الرياء والنفاق
والمظهر .
مات العدل وراء نظرتنا الهوجاء ،
وأحكامنا المظهرية القاسية .
صارت ألسنتنا قراصنة
مغتصبين -
يقيدون الأحرار ، ويبيعون الشرفاء !

لكننا نحمدك
لأنك لا تأخذ بالظاهر ،
ولا تخدعك إدعاءات الكاذبين ،
فأنت العارف بخفايا الناس ،
لا تظلم بريئاً ،
ولا ترحم ظالماً .
فاجعلني فاهماً لقصدك ،
متميزاً بالخضوع لك .
إكشف لي زيف سلوكي ،
وأهدني إلى خاصتك ،
ميزني بطابع روحك ،
أختم على حياتك علامات
قداستك !

يارب .

١٢ - مبادئ إنسانية ..

إن أيام الخطبة صورة مصغرة لأيام العمر
كلاهما إستعداد لنعيم وهناء أو جحيم وشقاء .

فى الفترة بين عامى ١٧٥٦ ، ١٧٦٣ قام صراع عظيم فى أنحاء متعددة من العالم ، شملت أوربا وشمال أمريكا والهند . وقد عرفت هذه الفترة المليئة بالأحداث السياسية والعسكرية المثيرة - باسم حرب السنوات السبع . وفى نهاية هذه الحرب ، تثبّت مركز بريطانيا ، بإعتبارها إمبراطورية عظمى ، بسطت سلطانها على عدد كبير من بلاد الدنيا .

وكان وراء هذا النجاح السياسى - رجل شهير يدعى " وليم بت " ، الذى كان خطيباً وسياسياً بارعاً ، والذى تولى رئاسة الوزارة مرتين ، إستطاع خلالهما توجيه السياسة الخارجية لصالح بلاده .

ولكن وراء هذا الرجل نفسه قصة غيرت مجرى حياته .

ففى مستهل حياته ، عاش بت عيشة مستهترة ، فجعل حياة زوجته جحيماً - حتى ماتت كسيرة القلب .

ثم تعرف بت على فتاة من رتشموند تدعى " مس جامبل " ، وطلب يدها ، فقبلت أن تصبح خطيبته على شرط أن يقلع فوراً عن إحتساء الخمر ، وكانت جامبل صريحة وواضحة حين طلبت إليه أن لا يذوق أو يحمل أو حتى يلمس زجاجة مشروب مسكر من أى نوع ! .

ورأى وليم بت أن هذا الشرط فيه إقلال من شأنه وتحطيم لحريته ، فترك فتاته ، وإندفع من الإتجاه المضاد تماماً ، فأسرف فى تناول المسكرات بالليل والنهار حتى أنه لم يكن يفيق إلا نادراً .

وفى يوم حار - كانت مس جامبل تعبر الطريق ، فوجدته مطروحاً على أحد الأرصفة تحت أشعة الشمس الساخنة . فأخرجت منديلاً غطت به وجهه وإنصرفت . فلما أفاق تحرك ببطء نحو الحانة ، ليتناول المزيد ، وبينما كان الساقى

بعد الكأس أمسك بت بالمنديل يقلبه بين يديه . وفجأة أفاق ليكتشف اسم الفتاة المحترمة - مس جامبل منقوشاً على طرف المنديل ! وهنا ترك وليم بت الكأس جانباً ، ووقف في عزم - وكأنه أفاق للأبد ، وقال : كفى .

ويصف بت هذه اللحظة قائلاً : " أحسست بعار شديد ، وذهبت إلى بيت الفتاة - وقبلت شروطها بلا تردد أو مساومة " .

ووقفت الخطيبة " جامبل " إلى جوار الرجل حتى إسترد مكانته ، وإستطاع أن يرتقى سلم الشهرة والمجد ! .

محظوظ الخطيب الذى يجد من يصارحه بلا خداع ، ويواجهه بلا تردد ، و يسانده فى حب حقيقى ، لا تشوبه أنانية أو كبرياء .

هدف الخطبة !

من العادات التى كانت شائعة فى بعض مناطق ألمانيا قديماً ، أن يعد الخطيب منشاراً كبيراً ذا مقبضين . ويخرج الخطيبان إلى الغابة ، فيتخيران من أشجارها شجرة ضخمة ، فيمسك كل من الخطيبين طرفاً من طرفى المنشار ، ويبدآن فى قطع الشجرة . فإذا تحقق لهما ذلك فى يومين أو أقل . كان هذا دليلاً على أن لديهما إستعداد للتفاهم والتعاون ، وأنهما قادران معاً على تحمل المشاق فى مثابرة وجلد .

أما إذا فشلا فى تحقيق الهدف ، فإنهما يفترقان غير نادمين ، فمن الأفضل أن يفترقا اليوم عن أن يقحما نفسيهما - وربما نسلهما - فى مشكلات طاحنة ! .

إن فترة الخطبة تؤهلنا للحياة جنباً إلى جنب مع نصفنا الآخر ، وهدفها أن تكشف لنا - ما إذا كانت هذه العشرة ممكنة أو مستحيلة ، مبشرة بالخير أم منذرة بالشر ! .

لذلك ينبغى أن تكون فترة الخطبة ، فترة واعية ، صريحة ، أمينة ، حاسمة ! .

لكنها ليست مغامرة !

قيل أن أحدهم سأل سقراط قائلاً : " هل أتزوج أم لا ؟ " ، فقال سقراط :

" **تزوج ، فإنك إذا وفقت فى زواجك عشت سعيداً ، وإذا لم توفق صرت فيلسوفاً** " ! . فسيكسب المتزوج فى الحالتين .

وقد يكون هذا صحيحاً أحياناً ، لكنه لا يصدق كمبدأ للحياة ، **فالحياة ليست مغامرة ، فالحكيم لا يقامر بسعادته . وقد أعطانا الله تمييزاً ووعياً لنفحص الأمور ، ونميز الحقائق .**

إننا نسمع كثيراً من يقول : " إننى أعيش حياتى كما يعيشها الآخرون ، فإذا إنتهت أيام العمر ، فالله أعلم بالمصير " .

إن هذا القول نوع من المقامرة ، لا يمكن أن يمنح الإنسان سلاماً قلبياً ، ولا يهب إحساساً صادقاً بالراحة والأمان .

هل يستطيع أحدنا - مثلاً - أن يبيت تحت كتلة هائلة من الصخر ، ويقول : أنا مطمئن - فربما - لا تسقط فوقى هذه الليلة ؟! . هل ينام أحدنا فى قارب صغير وسط بحر هائج ، ويقول : أنا مطمئن جداً فهناك إحتمال أن لا ينقلب القارب بى فى وسط البحر ؟ ! .

إن الإنسان بحكمته وإدراكه العقلى المتميز ، قد إبتدع نظاماً إجتماعياً أسماه فترة الخطوبة - حتى يتأكد خلالها من يقين السعادة الزوجية أو يصرف النظر عن إتمام الزواج ، ولا يقامر بسعادته الأرضية .

الخطبة وفقدان الهدف

إن فترة الخطبة كثيراً ما تفقد هدفها لأسباب متنوعة منها :

- **إنشغال** كل من الخطيبين بذاته ، محاولاً أن يظهر ذاته أمام الآخر فى **أفضل** صورة ممكنة . وحينئذ يختفى من المشهد الشخصان الحقيقيان ، وتحل محلهما شخوص متكلفة ، مزوقة غير حقيقية ! .
- أو حين يصل **الهيام** حدا ، يغلق البصائر ، فلا يرى الواحد فى الآخر عيباً يعاب .
- أو حين تبلغ **المجاملات** بين الطرفين حداً يبعدهما عن المكاشفة ، فلا يذكر الواحد للآخر ما يضايقه أو يقلقه فى تصرفاته أو أقواله .

● حين تصل الحساسية بين الطرفين حداً يجعلهما يريان فى النقد إهانة أو جرح عميق .

● حين يتصور أحد الطرفين أنه قادر أن يغير - بعد الزواج - **طباع الطرف الآخر .**

أما أشر ما يفسد هدف الخطبة فهو **الصمت** ، حين يكتشف أحد الطرفين أو كلاهما إستحالة العيش مع الطرف الآخر ، لكنه يصمت مجاملة للأهل ، أو خشية التراجع خوفاً من المجتمع ! .

وكذلك الحياة أيضاً ..

وكما أن أيام الخطبة هى فترة شوق ، وتطلع ، ورغبة دافئة فى حياة سعيدة قادمة . كذلك أيام العمر أيضاً .

فأيام العمر بجملتها هى أيضاً فترة إستعداد وتطلع ، وأمل دافئ فى حياة قادمة مشرقة وراء الأفق البعيد .

فقد أودع الله نفس الإنسان شوقاً خفياً يجعله مرتبطا بالحياة الخالدة وراء ستار الزمن . لذلك لا يستطيع الإنسان أن يتجاهل مركزه كإنسان خالد - إذ جعل الله الأبدية فى قلوب البشر يتطلعون إليها فى حنين عميق دافق .

وكما تقودنا الخطبة إلى سعادة أو إلى شقاء هكذا تقودنا أيام العمر إلى سعادة أبدية أو إلى عذاب دائم .

وكما يلزمنا فى أيام الخطبة أن نكون على وعى ، ويقظة ، وفهم بعيداً عن النفاق والخداع والمساومة ، كذلك ينبغى أن نحقق هدف الحياة بالصدق مع النفس ، والأمانة والوعى .

فهل يعقل أن يقامر الإنسان بحياته الأبدية ، وقد منح الله أيام العمر ليجد فيها - بوعيه وعقله وتمييزه - أساساً راسخاً قوياً يعتمد عليه ، ليصل به إلى شاطئ الحياة الأبدية السعيدة ؟ ! إن اليقين - وليس مجرد الأمل - هو الذى يريح القلب ويهب السلام ..

مسكين من يقبل على زواج يتشكك فى نجاحه . **ومسكين أكثر من يقبل على حياة**

خالدة لا يعرف أين يقضيها .

إن أيام الخطبة صورة مصغرة لأيام العمر كلاهما إستعداد لنعيم وهناء أو جحيم وشقاء .

صرخة إنسانية

يارب

أحمدك من أجل دروس الحياة ،
فقد تعلمت فى مدرسة العقل ،
والعقل هو بعض عطاياك .
وتعلمت فى مدرسة العاطفة ،
والعاطفة هى غرسك فى قلبى .
وبالعقل والعاطفة ،
حركت فى داخلى إختيارات العمر .
فكثيراً ما رأيتك تشجعنى وتدفعنى ،
مقوياً إرادتى للخير .
وكثيراً ما حفظتنى من سوء الإختيار ،
وأنقذتنى من الإنزلاق فى الشر ،

إنى أعلم أن سعادتى فيك ،
وشقائى فى البعد عنك .
وكما منحتنى سعادة الأرض ،
إمنحنى سعادة الخلود .
وأنا أعتمد على طريقك الواحد ،
لخلاص النفس ،
وضمان الحياة ،
فافتح عينى إلى الحق ،
وأحفظ قلبى من الميل والإنحراف ،
وأحفظ عقلى من الشرود والضلال ،
يارب .

العلاقة بين الجنسين يمكن أن تكون علاقة حيـة تعكس الثقة والاحترام .

سلام القلب

هنـاك مثل يتداولـه النـاس ، يقـول : " **إن الرجـل مـن بنـزين والمـرأة من النـار ، فأنفخ يا شيطان " !!** . أو إن المرأة من بنزين والرجل كبريت ، فلقاء الجنسين لا يعني سوى كارثة .

ويقول أحد الكتاب :

- **" الله أخـرج حـواء مـن ضـلع آدم ، وهـى اليـوم تريـد أن تخـرج آدم مـن ضلوعه "** . وهو قول يعكس الشك والريبة وعدم الثقة .

ومثله قول آخر :

- **" أمرأة واحدة أعطتك الحياة ، وباقى النساء يأخذنها منك " .**

ونقرأ هذه الكلمات على لسان رجل :

- **" أن تناقش المرأة ، معناه أن تناقش الماء والهواء والنار ولا نتيجة " .**

أى أن أية محاولة للقاء بين الجنسين محاولة فاشلة ، ولو تكبد الرجال فى سبيلها أهوال البر والبحر والجحيم ! .

وعلى لسان المرأة نقرأ القول :

- **" يوم القيامة ، هو اليوم الذى تتحرر فيه كل النساء من كل الرجال " .**

فالرجل مسيطر متجبر - يمثل القيد والسلطان ! .

أمثلة كثيرة لها نفس هذه المعانى ، ترينا كيف يأخذ الناس موقفاً من الجنس الآخر فيـه الكثيـر مـن العـداء ، وتؤكـد أن العلاقـة بـين الرجـال والنـساء - أو بـين - الـشبان والفتيات ، لا يمكن أن تكون علاقة خير .

إذاً فهناك ضباب يحيط بأفكار الناس من جهة العلاقة بين الجنسين - ولذلك فهم يميلون إلى الحكم بأن العلاقة بين الجنسين لا يمكن إلا أن تؤدى إلى شر من الشرور لأحد الطرفين أو لكليهما أو للمجتمع عامة ، ولكل إنسان تجاربه فى هذا الصدد . ولكل إنسان دلائل يبرهن بها هذه النظرية - وتتولى الصحف والمجلات - وبخاصة المجلات التى تنشر الفضائح وتتاجر فيها - تأكيد وترسيخ هذه المعانى السلبية . وعليه فلسان حال الكثيزين يقول بأن على الفتى أن يعيش فى مجتمع الرجال ، وعلى الفتاة أن تظل فى مجتمع النساء ، فهذا خير ، وهذا أسلم ، والباب الذى يأتى منه الريح ، علينا أن نغلقة ونستريح .

ويتبادر إلى الذهن سؤال حائر : **هل من العسير حقاً أن تتحقق علاقة بناءة بين الجنسين ، ولماذا تفشل العلاقات ؟ .**

أعتقد أن العلاقة بين الجنسين يمكن أن تكون علاقة حية تعكس المحبة والثقة والإحترام . ولكن ذلك يتطلب جهداً فردياً صادقاً لتأكيد هذه المعانى وقبولها لخير المجتمع بعامة والفرد بخاصة .

علاقة حية

والمقصود بالعلاقة الحية ، أنها علاقة تدب فيها الحياة . علاقة إيجابية ، تتنفس وتتحرك ، وتتكلم وتستمع ، تأكل وتنمو ، تخدم وتُخدم .

فالعلاقة بين الرجال والنساء أو بين الشبان والفتيات لابد أن تكون علاقة حياة ، لا علاقة إنزواء وإنطواء وجمود .

إن تجار الفضائح يطلقون الدخان الأسود حول علاقات الجنسين فيفسدون الأجواء ويلوثون الهواء . والمتخلفون والسلبيون يهيلون على الأجيال الناشئة تراب المقابر والكهوف من القصص السوداء المتوارثة حول وحشية الذئاب الآدمية ، وحيل النساء الغادرة ، فيفسدون الأرض الطاهرة ، ويلوثون التربة الخصبة .

والعلاقات الحية لا تتنفس فى الدخان ، ولا تحيا فى القبور والكهوف . لذلك فأول الطريق إلى علاقة حية هو الخروج إلى الهواء الطلق ، الصعود إلى قمة مرتفعة فوق الدخان والرائحة النتنة . أجعل علاقاتك فى النور ، فى عين الشمس ، فى الهواء الطلق ، بعيداً عن مؤثرات الماضى والنوايا المبيتة للخلاف .

علاقة ثقة لا خوف

قيل إن التحية بوضع اليد فى اليد التى نستعملها فى الشرق - قيل إن لها جذوراً قديمة فى تاريخ البشر . فقد كان الإنسان البدائى - بطبيعة حياته القاسية فى الأحراش والغابات - لا يأمن لغريب قادم نحوه ، فما يكاد يرى إنساناً يتحرك فى إتجاهه ، حتى تعصف برأسه الظنون ، فيتأهب للقتال ، ويندفع نحوه كالسهم الخاطف، وينقض كل من الرجلين على الآخر ليمسك بيده حتى يأمن إستخدامها فى إيذائه .

وهذه الصور القديمة تتكرر أحياناً فى أيامنا فى إخراج عصرى حين يلتقى بعض الشبان والشابات فى الدراسة أو العمل لأول مرة . فيتوقع كل منهم شراً ويأخذ الحذر دون إظهاره ، وإن كان قراره نفسه يستعد للقتال ! .

والحقيقة أن كثيرين من الشبان يسيئون الظن بكل بنات الدنيا ، وكثيرات من الفتيات يتهمن - بلا تحفظ - كل شبان العالم ، وتسيطر على علاقتهن بهم مخاوف عميقة راسخة .

وقد صور أحد الكتاب ذلك بقوله : مهما كان رأى الرجل فى المرأة ، فرأى النساء فى الرجال أسوأ كثيراً ! .

وهذه الصورة إن صدقت ، فهى صورة بربرية لا يجب أن يكون عليها شباب القرن العشرين .

فالعلاقة بين الجنسين ينبغى أن يكون أساسها الثقة المتبادلة ، وليس سوء الظن والخوف . فسوء الظن يطمس عقولنا ، ويجعلنا قاصرين عن تفسير النوايا الحسنة . والخوف يضع قيداً فى أرجلنا ، فلا نقترب ولا نرحب بالخطوات القادمة إلينا .

علاقة إحترام لا سيادة

يتعامل كثيرون من الشبان والشابات - وبخاصة فى فصول الدراسة - وكأنهم جيشان فى ميدان حرب غير معلنة ! ويحاول كل طرف أن يكسب جولة وراء أخرى لتتحقق له الغلبة فى نهاية المطاف .

فيتجمع الشبان للهجوم وإظهار التفوق العلمى أو الرياضى أو النشاط الإجتماعى ،

أو حتى القدرة على القاء الفكاهات ... إلخ . وتتكتل الفتيات فى جانب يضعن الخطط الدفاعية ، ويراقبن الثغرات والضعفات ويطلقن الهمسات .

وهذه العلاقة الصبيانية وليدة الرغبة فى بسط السلطان وإعلان النفوذ وتأكيد التفوق وفرض السيادة . وهو تفكير قَبَلىّ دانت به المجتمعات البدائية التى لم تكن تعرف أن حرية الجماعة من حرية أفرادها ، وسيادة الجماعة من سيادة أفرادها .

والعلاقة الناجحة هى علاقة الإحترام المتبادل والتقدير الكامل ، فيرى كل طرف نفسه كالسيد والخادم معاً ، أو كالطالب والمعلم معاً .

علاقة حب وعطاء لا رغبة وإمتلاك

الصورة الأخرى من بسط النفوذ تحت شعار التفوق ، هى محاولة التملك تحت شعار الحب . وكلا الطريقين لا يصنعان العلاقة السليمة بين الجنسين .

فعلاقة الشبان والشابات فى الجامعة أو فى العمل لا ينبغى أن تختلف كثيراً عن علاقة الأخ بإخته . **ونحن نحب أخواتنا ، ولكننا (لا نملكهن) . وعطاؤنا لهن يرتبط بعواطف الحب والمودة بيننا ، ولا يرتبط ببقائهن (فى حوذتنا) .**

فرغبة أحد الجنسين فى الإستيلاء على الطرف الآخر وتقويض حريته وسلب كيانه ، وطمس ملامحه ، وصبغه بألوانه المفضلة ، هذه الرغبة فى الإمتلاك تحطم العلاقة بين الجنسين .

سلام القلب

على أن العلاقة بين الجنسين ، وبخاصة بين الشباب المتحمس ، لا تخلو من المخاطر ، فإنقلاب العلاقة العامة بالزملاء والزميلات إلى علاقة خاصة ، وعاطفة جارفة بين شاب وفتاة أمر محتمل . والفرق بين المحبة الأخوية والشهوة الجسدية لا تميزه القلوب العطشى ، ولا تحكمه القوانين واللوائح ، أو القيود والمحاذير ، ولا تشفع فيه وصايا الآباء ونصائح الأمهات .

وليس ما ندعو إليه القارئ والقارئة ، هو بتر العلاقات ، وإغلاق القلوب ، وصم الآذان ، وخنق العواطف ، فهذه دعوات غير مستجابة ، لكننا ندعو أخواتنا وإخوتنا إلى أن يكونوا حريصين على سلام القلب الداخلى .

كان آلهة الأولمب فى الأساطير الإغريقية لا يقيمون وزناً لعلاقاتهم الجسدية المشينة ، ومع ذلك فقد قيل إن (أم أدونيس) حين شاهدت علاقاتها ، حولتها الآلهة إلى شجرة المر ! .

ونحن لا نريد لأحد من قرائنا أن تتحول حياته إلى شجرة المر . نريد أن نحافظ على قلوبنا فى سلام مع الله الذى يسمو بعلاقاتنا فوق شوائب الجسد ورغباته ، وخداع القلب وشهواته .

صرخة إنسانية

ياربنا !

نحن لا نعيش فى صوامع النساك ،
بل فى مجتمع مفتوح
سقطت فيه كل الحواجز والجدران .
فاجعل هذا لخيرنا ،
واجعل علاقاتنا محفوظة فى يدك .

ياربنا !

نحن نعلم أن قلوبنا تخدعنا ،
فاجعل روحك فينا
يرشدنا وينّبهنا
إذا غوينا أو أخطأنا .
وأحفظ لنا سلام الطاعة لك ،
فمهما كانت متعة المعصية ،
فمتعة رضاك أعظم .

ياربنا !

نحن نزرع الشوك ،
ونبذر بذور المر فى علاقاتنا ،
فاستبدل بها قطر الندى
من عطر حبك ونسيم رضاك .

يارب !

١٤ - مبادئ إنسانية ..

ما يُبنى بالخداع مصيره الضياع

عاد المستكشفون الأوروبيون من أرض القارة الأمريكية ومعهم كثير من خيرات الأرض البكر التى ألهبت عزيمة المغامرين وأيقظت أطماع التجار ، فما كادت تنتظم الرحلات للقارة المستكشفة ، حتى كان لفيف من ذوى الأغراض المتباينة قد إنتشروا على شواطئ الدنيا الجديدة .

وكان أكثر ما آثار سكان الأرض من الهنود الحمر ، ما حمله الأوربيون من الأسلحة الحديثة وإستغل أحد التجار الجشعين دهشة الهنود ورغبتهم فى السلاح ، فأعطاهم كيساً من البارود فى مقابل كمية ضخمة من الفراء الثمين ، بعد أن إدعى أن ذلك البارود سيعطيهم محصولاً وفيراً إذا هم زرعوه فى الرمال ! .

وبذر الرجال البارود فى الأرض ، سهروا عليه ، رووه بالماء ، وضعوا عليه أفضل الأسمدة الطبيعية ، وظلوا يترقبون الثمار - ثمار البارود ، لكن شيئاً لم يظهر على وجه الأرض . وعرف الرجال البسطاء الشرفاء أن التاجر الفرنسى قد خدعهم ! .

وبعد سنين طويلة عاد التاجر متخفياً ليستثمر أرباحه الطائلة التى جناها من تجارة الفراء . عاد هذه المرة ومعه بضائع أوربية لبيعها للمستوطنين الجدد ، ولأصحاب الأرض .

وأقبل عليه الهنود الأذكياء ، حملوا الصناديق العامرة ، عرضوا عليه شراء بضائعه الثمينة . قبلوا أسعاره العالية ، لكنهم استمهلوه فى سداد الثمن .

وطال انتظار الرجل حتى ساوره الشك فى نواياهم ، فحمل شكواه إلى زعيم القبيلة الحكيم فطيب الرجل خاطره ، وإسترضاه بكلمات رقيقة . فقال له : لا تخف ، ستأخذ كل ما تريد من مال . عليك فقط أن تنتظر حتى يجنى الناس محصول البارود الوفير ، حينئذ نعطيك حقك كاملاً ! .

وإنصرف التاجر خائباً . **فالخداع يسير دائماً على عكازين : الفقر والعار** ، وقد عاد صاحبنا يحمل الفقر والعار .

إن جميع الذين يسيرون فى طرق الخداع والغش يتعرضون دائماً لفضائح ونكسات تجلب عليهم العار ، وتؤدى بما قد يحققونه من نجاح وقتى فى غفلة من الزمان .

وينطبق هذا على كل المخادعين بدءاً من الطالب الذى يغش فى الإمتحان ، وحتى كبار المهربين ، ومزيفى العملة ، وتجار المخدرات .

نجاح يعقبه فشل

مهما كانت كفاية المخادع والغشاش ، فإن الزمن كفيل بكشف الخداع - هذا درس تعلمناه من التاريخ ، فما من خفى إلا ويظهر .

ومهما إختلفت أساليب المخادعين ووسائلهم لتحقيق نجاح وهمى لا يستند إلى دعامات من الحق ، فإن إنهياره محقق مهما طال الأمد .

فاللصوص - مثلاً ، والقراصنة ، ومزورو العملات والوثائق ، وزعماء العصابات ، وأصحاب النفوذ والسطوة الذين يفرضون سلطانهم على الناس بالقهر أو بالخداع ، هؤلاء جميعهم تدول دولتهم وتنكشف مواقفهم ، ويظهر خداعهم وإحتيالهم ، فتنهار أبنيتهم وقلاعهم التى بنوها بالباطل .

كان الملوك فى القديم يسجلون إنتصاراتهم ومعاركهم على جدران المعابد والمبانى لتخليد ذكرهم ، وتأكيد بطولتهم وأمجادهم ، فالحجارة أقدر على الإحتفاظ بالتاريخ من ذاكرة البشر . لكن هذه الأحجار نفسها لم تنجو من العبث ، فكثيراً ما ظهر أحد الغشاشين من ذوى النفوذ ، وحاول أن ينسب لنفسه أمجاداً لا يستحقها ، وإنتصارات وهمية لم يحققها ، فمحى أسماء الملوك السابقين ، وأحل إسمه مكانها بطريقة فنية متقنة ! ولم يدر بخلد هذا الغشاش أن العلم سيقدم للحضارة وسائل متقدمة تكشف الخداع ، وترد الحق لأصحابه بعد آلاف السنين ! .

والخسارة هنا فادحة ، لأنها نهاية المطاف ..

فالناس يسرعون لنجدة المتعثرين ، ويقدمون العون للساقطين والمخدوعين ، لكنهم لا يتعاطفون مع المخادع والغشاش ، بل يتجنبونه ويسحبون منه ثقتهم وهذا هو عين الفشل .

تسلق اللص المحترف (ماسورة المجارى) صاعداً إلى الطابق العلوى من البناية - حيث يسكن أحد ضحاياه . كان اللص قد عاين المكان فى الليلة السابقة ، وأعد خطة محكمة ، وإتخذ الإحتياطات اللازمة لإنجاح خطته . لذلك كان جريئاً عظيم الثقة بالنفس وهو يقتحم المنزل ، فخوراً قرير العين وهو يعود إلى وكره حاملاً المسروقات .

وغمرت السعادة قلب اللص ، فقد حقق الهدف ونجح فيما أراد - وكل إنسان يفخر بعمله ويفرح بنجاحه حتى لو كان لصاً . الشئ الوحيد الذى ألقى ظلاً كئيباً على سعادته هو ذلك الجرح العميق الذى أصاب جسده ، حين إنغرست فى رأسه قضبان الحديد الصدئة التى حطمها فى نافذة الحمام وهو يقتحم البيت ! .

لم ينجح رجال الشرطة فى تعقب اللص المحترف الحريص ، فإعتبر اللص تتويجاً لنجاحه ، ولو أنهم أمسكوه لإختلف تقديره لخطته وإعتبرها خطة فاشلة - أما الآن فهو ناجح بكل المقاييس - مقاييسه هو بالطبع .

ومرت أيام قبل أن تتحول حياة الرجل الى جحيم ، فقد إستمر نزيف الدماء والصديد من الجرح المتقيح ، فاللصوص لا يذهبون إلى المستشفيات ، ويخشون الاستجواب ويتحاشون عيون الرقباء وفضول الناس .

ولابد أنها كانت ليلة قاسية ، تلك التى إحتضر فيها اللص متأثراً بجرحه الملوث . ولعله لم ينس حتى اللحظة الأخيرة تلك النافذة التى صعد إليها . ولعله تمنى لو أنه فشل فى إقتحامها . لم يكن يعلم حين ذاك أنه يصعد إلى الهلاك .

إن من يرتفع فوق هامات الناس بالغش والخداع ، والمتسلق والمتسلل إلى قمم النجاح بغير حق ، يشبه المذنب الصاعد إلى حبل المشنقة فوق منصة عالية . إنه يصعد إلى الهلاك ، صعوده مؤقت ، إنه يرتفع ليهبط ، خطواته الصاعدة لا تبنى مجده ، بل تشهّر به . كل العيون تراه هابطاً مع أن أقدامه فوق رءوس مشاهديه ! .

إن المختلس والمرتشى والمستغل تتضخم ثرواتهم ، وتتضاءل ضمائرهم - ترتفع رءوس أموالهم ، وتنهار سمعتهم - تمتلئ خزائنهم المكدسة ، وينزف

شرفهم الجريح - تعلو أماكنهم ، وتهبط مكانتهم .

تجارة خاسرة

كما تنمو الأموال فى التجارة وتتضاعف ، وكما تعطى المصارف أرباحاً متزايدة أو مركبة ، كذلك تنمو الخسائر وتتضاعف أحياناً .

والغشاش والمحتال والمخادع يعملون فى تجارة من هذا النوع - تجارة خاسرة . فهم يضيعون وقتهم وجهدهم فى خداع الناس ، ويبددون طاقاتهم فى التغطية والتمويه ، وهم لذلك **يصلحون الواجهة ، ويتركون الداخل خراباً** . ينصرفون إلى متابعة الناس ومراقبة العيون ، فلا يرون أنفسهم ولا يراقبون داخلهم . إنهم لا يزرعون الأشجار الحية ، بل يضعون الأوراق الخضراء على فروع شجرة جافة فلا يرون السوس ينخر فى قوام الساق الميتة . ولو أنهم بذلوا الوقت والجهد فى إستنبات شجرة ، لصارت وارفة الظلال .

حين تسقط البنايات الفخمة التى يبنيها مقاول غشاش ، فإن الخبراء يبحثون بين الأنقاض ، فيجدون أعمدة جوفاء ، لها شكل الدعامات ، لكنها لا تحتوى على حديد التسليح الذى يعطيها الصلابة . إنها هياكل وهمية تحمل فى داخلها أسرار إنهيارها الشامل .

وبينما تغيب صورة البناء الفخم عن عيون الناس يظل صوت الإنهيار مقيماً فى آذانهم - يختفى النجاح الكاذب وتبقى الفضيحة والعار . فالإنهيار هنا يقتل ضحاياه مرة ويقتل صانعه ألف مرة .

أشر الخداع خداع النفس

على أن الإنسان يستطيع دائماً أن يعيد تقويم أعماله ، وإصلاح مسيرته ، ما لم يكن يخدع نفسه ، أو بالأحرى يصدق نفسه لفرط خداعه للآخرين .

إننا حين نتخفى وراء ستار من التدين ، ونحيط أنفسنا بهالة من الوقار ، وننفق بعض المال فى وجوه البر ، أو بناء دور العبادة ، فإننا نثير إعجاب الناس ونكسب رضاهم عنا وشهادتهم لنا، وحينئذ نستريح ونطمئن ، ونصدق ما نسمع ، ونحسب أنفسنا بالحقيقة أبراراً ، وأننا ننعم بمقام الصديقين ، ونحظى بالرضا الإلهى .

وهذا خداع النفس فى أشر صوره وأخطرها ، فنحن لا نبلغ بأفعالنا وأموالنا ومظاهرنا ، أن نتطهر من دنايا النفس وخطاياها ، ولا نخرج عن دائرة الشر والخطيئة ، ما لم يتغير القلب تماماً برحمة الله بالتوبة الخالصة ، والزهد فى أطماع الدنيا ، وشهوات النفس .

صرخة إنسانية

يارب

أغثنى ،

فالبناء الذى بنيته طوال حياتى ،

ينهار الآن .

واجهتى اللامعة تتداعى وتتصدع .

لو سقطت قطع (الديكور) الملونة ،

لظهرت بضائعى الفاسدة ،

حينئذ ستزكم رائحة الفساد أنوف الناس .

فاسترنى

قبل أن يبتلعنى العار .

نق داخلى ،

غيّر قلبى المخادع الغشاش

فأحقق النجاح الحقيقى -

الحياة التى ترضيك .

يارب .

ليس المهم أن تختار شريك حياتك الموافق ،
بل أن تكون أنت شريكاً موافقاً أيضاً !

يتعذب بلا حدود

قد يكون شريك عمرك مخطئاً أو عنيداً ، لكننا هنا نناقش موقفك أنت ..

إنتهى الحفل الكبير الذى أقيم بمنزل العروس ، وخرج العريس متأبطاً ذراع زوجته . ومن خلفه كان الأصدقاء يتضاحكون ويتصايحون ، وقد خلع كل واحد منهم حذائه ، ليلقى به بشدة خلف العروسين ، ثم يعود يلتقطه ، ليلقيه ثانية مع عشرات النعال الأخرى ، التى أخذت تتساقط فى الممر الطويل خلف العروسين ! .

ولابد أن هذا المشهد الغريب كان يمكن أن يثير الدهشة ، لو أنه حدث فى أيامنا ، لكنه كان إحتفالاً طبيعياً فى بلاد الإغريق منذ أكثر من ألفى سنة ! .

ويبقى السؤال الحتمى : ما السبب الذى يجعل الأصدقاء يعبرون عن مشاعرهم بإلقاء الأحذية ؟ . إن تقاليدهم تقول : إنهم يطردون الأرواح الشريرة ، حتى لا تتبع العروسين إلى دارهم الجديدة . فتظل حياتهما سعيدة هانئة ! .

فلقد كان الأقدمون يرجعون أسباب الخلاف بين الزوجين ، إلى تدخل الأرواح الشريرة العابثة ، التى كانوا يزعمون طردها ، ومع ذلك فطالما حدثت الخلافات فى بيوت الإغريق كما فى غيرها من البيوت على مر العصور .

وهذه الخلافات قد تكون طبيعية ، لإختلاف وجهات النظر مع حسن النوايا ، لكنها قد تعود إلى نقائص فى شخصية أحد الطرفين أو كليهما تجعل لقاءهما صعباً محفوفاً بالمتاعب .

وما يزيد من حدة هذه الخلافات - حين تحدث - أن كلاً من الطرفين يظن الحق فى جانبه ، ويعتقد أن من واجب الآخر أن يغير رأيه وإتجاهه ، وينزل عن رغبته ،

ليتفق معه فيما يشاء ! .

شريك العمر

قال أحدهم : إذا أردت أن تسافر براً ، فكر مرة ، وإذا أردت أن تسافر بحراً فلتفكر مرتين ، وإذا سافرت جواً ففكر ثلاث مرات ، أما إذا أردت أن تتزوج ففكر عشر مرات ! . فإن أوعر الطرق الجبلية قد تكون أسهل من طريق أسرة غير متوافقة ، وأمواج الصراعات فى أسرة متخالفة ، قد تكون أعتى من أمواج بحر صاخب . والإقلاع فى عاصفة جوية مغامرة خطيرة ، لكنها أقل خطراً من مستقبل أسرة تتضارب أهواء أفرادها .

من أجل ذلك ، فان كل مقبل على الزواج ، يسعى للحصول على شريك مناسب ، يتوافق معه فى رحلة العمر . وقد يوفق فى ذلك فيسعد ، وقد لا يوفق فيشقى .

إلى أين تشير البوصلة ؟

قيل : " إن الزواج بحر كبير ، لم تخترع بعد البوصلة التى تهدى المسافرين فيه ! " . والذين يقولون هذا الكلام ، بنوا رأيهم هذا على ملاحظاتهم لكثير من الزيجات التى بدأت هادئة من أحد شواطئ الأمان ، ولم تلبث قليلاً حتى عصفت بها الأمواج حتى تحطمت .

والحقيقة أن هذه الزيجات لم تكن أبداً هادئة ، ولم تعش أبداً على شط أمان ، بل لعلها ولدت فى وسط العواصف ، وفى قلب بركان صامت ، لم ينتبه له أحد .

هذا البركان الصامت ، والعواصف المكتومة هى طبائع الأفراد ، وصلابتهم ، ورغبتهم الدفينة فى إخضاع الآخرين لأهوائهم وميولهم .

فدائماً يفكر الواحد منا فى الشريك الذى يوافقه ، وقلما يفكر فى نفسه إن كان هو شريكاً موافقاً ، أو أنه شريك صعب المراس ، عنيد متكبر ، ليس لديه إستعداد للنزول عن شئ يحبه أو قبول شئ يرفضه .

مثل هذا الشخص يدخل بحر الزواج حاملاً بوصلته الخاصة ، التى تؤشر إلى طريق رغباته الشخصية ، ولا تستند إلى دليل غير أهوائه . فتدور سفينته فى دوامات

أطماعه . أو تجنح بمن عليها إلى محيط بلا قرار ! .

وكم من سفينة تتحطم فى بحر هذه الحياة المتلاطمة الأمواج ! .

وكم من سفينة تعبر الحياة فى هدوء ، راسخة ثابتة ، رغم الأعاصير والرياح والبحر الهائج .

سعادة أو شقاء

وبغض النظر عن الخلافات الطارئة التى تحدث فى كل أسرة . فإن هناك ملايين الزوجات والأزواج الذين صنعوا أسراً سعيدة ، كما أن هناك كثير من التعساء فى حياتهم الزوجية ! .

والمتوافقون فى حياتهم الزوجية ، يحققون سعادة عامة فى كل شئ ، ولو كانت دخولهم متواضعة وإمكاناتهم ضئيلة . على حين تتحول حياة الأزواج المتخالفين إلى شقاء تام ، حتى أن البعض عبروا عن ذلك بقولهم إن الزواج كالآخرة إما جنة أو نار .

والملاحظ أن أسباب الشقاء أو السعادة الزوجية لا تتوقف على المستويات العلمية ، أو الثقافية ، أو الإجتماعية . ولا ترتبط بطبقة من البشر دون سواهم . فنحن نعرف من التاريخ عشرات الأدباء والشعراء والحكماء والفلاسفة والعلماء لم يتوافقوا مع شركاء حياتهم ، والعكس أيضاً صحيح حين يتم التوافق بين أناس بسطاء قل نصيبهم من المعرفة والعلم .

إذن فلابد أن هناك عاملاً أخراً غير الحكمة البشرية ، هو الذى يؤهل إثنين للتعايش والتوافق ، ويجعلهما قادرين على الحياة شخصاً واحداً لا إثنين .

هذا الشئ الآخر

هذا الشئ الآخر الذى يجعل الإنسان قادراً على المشاركة والعطاء ، بل التوحد مع شريك حياته هو " **الحب** " والحب لا يكون حباً ، ما لم يكن خالصاً من غرض ، نقياً من كل زيف . **فالحب الخالص هو وحده القادر على قهر أنانية الإنسان ، ورغبته الجامحة فى تحقيق ذاته على حساب الآخرين .**

ففى كل إنسان قدر من الأنانية ، قد لا يدركه ، لكنه يقف حائلاً بينه وبين العطاء الخالص والحب المتفانى . والإنسان لا يستطيع أن يتوافق مع شريك الحياة ، ما لم يتخل عن أنانيته تماماً ، فتذوب إرادته ، وترتبط سعادته بسعادته . فلا يكون بعد إثنين بل واحداً .

هذا النوع من الحب لا يستطيع الإنسان بقدرته الذاتية أن يحققه ، إذ كيف تعمل ذات الإنسان ضد إرادتها ، وكيف تجرد هذه الذات نفسها من مجدها لتعطيه لآخر ؟ . **هذه القدرة على الحب الخالص لا تأتى من داخل النفس ، بل هى عطية إلهية يمنحها روح الله ، ويبثها فى قلب الإنسان ، فيتغير قلبه المادى الأنانى الجشع المحدود العطاء ، فيصير قلباً روحياً ، يحب بلا حدود ، ويمنح دون غاية ، ويحس بالسعادة فى كل حال .**

إذن فالضمان الحقيقى للحياة السعيدة هو تغيير القلب ، وإكتساب طبيعة الحب الإلهى الغامر .

والقوة المؤثرة فى هذا التغيير هى قوة الروح القدس ، روح الله . فقد خلقنا الله أولاً من طين لحياة جسدية بشرية . ويخلقنا ثانية - بقوة روحه - لحياة روحية إلهية . هذا هو الإختبار الهام والضرورى فى حياتنا ، والذى بدونه لا أمل فى حياة أرضية سعيدة ، ولا حياة أبدية خالدة .

هل تواجه متاعباً فى حياتك مع شريك عمرك ؟

هل تجد صعوبة مع من تحب ؟

قد تكون أنت فى حاجة إلى قلب جديد يعرف كيف يحب ويتوافق مع شريك العمر .

صرخة إنسانية

يارب

حيرتنى نفسى ،
فلم أعد أعلم ..
إن كنت مظلوماً ،
أو ظالماً لمن أحب !

إحس أحياناً أن قلبى يذوب حباً ،
لكن هذا القلب يثور أحياناً ،
فيوقع الأذى ،
ويصب اللوم ،
ويكيل الإتهام ،
على رأس من أحب !

إختلط على الأمر ،
فلم أعد أميز بين حبى ورغباتى !
بين اعتزازى بمن أحب ،
ورغبتى فى السيطرة عليه .
لا أعلم أن كنت أقدم له ،
حباً أو قيداً ؟
ولا أدرى إن كانت تحركنى ،
شهوتى وأنانيتى ،
أو حبى وتضحيتى .
أحكامى يشوبها الخلط
بين الخطأ الذى أشتهيه ،
والصحيح الذى أرفضه .
وقلبى يرفض الإصغاء ،
لغير ما يهوى ويشتهى .

أصبح واضحاً لى أننى :
أحتاج إلى قلب جديد .
قلب روحى يردد صدى حب الله ،
ويتنزة عن مطالب الجسد المسيطر ،
ويقدم فى حبه عطاء خالصاً ،
فلا يختلق المتاعب للآخرين ،
بل يدخل إليهم السعادة .

إننى أعلم أن تغيير القلب ،
هو عمل روحك القدس .
وأنه تغيير شامل ،
وميلاد روحى جديد ،
يشمل كل مبادئ الحياة .

فاكشف لى طريق الميلاد الجديد ،
والقلب الروحى الجديد ،
الذى يسمو فوق القلب الترابى .
الذى يحب فى حدود ،
ويعطى فى حدود ،
ويتعذب بلا حدود.
فضع حداً لشقائى وحيرتى .

يارب

١٦ - مبادئ إنسانية ..

إذا أردت السفر فادع الله مرة ،
وإذا ذهبت للحرب فادع الله مرتين ،
فإذا أردت الزواج فادع الله ثلاث مرات !

عندما بلغ " كاياما " سن الشباب ، أقيمت الطقوس الخاصة ، إيذاناً بدخوله مجتمع الكبار ، وإنضمامه إلى جماعة الـ " ريكا " التى تعده ليصير محارباً فى جيش قبيلته " واتشاجا " على سفوح جبال كلمنجارو .

وقد كان لمثل هذه المناسبات وقعاً عظيماً على قلوب الآباء . فحين يصبح الإبن رجلاً ، ترتفع مكانة الأب فى القبيلة ، وينضم إلى مجلس الأعيان ، ويتسلم شارة الحكم ، ويلبسونه قرطاً خاصاً فى أذنه بإعتباره من الطائفة الحاكمة ! .

وأحس الشاب الصغير " كاياما " بالسعادة فقد أصبح الآن رجلاً ، وهو مؤهل الآن لتحقيق حلم عمره ، فعلى مسافة قريبة من أرضهم يستطيع أن يرى كوخ الفتاة الجميلة " كيكويو " التى بلغت هي أيضاً سن الشباب ، وسوف تقام لها أيضاً الطقوس الخاصة بالعشيرة ، فتوضع فى قفص داخل الكوخ مدة ثلاثة أشهر ، حيث تقوم أمها بإطعامها المواد الغذائية الدسمة ، وتدهن جسمها الأسود الجميل كل صباح بالزيت والدهون ، لتصبح مهيأة للزواج ! .

تفكر " كاياما " فى فتاته العزيزة ، ووقف فى وسط كوخه يتطلع إلى حظيرة الماشية الملحقة بالكوخ . لقد أصبح لديهم الآن عدد كبير من الأبقار ، وعدد أكبر من الخراف ، وعدد لا يحصى من الماعز . وحين يذهب إلى بيت " كيكو يو " سيكون لديه المهر المطلوب ! .

قال الشاب لنفسه :

" حتى ولو طلبوا مائة وثلاثين من الماعز ، وهو ما يساوى عشر بقرات ، فلن يبخل بها أبى ، فأنا إبنه الأكبر ، وطالما رعيت الماشية على حافات مزارع الموز ، طوال ساعات النهار الحارقة ، وكثيراً ما قضيت الليل ساهراً أحرس زرائب البقر

طوال ساعات الظلام الموحشة " .

غير أن توافر الأبقار لم تكن كل شئ فى مسألة الزواج ، فقد كان على " كاياما " أن يثبت للقبيلة بصفه عامة ، ولوالد الفتاة الحسناء بصفة خاصة ، أنه أصبح قادراً على حماية شريكة حياته ، وأنه قد صار رجلاً شديداً قوياً ، يتحمل القتال ويغالب الشدائد والأهوال ! .

ولإثبات قدرته على التحمل ، كان عليه أن يقف - عارياً - فى وسط حلقة من الشبان فى مثل عمره ، يمسك كل واحد منهم بسوط مضفور من أوراق الموز ، فينهالون عليه ضرباً مبرحاً من كل إتجاه ، وعليه أن يدافع عن نفسه متحملاً السياط الجارحة ، دون أن يصرخ أو يشكو ! .

وإبتسم الشاب وهو يفكر فى هذا اليوم السعيد ، الذى يلتهب فيه جسده بلسعات السياط ، فما أهون الألم الذى يجمعه بشريكة العمر الفاتنة الجميلة . ذات الرأس المستطيل والفك البارز والأنف الأفطس ! .

قرأت هذه القصة ، وحمدت الله أننى تزوجت دون المرور فى هذه التجربة المحرجة ، فأنا لا أملك عشر بقرات ولا عشر دجاجات ، وعلاقتى بالأبقار تنتهى عند نصف كيلو جرام من اللحم تشتريه زوجتى من الجزار كلما سمحت الموارد المالية ! فضلاً عن أننى لا أتحمل ضرب السياط ، ولا أطيق " البهدلة " ، ولو زوجونى " فينوس " ربة الحسن والجمال ! .

وبالرغم من ذلك ، فإن الحصول على شريك الحياة المناسب ، يستحق التضحية ، ويستحق الكفاح ، فالزوجة الفاضلة تاج لزوجها ، وكذلك الرجل الفاضل - هو أيضاً - تاج لزوجته .

شريك العمر

لا نعرف من هو الأديب الذى أطلق على الزوج أو الزوجة لقب " شريك الحياة " فهذا التعبير القديم سيظل أبداً من أفضل ما يوصف به الأزواج .

وهو تعبير – على بساطته – يحمل كثيراً من المعانى ، ويوجه أنظارنا إلى كثير من المبادئ :

● **ما دام الزوجان شريكين فلابد أن نحسن الإختيار :**

علينا ونحن نفكر فى شريك الحياة أن نتذكر أنه سيكون زميلنا ورفيقنا طول العمر . سيقضى معه سنين القوة ، وسنين الضعف ، أيام الصحة وأيام المرض ، ساعات الفرح وساعات الشدة ، مواقف النجاح ومواقف الفشل .

علينا أن نتذكر أن شريك العمر سيرتبط مصيره بنا ومصيرنا به ، نتقاسم معه نجاحنا أو فشلنا ، ويحمل كل منا نتائج سلوكيات الآخر ونمط فكره ، ويتأثر كل منا بنظرة الآخر إلى الأمور .

علينا أن نذكر أن شريك الحياة هو أب أو أم أطفالنا ، يورثه صفاته ويرضعه أفكاره ومبادءه .

● **ومادام الزوجان شريكين ، فلابد من وجود خطة وهدف واحد للحياة :**

لا يستطيع شريكان أن يعملا عملاً ناجحاً قبل الإتفاق على الإتجاه والهدف بوضوح تام ، لذلك يقولون : إن إختيارك يبين أحلامك ، والطيور تقع على أشكالها ! .

فأشرّ ما يبتلى به المرء هو " الشريك المخالف " .

● **وما دام الزوجان شريكين فلابد من الأمانة والمساواة :**

لا مجال فى الشركة الناجحة للطمع من جانب أحد الطرفين ليستأثر بكسب خاص دون شريكه ! . كذلك لا محل لأن يترفع أحد الطرفين على شريكه .

وإذا أردنا أن نكون شركاء ناجحين ، فلابد أن نلتزم بالأمانة الكاملة والوضوح الكامل ، والتفانى لإنجاح العمل .

غلطة العمر .. !

كثيراً ما يقول المتشائمون والفاشلون إن الزواج غلطة العمر . وأن الزواج " ورد لشهر وشوك الدهر " ! .

● **فماذا يجعل الزواج شوكاً ؟**

إن الزواج كما قلنا شركة تقوم على : حسن الإختيار ، والخطة الهادفة ، والأمانة

التامه بين الشريكين الراغبين فى النجاح . فإذا لم تتوافر هذه المقومات فشلت الشركة .

فسوء الإختيار ، وسوء الهدف ، والغش والخداع هذه جميعها تجعل الحياة الزوجية منغصة كالشوك ! .

وما نراه حولنا من مآس كثيرة ، ومن خلافات حادة ، وبيوت منهارة ، يرجع إلى إختيار سيئ متعجل تحت تأثير عاطفة هوجاء ، أو إلى لقاء بلا هدف وحياة بلا خطة ، أو إلى زواج مبنى على الغش والخداع والمصلحة . وعندئذ يكون الزواج غلطة العمر .

أساس الإختيار الناجح

هل هناك ضمان لنجاح الزواج ؟

هل هناك ضمان للإختيار الموفق ؟

كثيراً ما يكون البعض قد إختاروا شريك العمر بدقة متناهية ، ولكن العشرة قد كشفت لهم عيوباً لم تكن ظاهرة وهذا يحدث كثيراً . فكيف يكون الإختيار ؟ .

لا شك أن هناك ما يجعل الاختيار موفقاً ومضموناً إذا فهمنا حقيقتين هامتين :

- **الحقيقة الأولى :**

إن سنين العمر ليست ملكاً لنا ، لكنها ملك لله مانح العمر وواهب الحياة . لذلك ونحن نفكر فى شريك العمر لابد أن نعرف أننا لا نتشارك فى ما نملك ، لكننا نتشارك فى إدارة وإستخدام هذا العمر الذى أعطاه الله لنا لنديره لحسابه . وهذا يتطلب الأمانة والإخلاص من جانب ، ويتطلب الطاعة لله ، وإستجلاء خطة الله فى الحياة والإلتزام بها .

- **الحقيقة الثانية :**

إن الثمرة الجيدة هى نتاج بذرة جيدة فى أرض جيدة . فإذا أردنا أن تكون الحياة الزوجية ناجحة ، فلابد أن يحمل الشريكان فى أعماقهما بذرة الحياة الحية ! .

إننا لا تعجب أبداً من إنهيار بيت بلا أساس ! .

ولا تعجب أبداً من سقوط برج مائل ! .

كما لا يدهشنا أن تزدهر شجرة خضراء مزروعة فى أرض جيدة عند مجارى المياه ! .

فإذا أردنا بناء بيت ، فدعونا نسلم حياتنا لله ليضع لنا الأساس الراسخ .

وإذا أردنا لبيوتنا أن تزهر ، فدعونا نزرع جذورنا فى أعماق كلام الله ، التربة الصالحة التى تنمو فيها حياتنا .

إذا أردنا أن نستثمر العمر فى حياة دائمة الإخضرار فدعونا نترك أغصاننا الجافة فى يد الله ، ينتزعنا من أرضنا الميتة وعبادتنا العميقة الرتيبة ، ويبعث فينا وعياً جديداً من إلهام روحه القدوس ، الذى يجدد قلوبنا ، فنحيا له ، ونقضى أيامنا مع شريك العمر نتغذى برحيق الحياة المتجددة ، النابضة بالحب ، الساكنة تحت مظلة الله ، وفى رضاه .

إذا أردت الزواج ، فأدع الله مرة لكى يجدد حياتك ، ويغير قلبك وفكرك ، ويكشف لك طريقاً واضحاً إليه . وأدع الله ثانية أن يختار لك شريكاً من نوعك هذا ، وأدع الله ثالثة أن يجعلكما شريكين تستثمران حياتكما فى تحقيق خطة الله لكما .

وهذا هو ضمان النجاح الوحيد مهما كانت الظروف .

صرخة إنسانية

يارب

أخشى أن تخدعنى ذاتى ،

وأنا ألتمس شريك العمر ،

فأحطم هدف حياتى -

بعد فوات الأمر !

يارب

أخشى أن يخدعنى غيرى ،

أو أخدع غيرى ،

فأكون عليه وبالاً ،
وأضيّع أيام العمر !.

يارب
إن حياتى الخشنة ،
عود محروق لم تدركه قطرة ماء ،
عِرْق يابس ،
ينبت فى أرض جرداء !

فانقلنى ،
إنزعنى من بين الأحجار ،
إزرعنى حيث يكون الماء ،
لا أرغب أن أدعو شريك العمر
ليحيا فى صحراء !
لا أرغب أن يتعرض نصف كيانى
لوهج الشمس الحارق -
دون غطاء !

فإبعث فىّ روح حياة -
تُنبت أوراقاً خضراء .
إجعلنى رقيقاً ورفيقاً ،
إجعلنى ستراً ووقاء .

يارب
أنزعنا من أرض عفنة ،
وأخرجنا من زيف الأوهام ،
وإجعلنا نثبت فى حقك ،
اليوم وكل الأيام ،

يارب .

١٧ - مبادئ إنسانية ..

قد تشترك العين والقلب والإرادة والعقل
في صنع الارتباط الخادع الذي يجلب الشقاء !

الارتباط بالله يضع الأساس المتين للتوافق المريح

من قصص الطفولة الطريفة ، قصة " الأرنب والسلحفاة " . فقد قيل أن أرنباً برياً إرتبط بصداقة حميمة بجارته السلحفاة ، وتعاهدا على تبادل الخدمات ، تأكيداً لعهد صداقتهما . وعلى مدى شهور الصيف كان الأرنب يحضر الحشائش الخضراء لصديقته السلحفاة ، فتأكلها شاكرة سعيدة . ثم بدأت نسمات الشتاء تهب على الصديقين ، فأصيب الأرنب بنزلة من نزلات البرد الأرنبية ، فطلب من السلحفاة أن تستدعى له طبيب الغابة . وظل الأرنب ينتظر شهوراً طويلة ، حتى إشتد عليه الألم ، وخشى أن يهلك ! وإستبد به القلق وخاف أن تكون صديقته السلحفاه قد أصابها مكروه . فتحامل على نفسه ، وخرج إلى باب كهفه ينتظرها . فلما طال غيابها ، ذهب إلى بيتها ، فوجدها نائمة مستغرقة فى نوم عميق لذيذ ! فعاد إلى داره آسفاً ، يندب حظه العاثر ، ويبكى الصداقة الجاحدة التى لم تقدر إخلاصه ، ولم تهتم به فى ظروفه القاسية ! .

وفى الطريق إلتقى الأرنب بحكيم الغابة ، فروى له مآساته ، وحكى له عن غدر صديقته السلحفاة . فضحك الحكيم وقال له : يا طويل الأذنين ، كن طويل البال ، وتمهل فى حكمك ، فالسلحفاة لم تتعمد إهمالك ، ولم تقصر فى حقك ، بل أنت الذي قصرت فى حق نفسك ، حين إستخدمت السلحفاة فى أعمال النجدة ، وهى لا تملك القدرة على ذلك ، فليس من طبعها أن تقفز كالأرانب ، أو تحلق فى الجو مثل الطيور ، فكيف تسعفك ؟ .

قال الأرنب : إنى حزين أيضاً لأنها تركتنى فى محنتى ، ونامت ! قال الحكيم : يا قصير الذيل ، لا تكن قصير النظر ، ودقق فى أحكامك . إن السلحفاه لم تنم إهمالا لك ، بل نامت لأن النوم فى الشتاء ، من طبيعة السلاحف . وإقترب الحكيم من

الأرنب ، وربت على فروه ، وقال ضاحكاً : إنتظر يا ولدى ، فعندما يأتى الصيف ستستيقظ السلحفاة ، وأنا على يقين أنها ستذهب حينئذ لإستدعاء الطبيب ! .

الإرتباط المتخالف

كثيراً ما يرتبط الناس معاً فى صداقة ، أو فى عمل ، أو فى زواج ، دون تفكير أو بحث أو دراسة للأمور . وربما يستطيع البعض أن يتوافقوا ، لكن أغلب الإرتباطات التى لا تستند على توافق طبيعى - تأتى بنتائج سلبية ، أو تنتهى إلى مواقف مؤسفة ! .

والتدقيق فى إختيار شريك العمل ، أو شريك الرحلة ، أو شريك الحياة ، ضرورة حتمية ، تضمن سلامة المشاركة ، وتوفر على أصحابها هول المفاجآت التى لا يتوقعونها . فالتحالف بين شريكين مختلفين ، لابد أن يسبب آلاماً شديدة لكليهما .

وهناك صورة شهيرة للإرتباط ، مستوحاة من البيئة الريفية ، وهى معروفة لنا فى المنطقة العربية . هذه الصورة هى التى تعرف بالـ " نير " ! فما هى حكاية النير ؟ .

كان الفلاح قديماً يعتمد فى الفلاحة على حيوانات الحقل . فحين يريد أن يدير الساقية ، فإنه يستخدم بقرته أو ثوره . أما فى حرث الأرض ، فلم تكن البقرة الواحدة تكفى لجر المحراث الثقيل ، فكان لابد أن يستخدم بقرتين أو جاموستين أو ثورين .. إلخ . ولابد أيضاً أن يسير هذا الزوج من الحيوانات جنباً إلى جنب فى إنسجام وتوافق ونظام . فمن أين لهذه الحيوانات القوية أن تلتزم وأن تعقل ؟ ووجد الفلاح الحل فى " النير " ! .

فالنير قطعة عريضة ثقيلة من الخشب ، تربط فوق عنقى زوج من الأبقار ، لترغمها على السير متجاورتين فى إتجاه واحد ، لتجر المحراث أو تديرا الساقية .

وكان النير دائماً يساعد فى إنجاز العمل ، غير أن ما يحدث للحيوان تحت النير ، كان يختلف من حالة إلى حالة أخرى . فإذا كان هذا الزوج من الأبقار متفقاً ، سارت الأمور فى هدوء . أما إذا اختلفا ، فأنهما تتباعدان ، ويحاول كل فرد أن يسير فى الإتجاه الذى يروقه ، فتترتب على ذلك إحتكاكات خشنة ، وتجريح للرقاب ، وإفساد للعمل ، وتبديد للعافية ، وإزعاج للجميع ! .

وقد يحث هذا تماماً فى حياتنا الإنسانية ، فحين نتشارك فى عمل ، أو نرتبط

فى زواج مع فرد آخر له طبيعة أو إتجاه يختلف عنا ، فاننا نكون قد وضعنا أنفسنا تحت " نير الزواج الثقيل " أو " نير الشركة المخالفة " ، التى تؤدى حتماً للإحتكاكات الخشنة ، وتبدد عافيتنا ، وتجرح رقابنا ! .

من يخدعنا ومن ينقذنا ؟

فى أغلب المرات ، لا يخدعنا أحد من الخارج ، لكننا نتورط فى إرتباطات متخالفة ، لأن عيوننا تخدعنا ، وقلوبنا تخدعنا ، وعقولنا تخدعنا ، وإرادتنا تضعف أمام رغباتنا ، فنتورط فى حمل " النير " مع من يختلفون معنا ، فنجرحهم ويجرحوننا .

أما الإنقاذ فهو يبدأ من داخلنا أيضاً ، حين نحدد لحياتنا منهجاً روحياً ، يرتبط " بالكمبيوتر الإلهى " الذى ينير العين والبصيرة ، وينقى القلب ، ويوقظ الضمير ، ويوجه العقل . هذا الكمبيوتر الإلهى يعمل فينا للتوجيه والتوعية . ويضعنا فى طريق واضح وأمام رؤية واضحة للعمر كله .

لا شئ ينير أرواحنا إلا روح الله ، ولاشئ يقدس إرتباطنا إلا قداسة الله .

نحتاج إلى لمسة إلهية تحفظنا فى سلام مع النفس ، ومع الآخرين .

صرخة إنسانية

يارب

إحفظنى من الإرتباطات الخادعة -
التى تصنعها عينى !
فأنا إنسان محدود الرؤية -
يجذبنى البريق ،
وتخدعنى المظاهر الكاذبة ،
فأندفع وراء شهوات العين -
مثلما يندفع الظمآن لاهثاً ،
وراء السراب الخادع .

يارب

إحفظني من الإرتباطات الخادعة -

التي تصنعها عواطفي .

فأنا إنسان هائج العواطف ،

تستثيرني الكلمات الملونة -

والإبتسامات الخادعة ،

فاندفع إلى النار -

كما يندفع الفراش إلى الهلاك !

يارب

إحفظني من الإرتباطات الخادعة -

التي تصنعها إرادتي ،

فأنا إنسان متطلع ،

يدفعني شغفي بالحياة -

إلى مخاطرات مشبوهة !

رغباتي المنحرفة تجمح وتفلت ،

فتدوس بأقدامها فوق ضميري ،

فأرى متعة اللحظة -

أكبر من تحفظات الماضي وأمل الغد !

وحين أفيق من غفلتي ،

تكون إرادتي الواهنة -

قد إنسحقت في أعماق اليأس .

يارب

إحفظني من الإرتباطات الخادعة -

التي يصنعها عقلي ،

فالأفكار تخدع ،

والنظريات تضلل ،

حتى العقول الإلكترونية -

أحياناً تغش !

فلقد تسلل فيروس الخداع -

إلى كل العقول الغافلة !
وأنا إنسان غافل ،
خدعتنى أفكارى ،
ورطتنى فى إرتباطات غير مأمونة ،
فلم يستفق عقلى ،
ولم تستنر بصيرتى !
وحين إكتشفت فداحة الخطأ المزعج ،
أدركت أن هفوتى الذهنية ،
قد تحولت إلى سقطة مصيرية -
تكاد تبتلع كيانى !

يارب
أعطنى أن أقطع إرتباطى بالشر ،
وأن أقيد ذاتى الجامحة ،
وأن أحكم وثاق أربطتى بك ،
وأن أتعلق بأبواب خلاصك .

يارب
أرشدنى إلى الشركاء الصالحين ،
وإلى الأصدقاء المخلصين ،
وإلى الرفقاء الأوفياء .
أرشدنى إلى من يقربنى إليك ،
إلى من يشاركنى رحلة العمر -
تحت ظلال رحمتك ورضاك .

يارب
وقبل كل شئ ..
خلص نفسى من الخطايا ،
ومن دنايا النفس ،
أغمرنى بنور إرشادك وتوجيهك ،
سيطر بروحك القدوس -
على طبيعتى الساقطة ،

إجعلنى إنساناً روحياً -
فترتفع تطلعاتى إلى أجواء النقاء ،
فلا أعود إلى وحل الرغبات الأرضية .

يارب

إجعل إرتباطى بك -
أساساً متيناً لتوافقات مريحة ،
واجعل حياتى معك -
سداً منيعاً -
يرتفع أمام الإرتباطات المتخالفة -
التى أشقت نفسى الشاردة ،
وجلبت لأيامى الوحشة والشقاء .

هبنى عيناً نظيفة ،
هبنى قلباً نقياً ،
هبنى إرادة ثابتة ،
هبنى عقلاً مستنيراً ،
هبنى ضميراً حياً ،
هبنى : حياة جديدة ،

يارب .

١٨ - مبادئ إنسانية ..

إن بيتاً يبنيه الله ، يثبت مدى الحياة

قالوا عن الأسرة :

- سئل ولد صغير : أين بيتك ؟ فنظر إلى أمه بعينين مملوءتين بالحب ، وقال : " بيتى حيث تكون أمى ! " .
- جوته : " إنه أسعد الناس - سواء كان ملكاً أو أجيراً - ذلك الذى يجد سلاماً فى بيته " .
- مارجريت فولر : " لا يكون البيت مسكناً حقيقياً ما لم يتوافر فيه الشبع والدفء للروح - كما للبدن " .
- كونفشيوس : " إن عظمة الأمة تستمد من إستقامة الأسرة " .
- مثل صينى : " أن تكون صالحاً فى داخل بيتك ، خيراً من أن تحرق البخور فى مكان بعيد " .
- " إن السعادة توجد - فقط - فى البيوت التى تحب الله وتعظمه ، حيث كل واحد يحب ويحترم ويساعد ويعتنى بالآخرين " .
- روبرت ينسن : " إن إتحاد الأسرة يستند على الحب ، فبالحب وحده يتم التوافق بين من يملك السلطة ومن يطلب الحرية " .
- جورج إليوت : " قليلون ولدوا ليؤدوا الأعمال الكبيرة فى العالم ، لكن العمل الذى يستطيع الجميع عمله هو جعل دائرة البيت الصغير أكثر إشراقاً وجمالاً " .
- مثل شرقى : " من يخجل من أسرته ، لا خير فيه ولا بركة " .
- شارلز كالدويل : " من السهل أن تبدو صالحاً أمام الغرباء ، لكن الإختبار الحقيقى هو سلوكك فى داخل البيت " .

كان **مارك توين** (١٨٣٥-١٩١٠) واحداً من أبرز الكتاب الأمريكيين الذين حققوا شهرة واسعة على المستوى العالمى . وقد هيأت له ظروف نشأته التعرف على

كثير من خفايا مجتمعه ، فقد عمل فى مطلع شبابه بحاراً فى نهر المسيسبى حتى إندلاع الحرب الأهلية ، ثم إنتقل إلى نيويورك ، وإستقر فى كونكتيكت ، وإحترف الكتابة ذات الطابع الإجتماعى النقدى الساخر ! .

ونحن نعرف مارك توين من خلال أعماله الأدبية الشهيرة ، وكتاباته الفكاهية ، لكن هناك درساً أود أن نتعلمه من حياته البيتية الخاصة .

تزوج مارك توين (وإسمه الأصلى صامويل كليمنتس) من ليفى الفتاة الجميلة التى أحبها حباً شديداً . وكانت فتاة متدينة ، ترعى العلاقة التى تربطها بالله ، فهى تبدأ فى الصباح الباكر بقراءة الإنجيل والدعاء ، وترفع صلاة شكر لله كلما تناولت طعاماً . وهى تختتم يومها أيضاً بالصلاة قبل أن تأوى إلى فراشها .

وقد حاولت الزوجة التقية ، أن تجعل بيتها نقياً خالصاً لله ، فدعت زوجها أن يشاركها فترات تأملاتها الروحية ، وأن تكون له علاقة شخصية بالله .

وفى أيام الزواج الأولى شارك " سام " زوجته تعبّدها ، لكنه بعد قليل قال لزوجته : **" يمكنك أن تعبدى الله كما شئت ، أما أنا فلا أريد ! "** .

ومرت الأيام ، وذاع صيت الرجل ، فجذب زوجته إلى حياة إجتماعية خالصة ، إنقطعت فيها علاقتها الدافئة بالله ، وإبتعدت بعيداً بعيداً عن حياتها الأولى ، فلم تعد تستشير الله فى شئونها ، أو تلجأ إليه فى حاجاتها ، ولم تعد تحس بحضوره فى بيتها ، ووجوده فى كيانها ! .

ودارت الأيام ، وفقد الرجل ثروته ، وإضطر فى سنة ١٨٩٣ إلى السفر إلى شتى أنحاء العالم لإلقاء المحاضرات لكسب عيشه . ثم توالت المحن فماتت إبنتاه ، وإعتصر الألم والحزن قلب الزوجه فلازمت الفراش لسنوات عديدة ! .

وفى ظل الظروف الصعبة قال مارك توين لزوجته : **" إذا كان إيمانك الأول يستطيع أن يعيننا الآن ، فأرجو أن تعودى له "** .

وأجابت الزوجة فى مرارة : **" لا أستطيع الآن ، فليس فى داخلى شئ لله بعد ! لقد تحطم إيمانى منذ زمن بعيد ! "** .

وفى حسرة وألم كتب مارك توين كتابه الشهير " من هو الإنسان ؟ " الذى يعكس روحاً متشائمة فى بيت يفتقد سلام الله ! .

منذ عدة سنوات ، أصر رجل يدعى " روبرت هومر بيردان " ، أن يقيم حفل زواجه فوق صخرة فى قمة جبل طارق ! وعلل العروسان إختيارهما الغريب بقولهما : لقد أردنا أن نؤسس بيتنا على الصخر ليظل زواجنا ثابتاً أمام العواصف وإضطرابات الحياة ! .

ولسنا نعلم ما قد حدث لهذه الأسرة مع الأيام ، لكن ما نعلمه يقيناً هو أن **ثبات الأسرة لا يتوقف على الموقع المادى الذى يبنى فوقه البيت ، بل على الأساس الروحى الذى يبنى عليه . وهذا الأساس الروحى هو وجود الله فى قلب أفراد الأسرة .**

الأسرة التى يبنيها الله ، هى الأسرة التى تتشكل من أفراد يعرفون الله معرفة شخصية تربطهم به برباط روحى قوى . فلكل فرد إختيار خاص أدرك من خلاله - وفى لحظة غالية من لحظات العمر - أن الله يطرق على باب قلبه ، يهمس إليه - يكشف له ذاته - يغفر ذنبه ويقبل توبته ، يغسله ، يطهره ، ينقيه ، يحدثه ويستمع إليه ، يقوده ويرشده ويعلمه ، يضمن حياته ومستقبله وآخرته ، ويصنع منه لبنة صالحة لبناء أسرة .

هذه العلاقة التى تربط الأفراد بالله ، هى التى تشكل البيوت الحية ، التى فيها يبنيها الله ويسكن فيها ، ويضمن ثباتها وسلامتها أمام كل العواصف والرياح .

إن الأسرة التى يبنيها الله يؤسسها على دعامات الحب والعطاء والتفانى والتسامح والرضا . فيستطيع أفرادها أن يختبروا السعادة رغم الضيق ، والصبر رغم الألم ، والرضا فى وقت الحاجة ، والتسامح فى وقت الأذى ، والمغفرة وقت الإساءة ، والثبات وسط العاصفة ! .

إن بيتاً يبنيه الإله يثبت طول الحياة ، ومهما تمر به من مصاعب يظل ثابتاً طول العمر ! .

هل يعيش الله فى أسرتك ؟

عندما عاد الزوج إلى بيته ، حدثته زوجته ، فقالت إن رجلاً صالحاً طرق الباب

وسألها إن كان الله يسكن فى هذا البيت ! ، وأضافت الزوجة قائلة : أننى لم أعرف ماذا أقول له ! .

وقال لها الزوج : لماذا لم تخبريه أننا من أسرة عريقة ، وأننا من أصل طيب ، وأننا نصنع الخير للجميع ؟ . قالت الزوجة : إنه لم يسأل عن كل هذا ، بل سأل فقط إن كان الله فى بيتنا . فقال الزوج : لماذا لم تخبريه أننا لا نشرب الخمر وأننا نؤدى فروض الدين ، ونتصدق على الفقراء ؟ . وأجابت الزوجة : لأنه لم يسأل عن هذا ، بل سأل إن كان الله يسكن هنا فى بيتنا ! ، وأدار الرجل وجهه فى أرجاء البيت ، ونظر إلى زوجته فى خجل وقال : لا أظن أن الله يسكن معنا فى هذا البيت ! .

إن الله موجود بقدرته وإتساعه فى كل الوجود ، لكنه يتواجد بصورة حية واضحة ملموسة فى بيوت الأتقياء الودعاء ، وهم يستطيعون أن يلمسوا وجوده بينهم ويعاينوه ! إنه يملأ بيوتهم سلاماً وطمأنينة وفرحاً .

وعلى الجانب الآخر ، فإننا نرى بيوتاً تخرب ، وأسراً تتفكك ، وعائلات تنقسم ، وصروحاً تهدم ، وأبناء يضيعون ، وأخوة يتنازعون وأزواجاً يتشاتمون ، وأشقاء يتخاصمون ، وشركاء يتقاتلون ! وسنرى أكثر من هذا مادمنا بعيدين عن الله ! .

إن السعادة توجد فقط فى محيط الأسرة التى تحب الله وتعظمه ، وتعطه مفاتيح البيت ليمتلك كل شئ فيه ! .

ماذا تقدم لأسرتك ؟

كثيراً ما نقدم لأسرنا المال والهدايا والحب والوفاء والإخلاص . وقد تقدم لأسرتك الرعاية والإهتمام وتأمين الحاضر والمستقبل .

ولابد أنك لا تبخل بإسداء النصح والتوجيه ، وتعطى الخبرة والمثال .

لكن أفضل ما تقدمه لأسرتك ، هو أن تقدم نفسك لله ! فيجعلك صالحاً للبيت ، أن تفتح قلبك لله ليغير أعماقك .

إن شمعة باردة مطفأة لا تنير طريقاً لأحد ، ولا تدفئ أحداً ، ولا تؤنس وحشة خائف ، فإجعل الله يضئ شمعتك ، ويذيب جمودك ، ويضع فيك فكره وروحه ، فتقدر أن تحترق لتضيئ ، وتفنى لتتجدد .

يارب
إجعلنى لبنة صالحة لبناء بيت ،
لا تسمح أن أكون كالطوب الردئ ،
أو الحديد الصدئ ،
فأقوّض البيت الذى يضمنى !
أعلم أنى صخر جاف ،
حجر أعوج ،
يمكن أن يقذفنى البنّاء بعيداً ،
حتى لا أفسد ما يبنيه ،
ولذلك جئت إليك .

أعد صياغتى ،
أعد صناعتى ،
إسحق ذرات خامتى اليابسة ،
ضعنى فى مصفاة ،
قلبّنى فى غربال ضيق ،
غيّر ترتيب حروفى ،
إصهرنى حتى أذوب ،
إدخلنى فى ماء أو فى نار ،
وأعد تشكيل مادتى !
دعنى أولد منك جديداً !
إكشف لى قصدك وتدبيرك وغايتك ،
ضعنى حيث تشاء فى أبنية الكون !

يارب .

١٩ - مبادئ إنسانية ..

قد يستطيع كل إنسان أن يتزوج ،
لكن البيوت السعيدة يبنيها الله !

نشأت الطفلة الصغيرة فى بيت عمها ، فقد توفى والداها فى سنوات عمرها الأولى . وكان العم فقيراً لا يكاد يجد قوت عياله ، فلم تتلق الطفلة شيئاً من التعليم - لا هى ولا أبناء العم جميعهم .

ومرت سنوات الطفولة والصبا ، وكان لابد أن تتزوج الفتاة من أحد أبناء العم ، وكان لابد أيضاً أن يترك الزوجان الصغيران قريتهما ، ويهاجران إلى العاصمة طلباً للرزق .

وفى العاصمة الكبيرة إستأجر الزوجان حجرة صغيرة فوق سطح أحد المنازل القديمة فى حى شعبى . وفى الصباح إتجه الزوج الشاب إلى سوق الجملة القريب ، حيث عمل حمالاً للبضائع الثقيلة فى السوق ، أما العروس الطفلة فعملت خادمة فى البيوت . ورغم تلك الحياة الخشنة ، ظل الزوجان سعيدين فى جحرهما الصغير ! .

وإجتهد الرجل فى عمله ، فهو فى الصباح " حمال" ، وفى المساء " بائع " يبيع " الذرة المشوية " أمام إحدى دور السينما الشعبية ! .

ثم تداخل بين تجار " الخردة " وتجار قطع الغيار القديمة للسيارات ، وتعرف على بعض أسرار المهنة ، فإستطاع بذكائه الفطرى أن يبدأ فى تجارة المهملات والخردة برأس مال محدود . ولم يمض وقت طويل حتى أتسعت تجارته ، وأصبح له مخزناً ومتجراً ، وإنتقلت الأسرة إلى شقة واسعة . وكانت الأم قد توقفت عن الخدمة فى المنازل ، وتفرغت لرعاية أطفالها الصغار .

وبعد سنوات من الجهد أصبح الرجل تاجراً معروفاً ، يركب سيارة حديثة ، ويقيم فى " فيلا " فخمة فى حى راق ، وله أبناء فى مدارس خاصة للغات ، وخلع جلبابه البلدى ولبس الملابس الأفرنجية ! .

وتقدم الأطفال فى دراستهم ، غير أنهم إحتاجوا لمدرسة خاصة تساعدهم فى

البيت ، فإستحضر الأب إحدى مدرسات الفصل لتعاون الأطفال فى إستذكار دروسهم ثلاث مرات إسبوعياً ، غير أن المدرسة الجميلة دخلت الفيلا ، ولم تخرج منها ، فبعد فترة قصيرة من ترددها على البيت صارت هى الزوجة الثانية ! .

وفى محكمة الأحوال الشخصية ، حيث وقفت الزوجة الأولى تطلب الطلاق ، قالت الزوجة : " لقد وقفت إلى جانبه كل أيام الفقر والذل ، وتحملت العيشة الضيقة الخشنة ، شجعته فى كفاحه ، وصنت له البيت ، وأنجبت الأبناء ، لكنه غدر بى عندما جرى المال بين يديه ! " .

وقال الزوج : " إنها زوجتى الوفية ، وإبنة عمى ، وهى صادقة فى كل ما قالت ، وهى شريكتى فى كل ما حققته من كسب ، فقد تحملت معى قسوة سنين الكفاح ، فكانت مثالاً للحب والوفاء ، لكننى فى مشكلة حقيقية ، فزوجتى لم تتطور ، ولم تتغير ، فهى لازالت الريفية الجاهلة ، تفيح منها رائحة الثوم والبصل ، بالرغم من وجود " الطباخ والسفرجى " بالفيلا ! وهى لا تستخدم قط العطور الباريسية التى أحضرها لها ، ولا ترتدى الثياب الحديثة التى أشتريها لها من كبرى بيوت الأزياء ... إلخ ، وأنا الآن رجل أعمال ، بيتى مفتوح للزوار ، وأحتاج إلى زوجة راقية ، كذلك أبناءنا يحتاجون إلى أم مشرفة ، فلم أجد بداً من تعويض هذا النقص ! " .

وتنتهى وجهتا النظر ، قال كل من الزوج والزوجة حيثيات الحكم من وجهة نظرهما ، وبرر كل منهما موقفه من الآخر ، ورأى كل منهما أنه على حق . فالزوج يرى أنه رجل مثالى مكافح ، حقق لإسرته ما لم يحققه الآخرون ، وإنتشلهم من القاع ، وصعد بهم إلى القمة ! والزوجة ترى أنها سيدة أمينة مكافحة ، قبلت العيش بمره وحلوه ، ولم تهمل بيتها يوماً من الأيام ، ولا قصرت فى واجب من واجبات الزوجة المخلصة ! .

كان هذا هو الكلام الذى ردده كل منهما علناً فى قاعة المحكمة ، وإستمع له القضاة ، فرأوا أن كل من الطرفين على حق فيما قال ، فأصلحت بينهما ليعودا معاً إلى البيت فى ظل الظروف الجديدة ! . ويبقى بعد ذلك أن نعرف ما قاله كل منهما لنفسه ، بعد أن إنتهى الدفاع الرسمى ، وخلا كل منهما إلى ذاته يسترجع قصة العمر ! .

ربما قال الزوج لنفسه : " أخطأت فى حق زوجتى الوفية ، وتجاهلت ما بذلته فى

صبر من شبابها وحيويتها ، وهى تخدم فى المنازل لتشترى لنا الخبز ! ولم أعد أرى إلا الجوانب السلبية فى حياتها ، وأطالبها بما لا طاقة له به ! " وربما قال الزوج لنفسه : " إن ما إدعيته من حرص على مصلحة الأبناء لم يكن هو السبب الحقيقى لزواجى بالمدرسة ، فقد كان من الممكن أن أستحضر أكثر من مربية ، يتناوبن العمل فى خدمة الأبناء ! " . وربما كان الرجل أكثر صراحة فقال لنفسه : " إننى إتخذت الأبناء حجة لحقيق رغبتى فى الزواج بفتاة أصغر ! .. إلخ " .

وربما قالت الزوجة لنفسها : " لقد أخطأت فى حق زوجى ، فلم أنفتح على الحياة الجديدة التى حاول جاهداً أن يدفعنى إليها ، كان ينبغى أن أطور عاداتى وأهتم بمظهرى حتى لا أسئ إليه وأذكره بأيام الفقر ! " ... إلخ .

فى كثير من الأحيان يستطيع الأزواج أن يبرروا مواقفهم أمام الناس ، ويستطيع كل زوجة وزوج أن يجدا تعليلاً مقنعاً لكل ما يعملانه ، لكن الأهم من ذلك - ماذا يرى كل منهما فى ذاته أمام محكمة النفس - أمام ضميره ؟ .

إثنان فى واحد

الزواج السعيد هو ذلك الذى يجمع إثنين ، ويجعلهما واحداً . فإذا تحقق هذا التوحد بين الزوجين ، إختفت أسباب الخلاف ! .

- **فإذا توحد الزوجان ، أحب كل منهما الآخر وأسرع إلى إرضائه** ، فالرجل يحب زوجته وهو عالم أنها بعضٌ منه ، والزوجة تطيع زوجها معطية له الكرامة كرب للبيت ، وهى عالمة أن مصيره مصيرها وأن ما يفيده يفيدها وما يضره يضرها .

- **وإذا توحد الزوجان ، أحس كل منهما بالطمأنينة والسكون فى رعاية الآخر** ، فلا سيادة ولا تسلط ، ولا عصيان ولا تمرد . وليس هناك أمر وقهر ، ولا خوف ولا ذل .

- **إذا توحد الزوجان ، أصبح لهما فكراً واحداً** ، فلا جدال ولا مشاحنة ، ولا محاكمة للأفكار والنوايا ، فكل واحد يقرأ بسهولة ما يدور بفكر الآخر ، فيقترب إليه حباً وقناعة ! .

- **إذا توحد الزوجان ، توحدت الأهداف فصار للبيت طريقاً واضحاً** ، ويتعاون

الجميع لبلوغ الهدف الواحد ، فلا تتبدد الطاقات ، ولا يضيع العمر .

● **إذا توحد الزوجان ، تحقق لهما النجاح المشترك** ، فلا يسبق أحدهما الآخر فينفصل عنه ، ولا يتخلف أحدهما عن الآخر ، أو يلهث خلفه ، فيحس بالغبن أو الضياع .

● **إذا توحد الزوجان ، توحدت ممتلكاتهما** ، فلا مال للزوج ، ولا مقتنيات للزوجة ، فكل منهما ملك للآخر ، وكل منهما جزء من كيان واحد له كل شئ ! فى الحاضر والمستقبل .

● **إذا توحد الزوجان ، هدأت حدة الطباع المختلفة ، وأصبحت أكثر ليناً** . ووجد كل منهما فى طباع شريكه ما يكمل نقائصه ، ويفيد رحلتهما المشتركة . فلا يعير أحدهما الآخر ولا يزهو أحدهما على رفيقه ، ولا يلومه أو يؤنبه أو يضيق به ! .

● **إذا توحد الزوجان ، هدأت صيغة " الأنا " ، وحب الذات** ، وإستطاع كل طرف أن يجد ذاته فى الآخر ، وأن يجد كرامته فى رفيق العمر ، وأن يجد مستقبله فى نجاح شريكه المحبوب .

● **إذا توحد الزوجان ، أصبح من الصعب أن يتسلل إلى قلبيهما فكراً عدائياً يفرق بينهما** ، أو يزرع الخصومة فى أرضهما الخضراء .

إن السبب الحقيقى الذى يفرق بين زوجين ، ليس هو ما نقرأه فى صفحات الدعاوى بالمحاكم ، وليس هو ما يطلقه الطرفان من إدعاءات ثائرة . السبب الحقيقى للإختلاف بين زوجين هو أنهما إستمرا " إثنين " ولم يصيرا " واحداً " ! . وكيف لا تتمزق عربة الزواج إذا كانت تقودها قاطرتين تسيران فى إتجاهين مختلفين ؟ ! .

ما أكثر الدموع ، وما أكثر الحكايات الباكية ، وما أكثر النفوس المحطمة ، والحياة الضائعة ، وراء زيجات لم تتوحد فيها النفوس الراضية ! .

صُنِع فى السماء !

عزيزى الشاب ، عزيزتى الشابه على أبواب الزواج ، هل تريدان نصيحة تنفعكما ؟

تأملا فيما يلى :

عندما نريد أن نقتنى جهازاً ثميناً ، فإننا نحرص أن يكون بلد المنشأ معروفاً بصناعته الجيدة . و " الزواج الموفق السعيد " ، هو ما يريد كل فتى وفتاة أن يحصلا عليه فى بيت المستقبل ، لذلك ينبغى أن يكون هذا الزواج " **صناعة مضمونة** " . أحرصا أن يكون الزواج الذى يجمعكما من صنع السماء . **الزواج الذى يحمل شعار " صنع فى السماء " ، لابد أن يحقق السعادة الدائمة ، فالسماء تضمن إنتاجها مدى الحياة ! . إن مصنع السماء لا يخطئ ، فهو يشكل القطع المناسبة ، ويجمعها ، فتتوافق تماماً ، وتصبح قادرة على الأداء الصحيح ، وتحقق هدف الله لخير الناس .**

قبل أن تفكر فى عروس المستقبل ، فكر فى نفسك كزوج ! وقبل أن تفكرى فى عريس المستقبل فكرى فى ذاتك كزوجة . فليسأل كل " هو " وكل " هى " ذاته : هلى أنا جزء صالح يستخدمه الله فى صناعة " زواج موفق " ؟ وهل يرى الله أننى أصلح لتأسيس بيت يكون سبب خير للعالم ؟ .

ضع نفسك بين يدى الله ، يفحص مالك من طباع ، وما يحمله قلبك من ميول ، وما تصطبغ به إنسانيتك من أنانية وحب للذات . لتترك ذاتك أولاً بين يدى الله خالقك ، يفحص ما أوصلتك إليه طبيعتك البشرية من ضعف وسقوط ، ثم دعه يفتش فى قلبك ، وينير فكرك ، ويصلح ضميرك ، ويجعلك إنساناً جديداً ، فيسكن فى داخلك روح جديد يربطك بالحياة والأبد . فحينئذ يأتمنك الله على عروس من ذات نوعك ، لتحققا معاً بيتاً سعيداً يسكنه الله ! .

يستطيع كل إنسان أن يتزوج ، لكن البيوت السعيدة يبنيها الله ! .

صرخة إنسانية

يارب

أعلم أنك تحب العالم وترعاه ،

وتفيض عليه بخيرك وعطاياك .

ولأنك تحب عالمنا ،

فإنك لا تشاء أن يمتلئ ،
من البيوت الحزينة .
وما أكثر البيوت الحزينة ،
الممتلئة من الدموع والألم .
وما أكثر الذين يبيتون على الجمر !
لأننا نصنع بيوتنا -
من خامات رديئة !

لذلك أضع نفسى بين يدك ،
فانت فاحص القلب ،
وانت العارف بما فى الضمير ،
وأنت المدرك لضعف طبيعتى ،
وأنت العارف بأنانية نفسى ،
فكيف تأتمننى كربٍ لبيت ،
أو كزوج لعروس ،
أو كأب لأبناء !

فأنر قلبى وفكرى وضميرى ،
قوّم طريقى ومسلكى .
وأهدنى إلى طريق أبدى ،
أجد فيه خلاص النفس ،
ووضوح الحق ،
ووعد الحياة التى لا تفنى .
إجعلنى إنساناً روحياً ،
يملأنى فيض من روحك .
ويبنى بى بيتاً ثابتاً ،
لا تزحزحه الرياح .
صناعة يديك -

يارب .

من يبنى لنفسه بيتاً بلا إساسات قوية ينهار فوق رأسه !

الزواج الذى يقوم على الخداع ينتهى إلى الضياع !

فى أسبوع واحد قرأت ثلاث قصص أليمة ، جاءت فى ثلاث حوادث ، وإنتهت بأصحابها إلى السجون . والقصص متشابهة فى أساسياتها ، مختلفة فى تفاصيلها ، فهى فى جملتها زيجات فاشلة قامت على الغش والخداع ، وإنتهت إلى الإنهيار المصحوب بالفضائح وكشف المستور ! .

والقصة الأولى ، قصة خليل ـ العامل الوسيم ، الذى عثر على بطاقة شخصية فقدت من أحد المهندسين ، فوجد فيها غايته المنشودة ليقترب بها إلى الفتاة الجامعية التى أعجبته . وإستغل خليل عدة عوامل لتحقيق هدفه الطائش منها : وسامته ، ومعرفته ببعض التعبيرات الهندسية التى إكتسبها فى عمله الحرفى . وتم الزواج ، إلى أن أكتشفت الزوجة المخدوعة حقيقته ، وهدم الزواج القائم على الغش ، ليحاكم العريس النصاب بتهم النصب والتزوير وإنتحال شخصية .. إلخ .

أما القصة الثانية ، فلم يكن بطلاها عريس نصاب وزوجة مخدوعة ، بل كان كلا الطرفين شريكاً فى جريمة واحدة . فقد كان هو عاطلاً يبحث عن صيد ثمين ، وكانت هى خادمة فى منزل بعض الأثرياء ، فإتفقا على الزواج بعد أن سرقت الفتاة مخدومها . وتم الزفاف السعيد الذى لم يدم سوى لحظات ، ثم كانت " سنوات العسل " فى السجن ، وبئس المصير ! .

أما قصة الزواج الثالثة ، فقد أشتركت فى حبك خيوطها مجموعة كبيرة من المنتفعين ، فقد تقدم العجوز المزواج صاحب الثروات التى يسيل لها لعاب الفقراء . تقدم طالباً يد الطفلة الجميلة من أبيها المحتاج . الذى ضعف أمام المال ! ثم جاء دور السمسار الوسيط الذى سهل الأمر وطيبه ، فتمت الصفقة المشبوهة فى مكتب المحامى المتخصص ، وهو خبير فى توفيق الرؤوس فى " الحلال " . وأعدت الشهادات الطبية والأوراق الرسمية لزوم الزواج السعيد ، الذى أثمر عن جارية صغيرة تحمل جنيناً ، وزوج غائب لا يُعرف له قرار ! .

وهذه النماذج الثلاثة التى قرأتها فى أسبوع واحد ليست حوادث شاذة ، بل هى زيجات أصبحت مألوفة ومتكررة ، وهى تقدم صورة قبيحة لبيوت كثيرة ، تقوم على الغش والخداع والضلال ، وتحمل فى داخلها عوامل فشلها من قبل أن تبدأ ! إنها تشبه البنايات المقامة بغير أساسات ، أو البنايات المقامة بمواد رديئة وخامات صدئة .

ومن يبنى لنفسه بيتاً بلا أساسات ، فليتوقع أن ينهار البناء فوق رأسه .

الزواج شركة

يسمى الزواج " شركة " ، وهى تسمية معبرة ، تحمل كثيراً من المعانى . فالزوج والزوجة شريكان يتقاسمان مسئوليات البيت ، بل ويتقاسمان مفردات الحياة فى بيتهما بحلوها ومرها ، ويجنيان معاً ثمار النجاح كما يتحملان معاً توابع الفشل . والشركة فى الزواج الصحيح شركة غير محدودة المدة ، وفيه يدعو كل طرف الآخر : " شريك العمر كله " .

إلا أن الزواج ليس شركة من نوع الشركات التجارية التى يساهم فيها الطرفان بقدر من رأس المال - يصبح أساساً للمحاسبة ، فيقتسمان الأرباح والخسائر - كل بحسب حصته التى ساهم بها ! **بل هى شركة ذات طبيعة خاصة جداً ، يحاول فيها كل من الطرفين أن يتنازل عن مكاسبة للآخر .** ويحاول كل من الطرفين أن يتحمل كل المتاعب وحده دون إزعاج للآخر . إنها شركة لا تقوم على الدفاتر والموازين والحسابات بقدر ما تقوم على الوفاء والعطاء والحب والسماح ! .

الزواج بناء

وإذا كان الزواج يوصف بأنه شركة لتأكيد الندية بين طرفيه ، وتأكيد المسئولية المشتركة ، فإنه يوصف أيضاً بالبيت لتأكيد المودة والخصوصية بين طرفيه . فالزواج الموفق هو صفحة بيضاء - أرض فضاء خالية - يبنى عليها الزوجان بيتهما " طوبة فوق طوبة " ، فيحققان حلم العمر معاً ، حين يرتفع البناء أمامهما ، ليغمر قلبيهما بالسعادة والرضا ! .

وعملية بناء البيت ليس بها " مقاول وزبون " ! بل بها عاملان يبنيان معاً بالعرق

والجهد والكفاح والحب ! .

والزواج كبناء لابد أن يقوم على أعمدة ودعامات قوية ، وأهم الدعامات التى تضمن صلابة البيت أمام العواصف هى : الحب المتبادل ، والخضوع المتبادل ، وهاتان الدعامتان القويتان تتأسسان على القبول والإحترام والتفاهم والثقة ! .

ويشترك الزوج والزوجة والأبناء فى حمل سقف البيت ، والسقف هو الظل والستر والخصوصية . فالبيوت التى بلا سقف بيوت مكشوفة مستباحة تنهشها العيون ، وتأكلها الألسنة ! .

ويظل الحب فى البيت هو المادة اللاصقة التى تجمع مفردات البيت ، إنه " الأسمنت " الذى يجمع ويلصق أحجار البيت ويكون حوائطه وسواتره . الحب هو الذى يجعل من أفراد البيت بناءً مترابطاً ، له شكل وقوام وجمالية خاصة . كما يمنح البيت قوة وصلابة وتماسكاً وصموداً أمام الرياح والعواصف وضغوط الحياة وإختلاف وجهات النظر - إلى غير ذلك من المعاثر التى تتعرض لها البيوت الخالية من الحب والعطاء ! ، والبيوت العامرة بالحب تختلف عن البنايات الحجرية ، فهى تزداد مع الأيام صلابة وقوة - على حين تتفتت الأحجار كلما طال بها الزمن . لذلك قيل : **" بيوت الحب أقوى من الحديد الصلب " ! .**

الزلازل والمياه الجوفية !

قد تتعرض البنايات لعوامل الهدم والتخريب التى تأتيها من الخارج كالعواصف والزلازل ، لكنها قد تتعرض لعوامل النحر والتفتيت من الداخل كتسرب المياه الجوفية إلى أساسات البناية ، والحياة الزوجية تواجه ذات الخطرين ، فقد تأتيها المتاعب من الخارج ، وقد تأتى من داخلها ، فتعمل فيها ما يفعله السوس فى جزع الشجرة . ولعل عوامل الهدم الداخلية أكثر إيلاماً ، وأشد مرارة ، وأعمق جرحاً .

لذلك فنحن نحتاج إلى أساس متين تقوم عليه حياتنا - أساس صخرى - ليس من طبيعتنا الطينية الرخوة ، ولا من أنانيتنا وضعفاتنا البشرية ، بل من الله - القادر أن يمنحنا طبيعة جديدة معدنها العطاء والتسامح والغفران والقبول والرضا والحب بلا حدود .

إن إثنين يجمعهما الله لا يفرقهما إنسان وبيتاً يبنيه الله لا تهدمه عاصفة ! .

يارب
يساورنى القلق ..
لفرط ما سمعت وشاهدت وقرأت ،
فطالما رأيت العلاقات تنهار ،
والزيجات تسقط كالبيوت القديمة !
وأنا لا أريد أن أسكن فى بيت ليس له أساس ،
ولا أريد أن أبنى بيتاً ينهار فوق رأسى !
أريد بيتاً لا تقوى عليه الريح ، ولا تقتلعه العواصف ،
أريد بيتاً يقاوم الزلازل ، ويصمد أمام البراكين !
فإنتزع أنانيتى التى تنخر أساساتى .
وثبت فى داخلى الدعامات القوية ،
الأعمدة التى تحمل سقف بيتى .

إحمنى واحم لسانى من الزيف والكذب ،
واحمنى واحم بيتى من عواصف الغضب .
إجعلنى غطاءً وستراً لزوجتى (لزوجى)
فلا أشهر بها (به) عند الخطأ ،
يارب
وليس هناك ضمان سوى أن تغيّرنى ،
أن تضع فى داخلى دعامات جديدة ،
أن تخلق فى داخلى إنساناً جديداً -
يعرف كيف يعطى ويمنح ،
ويعرف كيف يبذل الذات لأجل من يحب !
إجعلنى حباً يقاوم الجفاء ،
واجعلنى سلاماً يقاوم العداء ،
إجعلنى صدقاً ، إجعلنى حقاً ،
واجعلنى عدلاً ووفاء .
يارب .

٢١ - مبادئ إنسانية ..

السعادة فى البيت تأتى بفضل القلوب الدافئة
وليس بفضل الرءوس العاقلة

بيوت يسكنها الحب

- صارت بيوتنا كالغابات - يسكنها اللصوص والوحوش والصيادين ! .
- أصبح البيت فى عقولنا : طوباً وطيناً ، ستائر حريرية ، وتلفازاً ملوناً ! .
- للبيوت جدران تختفى خلفها أسرار الناس ! .
- بيتنا حديقة للشوك ، فأينما توجهت إنغرست فيك شوكة ! .
- جمال البيت فى النظام ، وبركة البيت فى القناعة ، ومجد البيت فى الكرم ، وعمار البيت فى المحبة .
- بيتى هناك .. حيث تسكن أمى .

قتل الطبيب أمه العجوز ! .

هجم عليها .. طوق بقبضة يديه الجبارتين عنقها الرقيق الواهن ،

إعتصر رحيق الحياة من الغصن الذى أثمره ، وسقط الجسد الواهن الذابل مطروحاً عند قدمى السفاح الجاحد ، وتمرغ الوجه الكريم فى تراب نعليه .

أسرع القاتل فأحضر منديلاً - لفه حول عنق الأم ، أراد أن يخفى بشاعة الجروح والرضوض التى تركتها أصابعه الآثمة على العنق المعروق الذى ظل مدة سبعين عاماً يحمل وجه (ست الحبايب) ، ورمز الحب على إمتداد العصور .

تظاهر الشاب بالحزن ، ومضى ينعى لجيرانه أمه ، إتهم الأيام والأمراض والشيخوخة والدوار الذى أصاب العجوز فأودى بحياتها . كان همه الأول أن يخفى جريمته البشعة عن عيون الناس حتى لا يدينه القضاء ! .

ومهما كان الدافع وراء هذا الحادث الأليم ، فهو صورة محزنة لما صارت إليه حالة البيت الذى تحطم فيه الحب . سقطت جدرانه ، أنهار سقفه ، مالت أعمدته ، ومادت دعائمه ، تقوضت عتباته . صار البيت كالغابات : مسكن اللصوص والوحوش والصيادين ! فماذا جرى لبيوتنا ؟ .

البيت - ما هو ؟

فى هذه الأيام التى ضاقت فيها المدن الكبيرة بمن عليها من البشر ، أصبح تأسيس بيت جديد أمراً فى غاية الصعوبة ، والحصول على مسكن مناسب صار غاية بعيدة يتطلع اليها شباب العالم .

وفى زحمة البحث والجرى وراء هذه الغاية ، نسى الكثيرون القيمة الروحية للبيت ، وطغى المعنى المادى على مفاهيم وأمنيات الناس . أى أن البيت أصبح فى عقولنا طوباً وطيناً ، وأساساً وأثاثاً ، ثم ستائر حريرية وتلفاز ملون . وقد تختلف صورة البيت المادية من واحدٍ إلى آخر ، لكنه للجميع - مكان له باب يغلق بعد الدخول ! والحقيقة أن للبيت مدلولاً أعظم من ذلك كثيراً .

يقول ألن ريتشارد : " **ليست البيوت هى الأماكن التى نضع فيها ممتلكاتنا ، ونأوى إليها فى المساء ، بل هى المسرح الذى تجرى عليه أعظم حوادث الحياة : الولادة والموت ، الفرح والحزن . هى مهد الطفولة ، وإستراحة الشيخوخة . وإذا ساد البيت الحب والعقل والعزم ، فإنه يصير مدرسة لحضانة كل الفضائل** " .

وقد أحسن ألن ريتشارد إذ وضع الحب قبل العقل ، وجعل العقل أساس العزم . فهل تستقيم البيوت بغير الحب ؟ .

بيوت يسكنها الحب

يقولون إن جمال البيت فى النظام ، وبركة البيت فى القناعة ، ومجد البيت فى الكرم ، وعمار البيت فى المحبة . فهذه القيم جميعها تمثل أركان البيت السعيد . ومع ذلك فإن النظام والقناعة والكرم معاً ، لا تصنع بيتاً سعيداً ما لم تتوج المحبة هذا البيت وتحيطه بدفئها ، وتبعث فيه حرارتها . فحرارة الحب تصنع البيت السعيد .

تاه طفل صغير فى شوارع المدينة الواسعة المزدحمة ، وتجمع الناس حوله

يتحدثون إليه ، ويستشفون من كلماته القليلة ما قد يستدلون به على أسرته . وسأله أحدهم قائلاً : صف لنا بيتك ، حدثنا عن كل ما فيه ، عن كل ما حوله ، حاول أن تذكر أين يقع ؟ ولمعت عينا الطفل ، وعلت وجهه إبتسامه بريئة صافية وهو يقول : أنا أعرف مكان البيت ، بيتى هناك حيث تسكن أمى ! .

إن دفء محبة الأم طغت على كل شئ فى البيت أو خارجه ، إن محبتها أخفت ملامح الدنيا الواسعة ، وحضورها فى الذاكرة أدخل الطمأنينة إلى قلب طفل صغير تائه . ففى البيوت التى يسكنها الحب يستطيع الإبن (أو الإبنة) أن يقول : بيتى حيث تسكن أمى .

وقد إعتاد أحد العظماء أن يقول : لم يكن لى أخ ، أو هكذا يظن الناس أن لا أخ لى ، ولكن الحقيقة أن لى أخاً واحداً ، إنه أبى . فقد عرفته أخاً ورفيقاً مخلصاً قبل أن يكون أباً أو عائلاً أو مرشداً . وقد بدد حبه قسوة الوَحدة فى طفولتى وصبوتى وشبابى .

العلاقات البيتية بغير الحب

للبيوت جدران تختفى وراءها أسرار الناس - كما تختفى أجسادهم . والناس - عادة - لا يخرجون من وراء هذه الجدران بنفس الصورة أو الشكل الذى يعيشونه فى البيت ، بل يضيفون ويحذفون ، ويلونون ويشكلون صورهم ، لتقترب - حسب الطاقة والإمكانات - من الصورة المثالية فى أذهانهم التى يريدون أن يراهم الناس عليها . لكن أشياء كثيرة تكشف عن الحقائق الدفينة والمموهة ، وتظهر الصورة الحقيقية التى يسترها الناس . وعلى لسان طفل صغير تكشفت يوماً لزائر غريب صورة من تلك الصور الممنوعة فى بيت مضيفه . قال الطفل حين سئل عن إسمه : إسمى (الشيطان) ، هكذا تدعونى أمى ، أما أمى فإسمها (الغبية) ، هكذا يدعوها أبى ، وأبى إسمه (الشرير) ، هكذا تقول لنا أمى ! .. وقد يبدو هذا مضحكاً ، لكن البيوت التى لا يعيش فيها الحب ، تتحول إلى مساكن للشياطين ، ومنابع للشرور .

قال أحدهم : كان بيتنا حديقة للشوك ، فأينما توجهت إنغرست فيك شوكة ، والأشواك كثيرة منها : إيذاء الآخرين ، الحسد ، الطمع ، التنافس ، المزاح الثقيل ، عدم ضبط اللسان عن الكلمات الجارحة ، التوبيخات الصارمة ، الذم ، التهكم ، والنميمة . وقد شكلت هذه الدنايا إكليلاً من الشوك غرسته أسرتى فى جبين الحب .

صرخة إنسانية

يارينا

أغثنا ...

أنصفنا من عقولنا التى خدعتنا .

قالت لنا عقولنا :

إن السعادة فى نهاية الطريق ،

فخرجنا إليها ،

نجرى ... نلهث ... نتطلع ...

نسقط ثم نقوم ،

ونثابر فى إصرار الجندى الصامد .

سحقت أرجلنا المسرعة قلوب رفقائنا !

داست أقدامنا فوق حطام عواطفنا !

ثم تعبت أقدامنا ،

وإحتارت عقولنا ،

وخمدت عزيمتنا ،

وتقلصت أمانينا

وجمدت الدماء فى عروقنا -

حين لم نجد السعادة فى نهاية الطريق

يارينا

أنصفنا

فقد خدعتنا عقولنا

نحن نحتاج إليك

لتلهب قلوبنا بالحب

وتملأ بيوتنا بالسعادة .

يارب .

السعادة فى البيت تأتى بفضل القلوب الدافئة وليس بفضل الرءوس العاقلة

عندما يدخل الله بيوتنا

- الشبع العاطفى يظل مصدر السعادة للأحياء حتى فى غياب الخبز .
- رغم وفرة الغذاء - تظل الحياة جائعة متعطشة إلى الحب .
- الدفء الذى يصنعه الحب يشفى القلب رغم الحاجة والجوع .
- عندما يموت الأطفال جوعاً فى بيوت الفقراء .
- آه من الذين يأكلون ثلاث مرات فى اليوم ! .
- نحن نختنق داخل بيوت كمناجم الفحم ! .

كثيراً ما تكون العلاقات البيتية باردة كالثلج ، فالتعاملات خشنة ، والمشاعر جامدة ، والتعليقات لاذعة ، والإجابات ملتوية والخطوات حذرة ، والغايات ذاتية ، واللقاءات نفعية ، والأهداف أنانية ، والكلمات رسمية ، والعواطف ساكنة ..

فكيف تستقيم الحياة أو تستمر فى مثل هذه البيوت ؟ .

إنها بيوت لم تشرق فى سمائها شمس مطهرة ، ولم تهب عليها ريح دافئة .

إنها بيوت لا تجرى فى عروقها حرارة الحب . فنوافذ الدفء فيها معتمة - تغطيها ستائر الأنانية السوداء ، ومداخل الحب إليها مغلقة - توصدها أحجار الكراهية الخشنة .

فماذا تحتاج هذه البيوت حتى تصبح الأسرة سعيدة حقاً ؟ ..

نحتاج إلى الحب

ليس هناك خلاف فى أن الطعام مطلب أساسى فى حياة الأحياء ، وهو مطلب تقوم علـى تـوفيره الحكومـات ، ولا يتهـاون فـى الـسعى وراءه المخلوقـات الحيـة كافـة - عظيمها ودقيقها - من بشر وحيوان وطير .

ووفرة الغذاء تكفل إستمرار الحياة ، لكن هذه الحياة تظل جائعة متعطشة إلـى الحب الذى يجعلها تتماسك وتترابط وتتآلف .

وقد يتصارع الأفراد من أجل الخبز ، فيتحقق الشبع لواحدٍ والجوع لثانٍ والتخمة لثالث . وتستمر الحياة ، لكنها تستمر مفككة ينقصها الترابط الذى يصنعه الحب والتضحية .

والحياة مع الوفرة تشبع الجسد ، وتقتل العاطفة . على حين يظل الشبع العاطفى مصدر سعادة بين الأحباء حتى فى غياب الخبز .

الحب قبل الخبز أحياناً

روى أحدهم قصة عن زنجى فقير جاء ليستجدى شيئاً من أحد السادة البيض الذين يحتقرون الزنوج ويسيئون معاملتهم . ونظر الرجل الأبيض إلـى الزنجى مبتسماً فى خجل وهو يقول : يؤسفنى يا أخى أنه لا يوجد معى فى هذه اللحظة شئ مما تريد . وإنتفض الزنجى فى نشوة وسعادة وهو يردد كلمات التحية والتقدير والشكر للرجل الأبيض ، الذى أدهشه أن يلقى كل هذه التحية مع أنه لم يقدم للرجل شيئاً ، ولمح الزنجى علامات التعجب على وجه الرجل ، فإسترسل قائلاً : لقد قدمت لـى شيئاً أفضل من المال حين قلت لى : يا أخى ! .

إن الأخوة حاجة قلبية ، والدفء الذى يصنعه الحب يشفى القلب والروح ، ويضفى السعادة رغم الحاجة والجوع .

والخبز أيضاً يزيد

يواجه العالم مشاكل متنوعة - منها مشكلة الجوع . وقد لا يصدق الكثيرون أن فـى العالم أكثر من أربع مئة مليون جائع بين طفل وشاب وشيخ ! .

فهل ضاقت موارد العالم عن إشباع سكانه ؟ الحقيقة المؤلمة أن عالمنا غنى بما يكفل الشبع لجميع أفراد الخليقة ، غير أن الكثيرين يتضورون جوعاً ، وتأكلهم الفاقة والحاجة والعوز حتى الموت ، لأن أخوة لهم يخزنون قوت الفقراء ، ويحجبونه عنهم خلف أبواب الأنانية والإثرة .

وعندما يموت الأطفال جوعاً فى بيوت الفقراء ، فإن أصبع الإتهام يتجه إلى ملايين الأغنياء فى كل بقاع الأرض من ذوى القلوب الباردة الجامدة المتحجرة ، التى لم يصهرها الحب ، ولم تلينها العاطفة .

وقف الأديب الفرنسى رؤول فوليرو يصرخ فى وجه العالم قائلاً : " آه من الذين يأكلون ثلاث مرات فى اليوم ! إذا أحسست برغبة فى تناول الطعام ، فتفكر فى أربع مئة مليون شاب وفتاة لا يستطيعون الأكل فى هذا اليوم ، لأن نصف شبيبة العالم فى حالة جوع ! وإذا كنت تعانى من آلام البرد مثلاً ، فلا تقل : يا إلهى .. كم أنا مريض ، بل تفكر فى ثمانى مئة ميلون كائن بشرى لا يستطيعون أن يقصدوا طبيباً ! .

فالجوع والمرض والحاجة والدموع فى الأسرة البشرية الكبرى ، ليست وليدة قلة الموارد ، بل قلة الحب . فالحب يكفل الشبع للجميع .

قال أحد الشبان : عندما كنت طفلاً أعطتنى أمى يوماً ثمرة المانجو الوحيدة التى كانت لدينا ، وكنت أحب المانجو كثيراً ، لكننى كنت أحب أختى أكثر ، فأعطيتها الثمرة . وقبل أن تتناولها لمحت أبى - الذى كانت تحبه - قادماً ، فأسرعت بها إليه ، فأعطاها بدوره لأمى التى قسمتها بيننا جميعاً فى جو من الحب والحنان .

هذا يحدث فى داخل البيوت التى يسكنها الحب ، لكن العالم لا يشبع ، ولا يهنأ ، ولا يسعد ، لأنه يفتقر إلى الحب .

نحتاج أن يدخل الله بيوتنا

لا شك أننا نحتاج إلى الحب . فالحب فى حياتنا يعطى العلاقات حرارة ودفئاً . ولكن .. كيف يدخل الحب إلى حياتنا وبيوتنا ؟ وكيف تحل التضحية مكان الإثرة فى علاقاتنا ؟ كيف نسعى لنعطى (وهذا صعب) ، ولا نسعى لنأخذ (وهذا طبيعى وسهل) ؟ .

إن الإنسان العادى لا يستطيع من ذاته أن يعطى - ويبذل فى عطائه ، أو يضحى - ويتفانى فى تضحيته ، ما لم يغير الله قلبه وحياته وطبيعته .

لذلك نحتاج أن يدخل الله بيوتنا .

فدخول الله فى البيت

يذيب كل الثلوج ،

ويفتح كل النوافذ ،

ويحطم كل الأقفال التى توصد أبوابنا .

إنه يطهر الأركان الرطبه العفنة ..

يقتل الجراثيم السامة ،

يملأ أجواء البيت بالهواء النقى ،

ويشرق فى أرجائه بنور الأمل والحب والسعادة .

إشترى أحدهم إناءً نادراً من الخزف المنقوش رآه فى أحد معارض التحف ، فذهب به إلى بيته مزهوا بجماله وندرته ، ووضعه على رف فى إحدى الحجرات . ومنذ تلك اللحظة أصبح هذا الإناء الخزفى قاضياً يحكم على جميع قطع الأثاث فى البيت .

فقد كان الرجل - على ثرائه - مهملاً ، لا يقيم وزناً لمظهر البيت أو رونقه ، لكن الإناء الخزفى الجميل جعله ينظف الرف الذى وضعه عليه حتى يليق بجمال الإناء ، ثم إضطر الرجل إلى طلاء الحائط بلون مناسب ، ثم غير الرجل ستائر البيت لتتناسق ألونها ولون الحائط ، وكان لابد أن يغير السجاجيد والمفروشات ، وهكذا حتى تغير كل شئ فى البيت .

والله - حين يدخل إلى قلب الأسرة ، فإن كل شئ يتغير ليتناسب وحلول الله فى البيت ، فتختفى المذمة ، والضغينة ، والنقد الجارح ، والأنانية ، والشك . ويحل المديح والشكر والتقدير والثناء والعطاء الدائم والإيثار والثقة .

وهل تعنى السعادة فى البيت سوى الحب المتبادل ، والعاطفة الحارة ، والقلوب الحانية ، والمشاعر المرهفة ، والتعاملات الرقيقة .

وعندما يدخل الله إلى القلب ، فإنه لا يصلح ما فيه من أثاث ، بل يغيره من أساسه . إنه ينتزع القلب الحجرى القاسي ليضع فى مكانه قلباً روحياً حياً ، يشعر بالآخرين، ويحس بمشاعرهم ، يسعد فى أفراحهم ويتألم لمصائبهم .

إن دخول الله فى البيت يبعث الإيجابية المتفانية ، فيضع كل واحد يده فى يد الآخر لتيسير شئونه وإدخال الطمأنينة إلى قلبه .

ودخول الله إلى البيت يبعث فيه رائحة الأطياب ، فتنبعث منه السيرة الذكية ، وتتصاعد فى سمائه نسمات الربيع المزهر .

صرخة إنسانية

يارب

نحن نختنق داخل بيوت كمناجم الفحم !
وجوهنا يعلوها غبار أسود ،
الهواء الفاسد الثقيل يتسرب إلى صدورنا ،
إبتساماتنا غازات سامة !
تلوثت دماؤنا ..
أصبح داخلنا أكثر قتاماً من ظاهرنا الملوث !
نريد يا ربنا أن نتنفس هواءً نقياً ،

فاسرع إلينا .
نحن نحتاج إليك ،
لترفعنا من قاع الخطيئة والشر ،
وسنغسل نحن وجوهنا ،
وأنت تغسل داخلنا ،
وتطهر قلوبنا ،

ياربنا .

وإذا لم نطع آباءنا الذين نراهم ،
فكيف نطيع الله الذى لا نراه ولا نسمعه ؟

رضا الوالدين من رضا الرب

إعتادت البائعة العجوز أن تتجه فى الصباح الباكر إلى سوق المدينة فى عربة صغيرة تحمل الخضراوات ، وأقفاص الطيور ، وأقراص الزبد . وفى السوق الكبير ، تضع بضائعها فوق منصة مرتفعة ، وتتخذ لها مكاناً تحت مظلة زرقاء تنتظر فيه عملاءها .

وتقدمت الأيام بالسيدة المكافحة ، فأصبحت بحاجة إلى من يأخذ بيدها لتصعد إلى (المصطبة) ، ويمهد لها المكان ، ويحمل عنها الأقفاص ، ويثبت أركان المظلة ، ويهئ لها مكاناً مريحاً تمارس منه عملها المتواضع فى سعادة وسلام .

ولذلك فقد إعتاد الناس أن يروا رجلاً وجيهاً ، يقترب فى الصباح من عربة الخضراوات ، ويحمل السيدة العجوز ، ويقبلها ، ثم يأخذ بيدها إلى (المصطبة) ، ويثبت المظلة التى تقيها حرارة الشمس ، ثم ينصرف فى عربته ، ليعود فى آخر النهار ، ليجلس مع السيدة ، فيتحدث إليها ساعة من الزمن ، ينصرف بعدها كل إلى بيته .

يبقى أن تعرف أن هذا الرجل هو الرئيس الفرنسى الأسبق " إميل فرانسوا لوبيه " (١٨٣٨ - ١٩٢٩) ، والسيدة هى أمه العظيمة المكافحة ! فحين أصبح لوبيه رئيساً لجمهورية فرنسا سنه ١٨٩٩م ، كانت أمه لا تزال تبيع الخضروات فى سوق " بونتليمار " ، فلم يتحرّج الرجل العظيم من عمل الأم ، ولم يتهرب منها ، ولم يغلق عليها الأبواب فيبعدها عن الأنظار ، بل سلط عليها الأضواء ، وساعدها على ممارسة الحياة الإيجابية بالصورة التى ترضيها وتسعدها ، وهو عمل يفوق كثيراً مجرد تغطية إحتياجاتها المادية ، أو حتى إعالتها داخل جناح فخم فى قصر (الإليزيه) .

وفـى العـالم العربـى يحـرص النـاس عامـة علـى إرضـاء والـديهم ، ويتبركـون بدعائهم ، ويعتبرون عصيان الوالدين شراً دونه كل الشرور . ويستأهل صاحبه النبذ والإحتقار ، ويستحق أن تحيق به كل الشرور جزاء عصيانه وجحوده ! وهذه تقاليد راسخة تأصلت فى عالمنـا العربى ، فتوارثهـا الأبنـاء عن الآبـاء ، فأصبحت قانونـاً ملزماً ، وفريضة مطاعة .

بل إن ضمير المجتمع العربـى يرى أن إرضـاء الوالـدين لـه طـابع دينـى ، ولـيس مجرد عمل أخلاقـى . ولـذلك فـإن رضـا الوالـدين يـرتبط أيضـاً برضـا الـرب ، فـالله سبحانه لا يرضى عن الإبن العاق ، وهو يبارك الأبناء الذين يبرون والديهم ، ويُسبغ عليهم الخير الذى يدعو به الآبـاء لهم . فدعاء الوالـدين (فـى سـاعة رضـاهم) يصـعد إلى السماء ، ويفتح طاقات الرزق .

وحب الآبـاء وطـاعتهم قيمـة روحيـة عظيمـة ، ومبـدأ إنسـانى أصـيل . والخضـوع لآبائنا حتى فيما لا نريد خير من تحقيق إرادتنا مع العصيان المقيت .

نحن حديقة آبائنا

يروى الشاعر الإنجليزى الرومانسى " صـموئيل كولريدج " (١٧٧٢ - ١٨٣٤) قصة عن واقعة حدثت فـى حياتـه ، حين إستمع إلـى خطيـب زائـر كـان يدعو النـاس بحماس شديد إلى الإبتعاد عن توجيه أبنائهم أو التأثير عليهم ، وقال المتحدث إن علـى الآبـاء أن يتركـوا أولادهـم لأهـوائهم حتـى ينضـجوا ، ويختـاروا أسـلوب الحيـاة التـى تروقهم دون تدخل من جـانبهم . وأكد المتحدث أن تـدخل الآبـاء وتـوجيههم جنايـة فـى حق الأبنـاء ، فليس من العدل أن نقودهم إلى ما نريد .

وإسـتمع كولريـدج إلـى الخطيـب المـتحمس ، ولـم يشـأ أن يعقـب علـى كلامـه فـى الحال ، لكنه بعد وقت قصير دعاه لمشاهدة حديقته الرائعة . وطـاف الشاعر بالضيف بين أركان الحديقة الغنية بالأزهـار والألـوان ، حتـى إنشرح صـدره ، وطابت نفسه ، وتمنـى لـو أمـضـى فيهـا بقيـة عمـره ، لكـن كولريـدج إستحثه علـى السير إلـى الجانـب الآخر من الحديقة ليرى جميع جوانبها . هناك إنقبض صدر الضيف حين لم ير سوى أرض قاحلـة مليئـة بالأشـواك والأعـشاب والـشجيرات البريـة الـوعرة ! فنظـر إلـى

مضيفه فى دهشة شديد ، وتساءل مستنكراً أن تكون هذه البقعة ضمن حديقة الشاعر ! .

وسارع كولريدج بالإجابة قائلاً : الحقيقة إن هذه الأرض لم تنضج بعد ، وفى تقديرى أنه من التجنى أن أفرض عليها الأزهار والورود ، سأتركها حتى تكتمل أيامها لتقرر مصيرها دون تدخل من جانبى . فليس من العدل أن أفرض على التربة ما أريد ! وأدرك الرجل ما أراده الشاعر .

ولو أننا أنصفنا لأدركنا أن آباءنا لا يريدون أن يزرعوا الورود فى طريقنا فحسب ، بل ينظرون إلينا كحديقتهم الخاصة التى يحرصون على جعلها جنة وارفة الظلال ، باهرة الجمال . وهم - لذلك - ينقون تربتنا ، وينزعون الأشواك البرية التى فى طبائعنا الخشنة ، وينثرون بذور الجمال فى أعماقنا ، ويتعهدوننا بالتشذيب والتهذيب ، والغذاء والدواء ، حتى تورق أشجارنا ، وتزهو أغصاننا ، وتنضج ثمارنا .

وما أهون ضربات الفأس - فى يد آبائنا - إذا كانت لتنتزع الأشواك من تربتنا ، وما أيسر جروح المحاريث تقلب سطح أرضنا البور فتفتت أحجارها وتعيد إخصابها.

آباؤنا بصيرتنا

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الزمن هو مدرسة الحياة التى تتخرج فيها الأجيال المتعاقبة . وهى مدرسة يتعلم فيها الجميع ، الناجحون والفاشلون ، الموهوبون والخائبون .

وهذه المدرسة الأم لا تغلق أبوابها ليلاً أو نهاراً ، لا تعرف أجازة صيف أو عيد ، ولا تسمح لطلابها بالتغيب فى مرض أو طارئ أو مناسبة خاصة . فى هذه المدرسة تعلم آباؤنا آلاف الدروس قبل أن نرى نحن الأبناء نور الحياة ، فبينما كنا نحن مغلقى العيون فى جوف الغيب ، كان آباؤنا قد بلغوا مرحلة متقدمة فى صفوف مدرسة الحياة ، وحصلوا على شهادات خبرة متنوعة ، ناهيك عما حققوه من تحصيل فى المدارس النظامية .

وقد يتقدم الأبناء على والديهم فى العلوم المدرسية ، لكن خبرة الحياة لا يصنعها

إلا الزمن ولا تصقلها إلا الأيام .

وحين تنقصنا خبرة الحياة ، فتختلط أمام عيوننا الأشياء ، فإن آباءنا يشكلون بصيرتنا التى توجهنا إلى الصواب وتضمن لنا عبوراً مأموناً نحو الهدف . وكل ما نحتاج إليه هو الطاعة والإحترام ، والإلتزام الأمين بتوجيهات الآباء .

إستطاع طيار عظيم يدعى " جنرال دو ورز " أن يجرى تجربة مذهلة أدهشت الخبراء فى مجال الطيران المدنى . فمن المعروف أن الطيران مهمة شاقة ودقيقة ، وتحتاج إلى كفاية بدنية عالية ، لذلك فإن معاهد الطيران تجرى إختبارات قاسية لإختبار الرجال الذين يمارسون مهمة قيادة الطائرات . وفى مقدمة هذه الصلاحيات سلامة العينين ، وقوة الإبصار .

ولكن " جنرال دو ورز " أجرى تجربته المذهلة فى أوهيو حين قام بتدريب شاب أعمى فى الخامسة عشرة من عمره يدعى " ريتشارد فوندرهار " على قيادة طائرة ذات محرك واحد ، والإقلاع بها ، ثم العودة والهبوط سالماً الى أرض المطار ! .

وبينما أرجع الخبراء نجاح التجربة إلى فطنة وذكاء وقدرة " الكابتن دو ورز " ، فإنه أرجع ذلك إلى روح الطاعة التى تميز بها الشاب الكفيف ، فلولا هذه الطاعة والإلتزام الدقيق بتنفيذ النصائح ، لما نجحت مثل هذه التجربة مهما كانت كفاية المدرب .

فالطاعة للآباء أو المعلمين أو المرشدين أو المدرسين أو الرؤساء ، تعصم من الزلل . وهى البصيرة لنا حين تكل بصائرنا ، أو لا تسعفنا خبراتنا القليلة فى أمر من الأمور .

آباؤنا .. صوت السماء لنا

فى حياة " تيموثى آدمز " قصة طريفة ، فعندما كان فى السادسة من عمره ، خرج يتسكع فى الطرقات ، فلما تأخر عن موعد عودته إلى البيت ، أصاب القلق أمه ، فإتصلت بالشرطة لمساعدتها فى البحث عن طفلها الصغير .

وإهتم قائد فرقة البحث ، وأعد طائرته (الهليوكوبتر) ، وطاف بأرجاء المدينة ، حتى بلغ شاطئ النهر ، فرأى الطفل الصغير يلهو بلا إكتراث ، فناداه رجل الشرطة من خلال مكبر الصوت بالطائرة قائلاً : يا تيموثى آدمز .. عد إلى البيت ، لقد

تأخرت كثيراً ! .

ولـم يكن بمقدور الصغير أن يدرك أن الصوت قادم إليه من الطائرة ، لذلك أيقن أن النداء لا محالة قادم اليه من مصدر آخر ، لذلك أسرع إلى أمه ، وإقتحم البيت ، وبعيون ملؤها الحيرة والخوف نظر إلى أمه وقال : أمى .. لقد تحدثت السماء إلىّ ... السماء نفسها كلمتنى .. دعتنى بإسمى وقالت لى عد إلى البيت ! .

وإحتضنت الأم صغيرها ، ولم يكن بإستطاعتها أن تفهمه شيئاً أكثر مما فهم .

وبعدها أصبح آدمز رجلاً ، فهم الحقيقة ، لكن تحليله للأمر لم يختلف كثيراً ، فقد ظل يقول : مع أنى أعلم الآن أن الصوت كان صوت رجل الشرطة ، لكنه فى تقديرى كان صوت السماء التى إستخدمت رجل الشرطة لهدايتى .

ونحن كثيراً ما نجهل هذه الحقيقة التى أدركها آدمز ، فلا نرى فى آبائنا غير صوت رجل الشرطة يدعونا للعودة ، ويضع حداً لحريتنا . وننسى أنهم صوت السماء لنا ، فقد عهد الله لهم برعايتنا ، وأستأمنهم على تنشئتنا ، وكلفهم بالقيام بتوجيهنا وهدايتنا . فإطاعتنا لآبائنا إطاعة للسماء ، وعصياننا لآبائنا عصيان للسماء .

وإذا لم نطع أباءنا الذين نراهم ، فكيف نطيع الله الذى لا نراه ولا نسمعه ؟ .

وإذا عصينا أباءنا الذين أحسنوا إلينا ، وأطعمونا من كدّهم وجهدهم ، وأفنوا حياتهم فى خدمتنا ، فنحن معرضون أن نعصى إلهنا الذى وهبنا الحياة والخير .

فطاعة الآباء مدرسة نتعلم فيها بالممارسة آداب الخضوع والتسليم والحب والتقدير لله . فإذا كان الأب رب الأسرة ، فالله سبحانه وتعال هو رب الأرباب ، ورب السماء والأرض . فرضا الوالدين يرضيه ، وعصياننا لهم عصيان عليه .

صرخة إنسانية

يارب

لقد كذبت عليك ! وانت العليم .

زعمت أننى أطيعك وأسمعك ،

مع أننى لم اتعلم بعد مبادئ الطاعة

الأولية .
فضحتنى أمام نفسى ، ثورتى الكامنة
على أبى ،
ورفضى الداخلى لإسلوبه فى الحياة ،
وإستعلائى المستتر على حكمته وعلمه .
يا رب أن أطيع فى خضوع ،
وأن أخضع فى رضا ،
وأن أرضى فى حب ،
فرضا الوالدين من رضا الرب .

آمين .

٢٤ - مبادئ إنسانية ..

تربية الأبناء مثل تنسيق الزهور
تحتاج إلى ذوق وحب وإحساس مرهف .

أعرف أن زهورى تذبل !

سمع الجيران إستغاثة الطفلة المسكينة فى بيت جارهم القاسى ، الذى دأب على تعذيب إبنته . كان أنينها لا ينقطع . وآلامها لا تهدأ ، لكن والديها كانا يوسعانها ضرباً ، ويرغمانها على القيام بأعمال مرهقة فوق تحمل جسدها الصغير الواهن .

وذهب الجيران إلى قسم الشرطة ، وإلى مركز الإسعاف ، وإلى جمعيات الصحة ، ورفض الجميع التدخل : فلم يكن فى قوانين البلاد ما يسمح بالتدخل بين الآباء وأبنائهم .

وأخيراً لجأت إحدى السيدات إلى جمعية الرفق بالحيوان ، وكان رئيسها شفوقاً ، محباً ، حنون القلب ، لا يتقيد بحرفية القانون ، فقال : " إذا كانت هذه الفتاة لم تجد رفقاً من الناس ، فلنحسبها من مملكة الحيوانات المظلومة ، ونسعى إلى إسعافها " . وذهب الرجل مع بعض أعوانه إلى بيت الفتاة ، فوجدوها على آخر رمق من الحياة ، لفرط ما تعرضت له من تعذيب ، وما أصابها من نزف شديد ، فنقلوها إلى المصحة ، لكنهم ما كادوا يصلون بها إلى هناك ، حتى فاضت روحها البريئة ، فوضعوها على الفراش ، والتفوا حولها يبكون من شدة التأثر . ولم تذهب دموعهم سدى ، فقد أنشئت على الأثر جمعية ، سميت " **جمعية رعاية الأطفال وحمايتهم من قسوة الوالدين الجهال** " .

هل رعاية الأبناء واجب ومسئولية ؟ ..

هل رعاية الأبناء علم ونظريات ؟ ..

هل رعاية الأبناء فن ؟ ..

هل رعاية الأبناء متعة ؟ ..

إن رعاية الأبناء هى كل هذه الأشياء ، وعلينا أن نمارسها بحب ، وذوق وحساسية فائقة .

أبناؤنا زهور حديقتنا

إذا كانت الأسرة كالحديقة ، فإن الأبناء هم زهورها النضرة ، وزينتها وصفحتها الملونة .

ولكن .. على قدر بهاء الزهور وسحرها وجمالها ، كذلك تكون حساسيتها ورقتها ، وحاجتها البالغة للرعاية والعناية .

وتربية الأبناء مثل

تنسيق الزهور ، تحتاج إلى ذوق ، وحب ، وإحساس مرهف .

- **نبللها بندى الحب :**

وصف أحدهم أحد خبراء تنسيق الزهور بقوله : إن باقة الورد التى يصنعها تتكلم بين يديه ، فإذا صنع باقة ورد لعروس ، فإنها تنطق بالبهجة ، وإذا قدم باقة ورد لمريض فإنها تنطق بأمنيات الشفاء .

ولقد إستطاع كثير من الآباء والأمهات والمربون أن يجعلوا الورود تنضر وتتفتح بين أيديهم ، إذ يبللونها بندى الحب ، ويتعهدونها بالرعاية الحانية . فهم لا ينظرون إلى أطفالهم بإعتبارهم مسئولية وعبء ثقيل ، عليهم أن يحملوه ، بل ينظرون إليهم بإعتبارهم نعمة وهبة يستمتعون بها ، ويجدون فيهم بهجة للعين والقلب ، ومتعة للنفس ، وهدفاً غالياً من أهداف الحياة .

سئلت إحدى الأديبات عن أفضل ما كتبت ، فقالت : " أفضلها كتابان ، هما ولدى وإبنتى ! " . لقد أحست أنهما رسالتان مقروءتان ، أكثر من أى عمل أدبى آخر كتبته بالقلم .

- **إن تربية الأبناء حب .**

• **ونضعها فى إناء نظيف :**

الزهور الجميلة ، تستحق أن توضع فى مزهريات جميلة . لذلك فنحن نخطئ فى حق أبنائنا إذا لم نضعهم فى إطار مناسب ، ونحيطهم بظلال خضراء ، تحميهم من ضربات الشمس وتجميل وجه الحياة لهم وبهم .

فى كوخ صغير لقطع الأخشاب ، قالت الأم لولدها وهى تخرج آخر أنفاس الحياة :

" يا إبنى .. أحب كل إنسان ، لا تعطل أى إنسان ، لا تكذب أبداً ، ولا تشرب مسكراً أبداً ، ولا تسرق أبداً . وفى يوم ما سيشكر العالم الله من أجل حياتك " .

وكانت هذه الأم الطيبة تريد لولدها أن يكون حطاباً طيباً يخدم الناس ، لكنه أصبح رئيساً لبلاده ، فقد كان هذا الإبن هو " إبراهام لنكولن " الذى صار فيما بعد رئيس الولايات المتحدة العظيم الذى قال : " إن كل ما أنا عليه ، وكل ما أرجوه ، أنا مدين به لذلك الملك الطاهر ، الذى هو أمى " .

لقد كانت أما محبة ، وضعت زهورها فى إطار نظيف ، فأضفت عليها جمالاً باهراً .

- إن تربية الأبناء ذوق .

• **ونمهد الأرض تحتها :**

إن العناية بأولادنا - كالعناية بزهور حديقتنا - تستلزم تهذيب الحديقة ، ونزع الأعشاب ، ونحن مسئولون عن إعداد الأرض أمام أولادنا ، وتمهيد الطريق لخطواتهم الأولى .

فى أحد البلاد الأوربية ، خرج الأب إلى عمله بعد ليلة غطت فيها الثلوج طرقات المدينة ، فأخذ يخطو على الثلج بصعوبة بالغة ، بعد أن يمهد لقدمه مكاناً فى كل خطوة . وفوجئ الرجل بصوت إبنه الصغير خلفه ، وأدهشه كيف إستطاع الصغير أن يقطع هذه المسافة ، بقدميه الصغيرتين ، لكن الإبن أوضح الغموض بقوله : " لقد سرت بسهولة ، لأننى كنت أضع قدمى مكان قدمك تماماً ، فإستطعت أن أتبعك " .

إننا نمهد الطريق أمام أبنائنا ، فينبغى أن نحسن إختيار خطانا ، فمسئوليتنا فى ذلك خطيرة ، فإننا إذا أحسنا إعداد الأرض أمام أبنائنا ، حفظناهم وروداً ناضرة

على أغصانها ، وإذا لم نحسن تمهيد الطريق ، فإننا نقتل أولادنا على صخور الأرض المحجرة .

- إن تربية الأبناء إحساس مرهف .

يذبلون بين أيدينا

ضبط ولد فى طوكيو عمره ١٥ سنة يحاول أن يحرق بيتاً ، وأعترف أنه أشعل النار فى ١٧ مدرسة فى أقل من شهر ! وذلك لأن إخوته فى اللعب إضطهدوه ، ولأن أمه أبدت ما يدل على أنها لا تثق به ! .

وما أكثر ما ندعو الصغار كذبة ، ولصوصاً ، وغشاشين . مع أنهم لم يقصدوا أن يكونوا هكذا ، فنغرس فيهم ما يدفعهم إلى هذه الرزائل ، فيذبلون ويسقطون بين أيدينا ! .

فإذا كانت زهورى ذابلة

كم يتألم الآباء والمعلمون حين ينحرف الأبناء ويسقطون ! .

إن كثير من الآباء يتمنون أن يستردوا أبناءهم الضائعين ، ولو خسروا كل ما لهم فى الحياة ، فضياع الأبناء وسقوطهم فى شرور الحياة ، يكسر قلب الوالدين ، ويجعل المستقبل أمامهم ظلاماً .

إنه شهادة بالفشل والرسوب فى إختبار العمر . ويا خيبة الآباء حين يضيع الأبناء ، ويا مرارة الابن الذى يهمله أبوه ! .

صرخة إنسانية

يارب

أعرف أن زهورى تذبل ،
وأوراقى تتساقط ،
وغصونى تجف .

يبس رحيق الحياة فى العود
الأخضر ،
فعبادتى الشكلية الجافة ،
لا تروى نفسى العطشة .
صارت نفسى على مشارف الهلاك ،
ونفوس أحبائى الصغار ،
تهلك بين يدى .
فأنا لم أعرفك كروح الحياة ،
فكيف أهب أبنائى ما ليس لى ؟

فأرشدنى بروحك القدوس ،
إلى طريق الحياة الأبدية .
أبعث فىّ فكراً جديداً ،
قلباً حياً ،
ووجهاً نضراً ،
وشوقاً خالصاً لمعرفتك ،
حتى أرتوى من أنهار رحمتك ،
إلى أن أعود إليك ،

يارب

تربية الأبناء مثل تنسيق الزهور
تحتاج إلى ذوق وحب وإحساس مرهف

نحن نقتل أبناءنا !

فى إحدى حدائق الحيوان ، حيث تعيش الوحوش فى حفر عميقة واسعة ، إقتربت إحدى السيدات من السور العلوى المحيط بالحفرة ، وأخذت تتأمل فى حياة الدببة الأسيرة ، التى كانت تدور فى قاع الحفرة دورات مستمرة وكأنها تبحث عن مخرج من الأسر الكريه .

وإقترب دب كبير إلى موقع قريب ، فى أسفل السور الذى كانت السيدة واقفة عند حافته العليا : فإنحنت فوق الحاجز لترى الوحش ، ولم تدر إلا وقد سقط طفلها الرضيع من فوق صدرها إلى قاع الجب ! .

وأضاعت الأم إبنها البرئ بإنشغالها عنه ، فعاشت بحسرة فى القلب لا تشفى ولا تهون .

وهذه المأساة تتكرر فى الحياة كثيراً ، حين يشترك الآباء والأمهات فى قتل فلذات أكبادهم دون أن يدروا ، وحين يضيع المعلمون والمربون أبنائهم ، فيسحقون البراعم الصغيرة المتفتحة ، ويكسرون الأغصان الخضراء قبل أن تمتد وتثمر ! .

- **نحن نقتل أبناءنا ! :**

مع أن غاية الآباء والمعلمين هى معاونة الأبناء على شق طريقهم فى الحياة ، والسمو بهم إلى أرفع منزلة ، إلا أننا كثيراً ما نتسبب - دون أن ندرى - فى تعسهم ، وفشلهم ، وضياعهم !! .

نقتلهم بسكوتنا عن الشر

حين سئلت الفتاة الصغيرة التى قتلت خمسة أطفال بدفعهم إلى مياه مصرف

القرية ، قالت : " كانت هوايتى فى طفولتى أن أخنق القطط الصغيرة ! وكانت أمى تبسم لى حين أفعل ذلك ! " . إبتسمت الأم فدفعت بإبنتها إلى الهلاك .

ونحن نقتل أولادنا - كما نقتل أنفسنا - حين نبتسم للشر ، ونرتضى لأولادنا الحياة الجافة ، البعيدة عن الله .

إن باقات الورود التى وهبها الله لنا ، قد تذبل وتموت بين أيدينا دون أن ندرى بسبب تهاوننا ، أو غفلتنا ، أو سكوتنا عن مقاومة الشرور المحيطة بفلذات أكبادنا.

وبالإغراق فى الماديات

يحرص الآباء على توفير متطلبات الحياة المادية لأبنائهم - قدر طاقتهم ، فلا يدخرون فى ذلك جهداً ، وحسناً يفعلون . لكن هذا الحرص قد يشوبه تطبيق خاطئ ، إذ يصور للأبناء ، أن الحياة صراع دائم لتحقيق المكاسب المادية . وإن الحصول على ما نريد هو الغاية من الوجود ، والتى من أجلها تهون كل المبادئ ، وتحل كل الوسائل .

وبذلك ندفع الأبناء إلى دوامات الصراع ، والمشاحنات ، والمنافسات المادية القاتلة ، وتحقيق المكاسب المادية بكل طريق ، ولو كان بالإختلاس أو السرقة أو هضم حقوق الآخرين .

بل وقد يدفع الآباء أولادهم إلى وحل الخطيئة ، تحقيقاً للرغبات . فيستطيبون العادات المهلكة كالتدخين وشرب الخمر ، وتعاطى المخدرات ، ولعب الميسر ، والمراهنات إلى غير ذلك .

بعدم توجيههم لمصدر الحياة

قد تكون لنا بعض - أو كل - المعرفة بالعلوم التربوية ، والدراسات النفسية ، التى تساعدنا فى تنشئة الأبناء ، وتهيئة سبل الحياة السوية أمامهم . لكننا - نحن وأولادنا - نحتاج إلى أكثر من ذلك ، نحتاج إلى الحياة نفسها ! .

إن الورود اليانعة - مهما كان جمالها ونضرتها اليوم - فإنها سرعان ما تذبل إذا هى قطعت من غصونها - مصدر الماء والغذاء ورحيق الحياة .

إن ما يميز الورود الطبيعية عن الزهور الصناعية - المصنوعة من اللدائن أو الأقمشة - هى الحياة التى فيها . ونحن نحتاج إلى الحياة ، وليس إلى المظهر والرونق والصنعة الدقيقة . نحتاج إن نرتبط ، ونربط أولادنا ، برب الحياة وخالقها ، كإرتباط الزهور بالأغصان ، وإرتباط الأغصان بجزع الشجرة ، فالحياة هى معرفة الله ، رب الحياة والوجود .

فإذا لم تكن حياتنا مرتبطة بالله ، فإن غصوننا تجف ، وتؤول إلى حريق أبدى ! وهذا هو الموت الحقيقى الذى ندفع إليه أولادنا إذا لم نكن لله .

قال روبرت موفات : " عندما خرجت من البيت فى رحلتى الأولى ، ودعتنى أمى على باب الدار ، جذبت رأسى نحوها ، وقبلتنى ، وقالت : يا روبرت ، إنك ذاهب إلى عالم شرير ، فإبدأ كل يوم مع الله ، وإختم كل يوم مع الله . فكانت هذه القبلة سبباً فى تغيير قلبى ، وكانت الكلمات سر نجاح حياتى " .

لقد وجهت الأم إبنها إلى الله ، فضمنت سلامته . ربطت زهرتها الغالية بأصل الشجرة ، بروح الحياة .

لأننا نغذيهم برحيق سام

هناك بعض الأشجار الضارة ، التى تنتج ثمرات سامة ! . وتبدو هذه الأشجار حية ظليلة مورقة كغيرها من الأشجار أو أفضل . لكنها فى الواقع ليست سوى كأس من السم .

وقد نكون نحن أغصان ضارة ندفع إلى أولادنا برحيق سام ، فيذبلون فوق أيدينا .

لذلك فنحن نحتاج أولا إلى تغيير داخلنا ، نحتاج أن ننخلع من بؤرة الموت ، ثم تغرس جذورنا فى أرض مقدسة . وهذا عمل لا نستطيع أن نقوم به من أنفسنا ، لكن الذى يقوم به هو الله - البستانى الأعظم - الذى يهتم بكل الزهور ، ويهتم بكل الأغصان ، ويستطيع أن يحيى الجذور العفنة ، ويزهر الأغصان اليابسة .

فإذا كنا نخشى على أولادنا من الضياع فى عالم شرير ، وإذا كنا نحرص على تأهيلهم لحياة بعيدة عن شقاء الشر ومرارته ، فلنبدأ بتنظيف الأرض - البيئة التى ينمون فيها - لنبدأ بتطهير ذواتنا ، بتقديمها إلى الله ، الذى يستطيع أن يبث الحياة

ـى النفوس الميتة ، فروحه القدوس يرشد إلى الطريق ، وينبه القلب ، ويغير لحياة بجملتها ، حتى تصير البرية القاحلة بستاناً عطراً .

صرخة إنسانية

يارب

إننى أرتعب خوفاً ،

كلما تصورت نفسى قاتلاً !

ازهق أرواح أحبائى الصغار .

أغرس أظافرى الدامية ،

فى أعناق فلذات كبدى .

أقتلهم كل يوم بإهمالى ،

وأفقدهم كل يوم ،

بقطع جذورهم من أرض قداستك .

أصب سموم ماديتى ،

فى عقولهم المتفتحة .

وأغرس فى قلوبهم البريئة ،

أنماط عبادتى الجافة .

فأحجب عن أحبائى الأبرياء ماء

الحياة

فأقتلهم عطشاً ،

فى صحراء الجفاف الروحى

الذى أحيا فيه !

فأنقذنى من ذاتى !

وإنقذهم من يدى !

وأعطهم ، وأعطنى قطرات الحياة ،

بتبصيرنا بطريق الخلاص والنجاة

يارب .

٢٦ - مبادئ إنسانية ..

إجعل الله فى فكرك .. فى عمق ذاكرتك ..
فى قلبك .. فى شبابك .. فى حاضرك .. فى مستقبلك .

أذكر خالقك فى أيام شبابك

" سليمان الحكيم "

- كيف لا يكون الله فى ذاكرتنا ، وجميع مخلوقاته تنطق بعظمته ، وقدرته ، وحبه العميق لنا فى كل لحظات العمر ؟ ! .
- إننا لا نجعل الله فى ذاكرتنا لأننا لم نعرفه بعد كشخص ، له حضور ذاتى ووجود حقيقى فى عمق كياننا .
- كثيرون يعرفون الله فى أعماله القديمة ، وخلاقته الأزلية ، لكنهم لا يعرفونه كالإله الحى الذى يمنح الحياة والخلود .
- إننا ننسى الله ، لأن ذاكرتنا المشغولة بالماديات ، لا تدرك ولا تسجل تعاملاته اليومية معنا .
- ليس فى ذاكرتنا سجلات دقيقة عن محبة الله ، ومعجزاته اليومية معنا ، وبركاته لنا على مدى لحظات العمر .
- حين نتعرض للمشكلات ، لا نجد فى ذاكرتنا رصيداً من الأفكار المطمئنة عن دور الله فى حياتنا ! .
- إذا لم يكن الله فى حاضرنا ، فلا ضمان لمستقبلنا ، ولا رجاء لنا فى حياتنا الأبدية وراء الأفق ! .

كان " توماس إديسون " عالما كبيراً ، ومخترعاً عظيماً ، ففى فترة حياته التى بلغت ٨٤ عاماً (ما بين عامى ١٨٤٧ و ١٩٣١ م) إستطاع أن يخترع أكثر من

۱۰۰۰ إختـراع جديـد ، لازالـت البـشرية كلهـا تتمتـع بـالكثير منهـا ، وفـى مقـدمتها المصباح الكهربائى ! .

فالحقيقة أنه كان عبقرياً لامعاً ، منحـه الله عقـلاً كبيـراً ، ليفيد بفكره وعبقريتـه كل المجتمع الإنسانى . لكن إديسون ، وبالرغم من سعة عقلـه ، ونبوغـه العلمـى ، كـان كثيـر النـسيان ـ شـأنه فـى ذلـك شـأن كثيـر مـن العلمـاء . وتـروى فـى ذلـك كثيـر مـن الطرائف ، نذكر منها النادرة التالية :

كان على إديسون أن يذهب إلـى إحدى المصالح الحكوميـة ليناقش بعض الشئون المتعلقـة بالضرائب ، وأعد أديسون كشوفاً مفصلة عن مواقفه الماليـة ، وإتجـه إلـى حيث كان المكتب الضريبى ، آخذاً مكانه فى صفوف المنتظرين . فلمـا طـال الإنتظـار أخـرج ورقـة وقلمـاً مـن جيبـه وراح يكتـب بعـض المعـادلات الرياضـية ، ويـضع الفروض ، ويحسب النتـائج ، وإستغرق فـى ذلك تمامـاً ، إلـى أن وجد نفسه فجأة فـى مواجهة الموظف المسئول .

وسأله الموظف عما يريد ، فلم يتذكر ! وقال له الموظـف : ما إسمك إذن ، فإرتبك وتلعثم ، وتصبب وجهه عرقاً ، فقد كان منصرفاً إلى إختراع جديد ، عـاش فيـه تمامـاً فنسى كل شئ سواه حتى إسمه ! .

وتدارك واحد من الحاضرين الأمر ، فمـال عليـه ، وهمس فـى أذنـه قـائلاً : أسمك تومـاس إديسون ! .

إننا حين نتحدث عن " الذاكرة " ، فإننا يجب أن نسلم بـأن هنـاك تفاوت كبيـر بين إنسان وآخـر ، فللبعض ذاكـرة مـشحونة بالمعـارف الكثيـرة ، وكأنهـا حاسب آلـى ، وللبعض " ذاكرة " متواضعة تنسى الأشياء الأولية ! لكن أغلبنا بين هذا وذاك .

وبالرغم من ذلك ـ فإننا كثيراً ما نذكر أشياء عـابرة وننسى أموراً هامـة ، مـا كـان يجب أن ننساها ، إذ هى ظاهرة واضحة أمام عيوننا دائماً ، ولا تحتاج إلى من يذكرنا بها .

من هذه الأشياء قول سليمان الحكيم **" أذكر خالقك فى أيام شبابك "** .

هل ينسى الإنسان خالقه ؟ ..

وهل يحتاج الإنسان إلى من يذكره بهذا الأمر ؟

الواقع أن الحكيم سليمان لا يقصد مجرد التذكر ، بل لعله يقول : إجعل الله فى فكرك ، فى عقلك ، فى عمق ذاكرتك ، إجعل الله فى قلبك - مركز عواطفك وإيمانك ، وإجعل الله فى شبابك - خير أيام عمرك ومركز حياتك .

الله فى ذاكرتك

أذكر مرة أننى كنت أبحث عن نظارتى ، قبل أن أترك البيت فى الصباح ، إذ لم أجدها حيث إعتقدت أن أتركها خلال الليل . وألقيت نظرة على كل مكان يمكن أن أكون تركت فيه نظارتى سهواً ، فلم أجدها . ولاحظت إبنتى إرتباكى ، وسألتنى عما أبحث ، فلما عرفت قالت فى دهشة شديدة : النظارة على عينيك ! .

قد يبدو هذا غريباً ، لكنه أحياناً يحدث ، فقد تبحث مرة عن مفتاح البيت فى كل مكان ، وهو فى يدك ! أو تسأل عن شئ وهو أمامك ! ولكننا نعتبر هذه الأشياء نادرة فى حياتنا ، ونرجعها إلى حالة غير طبيعية من الإجهاد ، والتعب ، وفقدان التركيز ، أو الإنشغال الزائد .

لكن الشئ الغريب حقاً أن نعمل ذلك فى كل يوم حين ننسى الله ، وهو حاضر أمام عيوننا ، متواجد بصورة واضحة كالشمس أمامنا ! أليس الله ظاهراً فى هذه الشمس ، إذ هو خالق السماء والأرض ، ومحرك النجوم والكواكب ؟ .

كيف لا يكون الله فى ذاكرتنا ، وجميع مخلوقاته تنطق بعظمته ووجوده فى كل لحظة من الحياة ؟ ! .

إن السبب فى ذلك أننا لم نضع فى عقولنا معرفة الله كشخص له وجود وحضور ذاتى فى كل فرد منا .

إن عقولنا تعرفه من خلال أعماله القديمة ، خلائقه الأزلية ، لكننا لا نراه كالاله الذى يبعث الحياة فى خلايا ذاكرتنا ، ويبعث الحياة فى نبضات قلوبنا ، ويجرى دماء الحياة فى عروقنا .

إننا ننسى الله لأن ذاكرتنا لم تسجل تعاملاته الشخصية اليومية معنا ، وليس لنا أفكار متعلقة به وتأملاتنا خاصة فيه ! .

ليس فى ذاكرتنا سجلات عن محبة الله ، أو معجزات الله التى يصنعها لنا ، ولا

عن بركات الله اليومية التى أغدقها علينا على مدى السنين . ولم نحتفظ فى ذاكرتنا بوعود الله التى وعدنا بها بإعتباره خالقنا المسئول عنا . لذلك فإننا حين نتعرض لأى مشكلة من متاعب الحياة ، لا نجد فى ذاكرتنا رصيداً من الأفكار المطمئنة عن دور الله فى حياتنا .

إن وجود الله فى عقولنا يعنى أن يملأ الله ذاكراتنا ، وتمتلئ به أفكارنا ، وتلهج ألسنتنا دائماً بذكره .

الله فى حاضرك ومستقبلك

عندما كنت أتعلم قيادة السيارات ، قال لى المدرب : " لا تعلق بصرك بالسيارة التى أمامك فقط ، بل أنظر إلى المدى البعيد ، لترى الطريق كله ، لا يكفى أن تعرف الظروف التى تسير فيها السيارة التى تقودها أنت ، بل لابد أن تعرف أيضاً الظروف التى تسير فيها كل السيارات التى أمامك ! " .

إن الإنسان الحكيم - وهو يسير فى رحلة العمر - لابد أن يضع فى إعتباره الحياة بجملتها وعلى إمتداد الزمن أمامه . أى الحياة التى يعيشها اليوم فى هذه الأرض ، وتلك الحياة الأخرى على مرمى البصر فى الشاطئ الآخر للدنيا - الحياة بعد الموت .

لابد أن يكون الله فى حاضرنا ، حتى يضمن مستقبلنا الأبدى .

يقول الحكيم : أذكر خالقك فى أيام شبابك . وما أجمل أن تذكر الله بإعتباره الخالق الذى وهب لنا الحياة الأرضية ، وبإعتباره أيضاً الخالق الذى يبعثنا بعد الموت إلى حياة لا نهائية ! .

لكن الله له صورة أخرى يجب أن نذكرها فى أيام شبابنا ، إنها صورة الإله الخالق ، الذى يقدر أن يخلقنا فيه خلقاً جديداً ، ويكسب فى قلوبنا قوة روحية مغيرة ، هى قوة وسلطان روحه القدوس ، روح الحياة والخلود ، الذى يؤهلنا للحياة الأبدية .

هل نقدم لله حياتنا ، وقلوبنا ، وأفكارنا ، وكل ما لنا ؟

هل نطلب إليه أن يكشف لنا سر الحياة الأبدية ، ويخلقنا فيه خلقاً جديداً .

صرخة إنسانية

يارب

ما أضعف ذاكرتى ،

وما أخدعها ،

وما أخدعنى !

فقد إتسعت لما يسئ إلى ،

وضاقت بما ينفعنى !

أدخلت الدنيا فى عقلى ،

إحتويتها فى عمق ذاكرتى ،

نصبتها شاهداً على قبر إرادتى .

حتى لم يبق فى فكرى

غير الأطماع الجشعة .

تتربع فى جنبات القلب الغافل ،

تنهش صدر صباى !

فأغفر لى ضعفى وجهالتى ،

وحماقة فكرى وغفلتى .

وأقبل بين يديك

أيام شبابى .

أخلق فى جنباتى قلباً آخر ،

أخلق فى جمجمتى عقلاً آخر ،

أيقظ ذاكرتى ،

أخلق فى أيامى لحظة صدق .

أخرج فيها من زيفى ،

من كذبى ،

من أشباه الحق وليس بحق !

أخلق فى أيامى لحظة صدق ،

أولد فيها جديداً بين يديك .

يارب .

أكرم أباك وأمك فيكون لك خير

الأم

يحكون فى القصص القديمة أن ملكاً نزل من السماء ، وجاء إلى هذه الأرض فى يوم صاف مشرق ، وجال يتنزه بين أرجائها متنقلاً من قرية إلى مدينة ومن حقل إلى جبل حتى طاف بالأرض جميعها . فما إن غابت الشمس حتى إتجه بجناحيه نحو السماء عائداً من حيث جاء ، لكنه أراد أن يأخذ معه بعض التذكارات كما فعل السائحون أينما ذهبوا . فمال إلى إحدى الحدائق الغناء ، فإقتطف أجمل زهورها ، ومضى يحدث بنفسه :

هل هناك ما هو أجمل من الزهور ؟ .

وبينما هو يودع الأرض وقع بصره على مهد صغير يرقد فيه طفل جميل متورد الخدين باسم الثغر ، فأعجب الملك بإبتسامته البريئة الصافية فقال : سآخذ معى إبتسامة الطفل أيضاً . ونظر أيضاً فإذا خلف المهد أم حانية يفيض قلبها بالحب والأمل والعطاء ، فإنشرح الملك ، وقال : فلآخذ أيضاً معى محبة الأم .

وقبيل أن يصل إلى أبواب السماء اللؤلئية قال : لأمتحن التذكارات التى جلبتها من الأرض . ونظر إلى الزهور فإذا هى ذابلة ، وبحث عن الإبتسامة فإذا هى قد خبت ، ولكنه حينما نظر إلى حنان الأم وجده مضيئاً لامعاً ، فضم محبة الأم العالية إلى قلبه ودخل عوالم المجد وهو يصيح : لن يبقى معك شئ تحتفظ به من معطيات الأرض سوى محبة الأم .

ولقد حفلت الحياة ، وإنتشت الأرض على مر الأيام بعطر الأمومة ، وشذا حبها الدافئ العميق ، مما أوجب أن نقدم لها صادق الإكرام اللائق على إمتداد العمر .

وصايا (آنى)

والإحتفال بالأم وإكرامها ليس وليد حضارة عصرية ، بل هو إكرام فطرى نادى

به كل عاقل حكيم . ومن أجمل ما جاء فى وصايا الحكيم الفرعونى (آنى) قوله :

" ضاعف الخبز لأمك ، وإحتملها كما إحتملتك . إنها ولدتك بعد شهور من حملك ، وما فتنت تحملك فى عنقها ثلاثة أعوام وثديها فى فمك ! إنها لم تشمئز من أقذارك يوماً ، ولم تنح عليك باللائمة ! وعندما ترعرعت صحبتك إلى المدرسة ، لتتعلم القراءة ، وإعتادت أن تنتظرك كل يوم هناك ومعها الخبز والشراب . فإن كنت قد أصبحت فى شرخ الشباب ولك زوجة وبيت فارجع ببصرك إلى الأيام الخوالى ، لا تدعها تغتابك أو تهجرك ، ولا تدع أمك ترفع يديها إلى السماء ، فتستجير وتشكوك إلى الله " .

نحن " مؤلفات " أمهاتنا

والحقيقة أن دور الأم ليس مجرد الدور الطبيعى الممتد من الولادة إلى الحضانة والإعاشة ، لكنه أكبر من ذلك كثيراً ، فأصابع الأم الدقيقة تتشكل وتصوغ وليدها ، وتضع فيه من ذاتها ، وتسقط عليه ظلالها ، وتطبع على كل خلية فيه بعضاً من مكنون قلبها .

كان أحد الناس يتكلم مع سيدة حكيمة متفقهة فى كثير من العلوم والمعارف . فسألها : هل لها بعض المؤلفات التى تضم علمها الواسع ؟ . فأجابت : " إنى أكتب كتابين وقد قضيت عشر سنوات في الأول وخمس سنوات فى الأخير " . قال الرجل : لابد أنهما كتابان عميقان ، فأجابت : لم يظهر بعد ماذا سيكونان ، لكن مطمعى أن يكونا كذلك . كانت الأم تتحدث عن ولديها ، إذ أفرغت فيهما خلاصة نفسها .

الحق أننا " مؤلفات " أمهاتنا ، ولهن علينا جميع حقوق التأليف والنشر . فأينما كُنا فنحن من صنعهن وإليهن ينبغى أن نرد .

قلب الأم .. ذلك الرقيق الجبار

عند سفح أحد الجبال فى غربى القارة الأمريكية حيث تكثر النسور الصلعاء هبط الطائر الجبار وصعد فى لمح البرق حاملاً بين مخالبه طفلاً صغيراً . فأسرع الرجال يتسلقون الجبل القريب حيث يسكن النسر . كانت الطريق صعبة والمسالك مهلكة

وعزائم الرجال متفاوتة . لذلك تراجع الواحد وراء الآخر ناجياً بحياته معللاً ضميره بأن التضحية بطفل أهون من التضحية بالرجال ! وخلا مسرح الجريمة من كل الفرسان ! لكن شبحاً هزيلاً كان يتحرك بلا كلل صاعداً فوق الجبل ، ثم هابطاً إلى الوادى يحمل الطفل . وعندما إقتربا تبين الناس وجه الأم وقد غطته الدماء ! .

لقد تغلب الحب فى قلبها على خطر الموقف وضعف الجسد ورقة الساعدين ، فعظيمة هن أمهاتنا - مستودع الحب وخزائن الحنان .

أمهات عظيمات لأبناء عظام

فى كوخ بسيط لقطع الأخشاب قالت أم لإبنها وهى تخرج آخر أنفاس الحياة : " يا إبنى ، أحبب كل إنسان ، لا تعطل أى إنسان . لا تكذب أبداً ، لا تشرب مسكراً ، ولا تسرق أبداً . وفى يوم ما سيشكر العالم الله من أجل حياتك " .

أما هذا الإبن فهو الذى صار فيما بعد " إبراهام لنكولن " الرئيس الأمريكى العظيم الذى قال فى أواخر أيامه : " إن كل ما أنا عليه ، وكل ما أرجوه - أنا مدين به لذلك الملك الطاهر الذى هو أمى ! " .

إنها أم عظيمة لإبن عظيم .

وهناك قصة أخرى تروى عن " جون جونسون " الذى كان حاكماً لإحدى الولايات الأمريكية : كان جونسون يلقى خطاباً فى محفل عظيم حضره مشاهير الرجال وعظماء القوم ، وبعد أن أختتم الحفل بالتصفيق الحاد له - قال له أحد أصدقائه : لابد أن يكون اليوم هو أسعد أيام حياتك " فقال الرجل : كلا ، إن أعظم أيام حياتي جاءنى حينما كنت فى الثانية عشرة من عمرى . وتقاضيت أول أجر لى ، وكان ثلاثة دولارات فى الأسبوع . يومها ذهبت إلى البيت وقلت لأمى : لن تضطرى فيما بعد أن تغسلى الملابس هذا يكفينا .

إنه إبن عظيم لأم عظيمة .

أما " جرا نفيلد " ففى اليوم الذى أنتخب فيه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية أحس أن نفساً عظيمة كانت السبب فى حصوله على هذا المركز السامي ، فإتجه إلى أمه ، وأمسك بيدها وقبلها قائلاً : " لولا هذه اليد ما كنت وصلت إلى هذا المركز الخطير " .

إنه إبن عظيم لأم عظيمة .

أبشع الجاحدين لمحبة الأم !

وبالرغم مما حَظِيَتْ به الأمومة من تقدير بين عامة الناس فى كل عصر . فإن هناك قلة نادرة من الجهال الأغرار الذين لا يوفرون لأمهاتهم ما يليق بهن من كرامة وحب ، بل يحسب بعض أن إهانة الأم مظهر لرجولته المزيفة ! بل قيل : إنه فى بعض المناطق المتخلفة لا يحسب الشاب رجلاً فى نظر القوم إلا إذا أمكنه أن يضرب أمه ! .

ونحن لا نظن أن أحداً من القراء يمكن أن ينال من كرامة أمه بإهانة مباشرة ، لكننا نكرر قولاً مشهوراً لخطيب يدعى " بلى ساندى " إعتاد أن يقول : " إن المرء قد يُعتبر قاتلاً ، إذا كان يحيا حياة شريرة تسبب حزن أمه ويميتها موتاً تدريجياً بطيئاً . إنه - على أى حال - قتل ولو إستمر يرتكبه فى عشرين سنة ! .

إن ذابح الحمامة يسرع فى ذبحها لئلا يعذبها ، أما هذا فيذبح أمه فى مدة طويلة كهذه . فما أرهب هذا القتل ! وما أبشع الجريمة ! فحذار أن تقتل الوفاء .

أكرم أمك .

لكن هناك أبناء أوفياء

وإذا كان عصيان الأم جريمة بشعة فإن طاعتها واجب إنسانى مهما كانت التضحيات والبركات التى تعود إلينا من الخضوع أكبر بكثير من الأطماع الذاتية التى قد تغرينا بالعصيان - أو على الأقل بالتضحية بدموع الأمهات :

فى تاريخ " جورج واشنطن " أنه لما كان شاباً إعتزم أن يسافر فى البحار كضابط فى الأسطول ، وكان قد جهز كل شئ حتى إنهم حملوا حقيبته إلى السفينة . وعندما ذهب ليودع أمه - رأى الدموع تسيل من عينيها .

وإذ رأى ضيقها إلتفت إلى خادمه وقال : إذهب وأحضر حقيبتى ، فإنى عزمت ألا أكسر قلب أمى ! " . ولقد باركه الله كثيراً . فالذى ضحى بمستقبل ضابط بحرى أصبح رئيساً لدولة .

أكرم أمك .

لكن أقسى ما فى قصة الأمومة أننا نحن الأبناء لا نبقى طويلاً مع أمهاتنا .. فالأم الكادحة التى تنفق كل يوم بعضاً من غالى عمرها تسرع بها الأيام إلى المشيب ، وتفعل بها الشيخوخة ما لا نحب أن نراها عليه . ثم يأذن الله بالفراق .. وعندئذ لا يبقى سوى الذكريات الحلوة ودموع العرفان .

لكنّ هناك شيئاً قاسياً رهيباً ، هو ما قد يبقى داخلنا من ألم إذا نحن كنا قد أخطأنا فى حق أمهاتنا ، أو جرحنا مشاعرهن النبيلة ، وأمتهنا كرامتهن الواجبة الصون ، أو إحتقرن حبهن الخالد :

فى قصة رواها رجل يدعى " دكتور هنسون " وهو رجل دين أمريكى يعيش فى شيكاغو قال : " رأيت رجلاً يجلس على الكرسى المقابل لى فى القطار ، وكانت علامات الأسى والحزن تبدو ظاهرة على وجهه . فسألته هل يمكننى أن أقدم له خدمة ما ؟ فرد علىّ بخشونة بالغة رافضاً مبادرتى ! وعند عودتى فى المساء فوجئت بالرجل نفسه يجلس أمامى بعد أن أقلع القطار من محطة صغيرة فى الطريق ، لكن القلق كان واضحاً عليه أكثر من ذى قبل . وبعدها إطمأن لى وقال : سيدى ، أنا محطم مهدم ، وأنت ترى أنى شيخ تخطيت السبعين . ولما كنت صبيّاً هربت من بيت أبى وكانت لى أم صالحة ، شعرت بالوحشة لها فى بداية الأمر ، وكنت أتذكرها كثيراً . ولكن بمرور الوقت صرت لا أتذكرها . ولم أحرر لها خطاباً قط ، ولم تعرف مكان وجودى . ومنذ وقت قريب بدأ الحنين إليها يعود إلى قلبى ، وظلت ذكراها تؤرقنى ، وتقض مضجعى ، فصممت أن أسافر إلى بلدتى علنى أهتدى إليها . ولقد ذهبت اليوم إلى هناك . سألت عن البيت العتيق وبيوت الجيران لكن أحداً لم يعرفها . وأخيراً وجدت رجلاً عجوزاً تذكرها ، لكنه لم يعرف أين دفنت ! دخلت البيت إلى حيث كانت تجلس وتلمست الأرض حيث كانت تضع قدميها ، فركعت فى مكانها وقبلت الأرض وبكيت كما لم يبك طفل فى حياته ! .

والآن يا سيدى ، أنت ترى هذه اللفافة فى يدى ، إنها قالب الطوب الأحمر الذى كان يغطى أرض الحجرة حيث كانت أمى تضع قدميها لقد إقتلعته ، ليكون وسادتى وعليه أستريح فى قبرى ! .

إن قصة الرجل الأليمة تحدثنا أن نكرم أمهاتنا الحبيبات قبل فوات الوقت .

٢٨ - مبادئ إنسانية ..

إكرم أباك وأمك فيكون لك خير

الأب

هذا الرجل الوقور
الجالس بعيداً على كرسيه المريح ،
قاربت أيام خدمته على الإنتهاء .
لقد حَنَتْ أيام الكفاح ظهره المديد ،
وأجهد القلق وجهه الصبوح ،
لكنه الآن ...
يجلس هادئاً على كرسيه المريح ،
ينظر إلى السماء ، ويحلم بالراحة الأبدية
خلف القبة الزرقاء .
ما أرفع التاج الفضى الذى يكلل رأسه الوقور
بخصلات الشعر البيضاء كالثلج !
ما أبهى العينين الكليلتين بعد أن أعتمتهما
سنوات الكفاح !
إنه يجلس هادئاً على كرسيه المريح
فى طمأنينة لا تعرف الخوف
ينتظر الحصاد
هذا " أبى " .

منذ سنين كثيرة قبل أن تتقدم به السن
كنت " أنا " بهجة قلبه وموضع فخره.
ولطالما صلى لله داعياً من أجل إبنه
ولأجل نقاء قلبه
فها هى ذى طلبته تستجاب الآن .

وهو جالس على كرسية المريح
ينتظر تاجاً من الذهب
يزين جبينه الثلجى .
حين كنت غلاماً صغيراً رأيت أبى عملاقاً ضخماً .
وتطلعت إلى اليوم الذى أصير فيه مثل أبى .
وتساقطت الأيام من يدى وأصبحت رجلاً .
وهانذا الآن أتمنى أن أعود إلى أحضان أبى
فى الأمس البعيد ، وأجلس على ركبتيه .
قريباً من قلبه المحب
إنه صديقى .
الجالس على كرسيه المريح..
يتطلع إلى السماء .

بهذه الكلمات المملوءة بالحب والعرفان - يتحدث إلينا " جويندولين إدج " واحد من الأبناء الكثيرين الذى يعترفون بفضل أبائهم ، ويسجلون ذلك الإعتراف فى قصائد تفيض بالحنان .

وهم لا يتحدثون عن آباء غير عاديين - أو لهم أعمال جبارة وإنجازات خارقة ، لكنهم يقدمون إلينا آباء عاديين ككل الآباء يقومون بالدور نفسه ، ويحملون الرسالة نفسها . لكن العظمة أحياناً ليست فى الأب الذى يعطى فقط ، وإنما فى الإبن الذى يقبل أيضاً . ومن ذلك ما جاء فى قصيدة إدجار أ. جست الذى يتحدث عن أبيه فيقول :

" إنه أبى وليس سواه ،
أعرفه بوجهه الشاحب المجهد ،
وهو قادم إلى البيت من سباقه اليومى ،
حاملاً معه ، القليل من المال والنجاح
والكثير من شقاء كفاحه المستمر .
لكن قلبه مملوء بالبهجة والفرح ،
فسعادته فى أن يأتى إلينا ،
فنراه ونسمع صوته الحنون .
إنه أبى - وليس سواه -

ذلك الذى يحتضن فى حنانٍ أطفاله الأربعة .
هو واحد من عشرات الملايين الكادحين ،
يحتمل سياط الدهر وسخرية الأيام .
لكنه لا يتذمر ، لا يغضب ، لا يكره ،
من أجل أطفاله الصغار المنتظرين خلف الباب " .

" إنه - أبى - وليس سواه - البسيط الفقير ،
مجرد فرد من عداد الجمع الكبير المتدفق .
يكدح ويناضل من يوم إلى يوم ،
يواجه صراع عقبات الطريق الوعر
صامتاً مهما قست عليه الأيام الخشنة
صابراً لها من أجل حبه الكبير " .

" إنه أبى - مجرد واحد من الأباء
لكنه يعطى كل ما يستطيع
ليسوى الهضاب أمام أطفاله الصغار
لهذا فإنه أبى وليس سواه
أفضل الرجال " .

وفى تراثنا العربى نقرأ الكثير من القصائد التى تدور حول الأباء والجدود - وإن كان أغلبها ينطوى على التفاخر ، فهى تتناول كرامة الآباء وعظمتهم لا بغرض إكرامهم وتعظيمهم ، بل لإسقاط هذه العظمة على الكاتب نفسه . وقلما نقرأ شيئاً يتناول بالعرفان والشكر عواطف الأباء . وكأنما قد رسخ فى الأذهان من زمن بعيد أن الأباء قد جعلوا للإعاله والتأديب وأن الأمهات للعاطفة والحب .

قلوب الآباء أيضاً مملوءة بالحب

فى إحدى الحملات التى كان يقوم بها " دوايت مودى " ويتحدث فيها إلى الآلاف من البشر المحتشدين كل مساء - كان هناك شيخ مسن يتبع القافلة أينما مضت من مدينة إلى أخرى . فإذا ما وصل إلى مكان الإجتماع مستنداً إلى عكازه الكبير - تقدم فى خطواته المتعثرة نحو المنبر والتمس والدموع فى عينيه أن يسمح له بالتحدث إلى

جمهور الحاضرين ، فإذا سمح له تحدث بصوت متهدج وكلمات ملهوفة وهو ينادى بشفتين مرتعشتين قائلاً :

" يا إبنى .. هل أنت هنا ؟ .. إذا كنت هنا يا ولدى فتعال إلىَّ .. أبوك الشيخ لا يستطيع أن يموت قبل أن يراك ! " .

وفى كل ليلة كان الشيخ ينتظر ويحرك عينيه الكليلتين فى لهفة بين الصفوف . وحين يطلب منه مغادرة المنبر يجهش بالبكاء وينكفئ نازلاً إلى حيث يبتلعه الظلام . وفى كل ليلة كان يبدو متهالكاً أكثر من قبل ، لكن جسده المحطم كان ينتصر على هزاله بقوة حبه الكبير .

والغريب أن هذا الشاب حين عاد أخيراً علل غيابه هذا بقوله : إنه لم يكن يعلم أن أباه يحبه ! .

ونحن لا نعلم من أين جاء هذا الإبن بذلك القلب الذى يستطيع أن يتجاهل حب أبيه بهذه الصورة من الإهمال القاسى ، لكننا نقول لكل شاب على أرضنا : **أكرم أباك .**

ربما نهين آباءنا

وقد يظن الكثيرون أن إكرام الآباء هو السائد الشائع بين الناس - غير أن الحقيقة قد لا تؤيد هذا الإفتراض - فربما يندر أن يتعرض الآباء للإهانات المباشرة من أبنائهم ، لكنهم كثيراً ما ينالهم الأذى من وراء تصرفات الأبناء ، وهذا شائع متكرر فى بعض البيوت مع الأسف الشديد ، فإختلاف الآراء وتباين الأجيال تمهد أرض النزاع بين الإبن وأبيه ، ثم يسقيها الصلف والكبرياء أو التشدد والعناد فتثمر عصياناً أو تمرداً أو تذمراً . وقد يحتقر الإبن خبرات أبيه فلا يلتزم بنصحه ، فيسقط أو تستهويه التجربة فينحرف .

وهذا الإنحراف أو السقوط إذا جاء بسبب فكر ملتو وقلب فاسد ، أو جاء بحسن النية وصفاء القلب - نتيجة لضحالة الخبرةِ والرغبة فى ممارسة الحرية الشخصية . فى أى حالة من الحالات فإن كرامة الآباء وأسمائهم تتعرض للهوان .

ويذكر لنا د. فليبوت قصة عن رجل أعمال أسكتلندى له إبن شاب على قدر واسع من التعليم - مشرق الوجه ، طيب المعشر ، لكن هذا الإبن إتهم مرة فى قضية إختلاس . وعند ثبوت التهمة لم يبد الشاب إهتماماً يذكر ، وإستمع للحكم برباطة

جاش دون أى مبالاة ! لكنه عندما طلب القاضى منه أن يقف لسماع الحكم وقع بصره على منصة المحامى . ومن ورائه رأى الشاب أباه . وكأن الأب - هذه المرة - منكس الرأس مَحْنى الكتفين . وعندئذ فقط بكى الشاب .

لكن هناك إهانات فاجرة يتعرض لها الآباء المسنون عندما تتقدم بهم الأيام وتقعدهم الأمراض - وتعوزهم الرعاية فيلجئون الى أبنائهم الذين قد يوفرون المأوى ، لكنهم يعجزون عن توفير الحب والحنان .

من الإختبارات المريرة ما حدث لرجل متقدم فى الأيام حين كان يعيش مع ولديه ، وكانت الأحوال عسيرة والضيق مستحكماً . وفى إحدى الليالى جلس الشقيقان يتبادلان الشكوى والتذمر من وجود أبيهما وما تكلفهما إعالته من جهد لا طاقة لهما بها . وطال الحوار بين الشقيقين حتى حان موعد النوم . فطافا بوالدهما ليرياه قبل أن يرقدا . فهالهما أن وجدا الدموع راكدة فى عينيه على حين أن الجسد البارد مسجىّ فى وضعه الأخير ! وكان واضحاً أن الرجل قد سمع بعض الحوار ، وكانت شكوى الأبناء هى آخر ما صافح أذنيه من كلام الدنيا ! .

وهل هناك أشر من هذا ؟ - نعم أحياناً . فقد يحدث أن تمتد أيدٍ أثيمة فتضرب أو تقتل ! وهذا يحدث فى عصرنا ربما أكثر مما كان يحدث فى أزمنة مضت .

وقد كان الرومان يعتبرون جريمة قتل الآباء من أنكر الجرائم وأحقها بالعقاب الشديد . فكان الإبن القاتل يعاقب بوضعه فى جوال من الجلد ومعه كلب حى ، وثعبان وقرد ، ومع هذه يطرح حياً إلى البحر . وهذه الحيوانات يرمزون بها إلى التعدى والمكر والقبح . وهل هناك أفظع وأقبح من أن يستخف الإنسان بأبيه ؟ .

كتب الدكتور ج . مولر يقول : هناك أولاد حازوا مقاماً عالياً ودرجة رفعية فى العالم فإستخفوا بآبائهم وأمهات شاخوا وإفتقروا وإنكسرت قلوبهم . ولم يجدوا لهم مكاناً فى بيوت أولادهم الفخمة ، مع أنهم تعبوا لأجلهم متألمين مضحين بلا حدً ، وبلا تذمر ، أيام أن كانوا أطفالاً وفى سنى أول حياتهم فما أقسى هؤلاء الأبناء .

بركات إكرام الآباء

وإن كان التعدى على الآباء يعتبر عملاً حقيراً فإن إكرام الآباء يعتبر واجباً لا شكر عليه ولا فضل لمن يفعله . ومع ذلك فإن إكرام الوالدين عامة لابد أن يعود على

فاعله بالخير . وقد جرت على ألسنة العامة أقوال كثيرة وقصص عديدة تبشر الذين يكرمون والديهم بواسع البركات ويؤيدون ذلك بالأحداث المتوالية .

وقد روى الفيلسوف " أرسطو " قصة واقعية عن شاب كان يركض فى الطريق بأقصى طاقة الشباب هرباً من الموت أمام الحمم التى كان يقذفها بركان " أتنا " ، وكان الناس جميعهم يتدفقون أمام طوفان النار التى لفحت وجوههم ، وإمتد لهيبها مكتسحاً أمامه كل أثر لحياة .

وبينما كان الشاب يهرول مبتعداً عن النار لمح جده الشيخ متكفئاً يستغيث ، فوقف الشاب وحمل الشيخ على منكبيه ، ولأن الحمل كان ثقيلاً لم يتمكن الشاب من الإسراع أمام النار ، فأدركته النار الجامحة التى كانت تلتهم الناس بلا تمييز . إلا أن أعجوبة حدثت دون سبب منطقى . فقد إنقسمت النار فجأة ، وإتجهت إلى الجانبين وإجتازت الشاب والجد تاركة إياهما سالمين . ثم عادت لتدرك القوم الذين سبقوهما ! .

ولعل هذا الشاب قد أدرك أنه وهو يحاول أن ينقذ جده أنقذ نفسه من موت شنيع .

فى سنة ١٩٤٠ تخرج " إنسن أسكوت " فى جامعة دافيد سون بالولايات المتحدة الأمريكية - بعد أن أحرز مرتبة الشرف . وإلتحق بعد ذلك بكلية هارفورد لمديري الأعمال إلى أن قامت الحرب فإلتحق بقوات البحرية .

وفى أثناء المعركة البحرية حول جزر سولومن قام أحد أفراد فرقة إنتحارية يابانية بضرب السفينة - حيث كان أسكوت - ضربة مباشرة أسفرت عن إصابته بجرح قاتل ، وعلم الشاب يقيناً أنه لم يعد يملك من حياته على الأرض سوى دقائق محدودة .

عندئذ بادر بإعطاء أمره قائلاً : " أيها الرفاق إستمروا فى إطلاق النار " . ثم نظر إلى أقرب الناس إليه وأملى عليه رسالة الوداع موجهة إلى أبيه قائلاً : " أن تكونا - أنت وأمى - لى فى هناء أطول ما تكون الحياة - كان هذا غاية ما كنت أطمع فيه من هذا العالم " ثم رحل " إنسن أسكوت " إلى الأبد .

وكانت كلمات التقدير الرائعة هذه هى آخر ما قدم الشاب لأبويه من إكرام .

وبالرغم من قسوة الرحيل - فإن كلمات الشاب كانت أغلى ما يمكن أن يحتفظ به الوالدان من حياة إبنهما .. **فهل نكرم أباءنا ؟** .

٢٩ - مبادئ إنسانية ..

إن صوت الأجيال السابقة لا زال صداه يملأ أرجاء الكون

أفكار بناءة عن أحبائنا جيل الرؤوس البيضاء

إن صوت الأجيال الماضية ما زال صداه يملأ أرجاء الكون ، وأعمال الأجيال السابقة مازالت حية ومثمرة فينا ، وما من ثمرة تحملها أغصاننا إلا وبها رحيق من عرق أجدادنا ، وعبق من عطر الأجيال المتعاقبة .

وكل ما نحققه نحن اليوم هو نتيجة لتجارب الأجيال وخبراتهم . ولو قطعت جذورنا هذه ، لبدأنا عصراً جديداً .

لذلك فإن أجيالنا تخطئ إذا تصورت أنها قد ملكت كل شئ ، وأن من سبقونا لم يحققوا شيئاً . فالحياة التى أعطتنا الكثير ، أخذت منا بقدر ما أعطت . والأيام التى حرمت آباءنا بعض ما لنا الآن ، وحفظت لهم الكثير مما فقدناه .

إن جيل الكبار : يحملنا ويختفى ، يدعمنا ويتوارى ، يمهد أمامنا الطريق والقفار ، ويترك لنا البريق والثمار .

* * *

ويهمنا نحن أبناء الجيل اللاحق أن نعرف دورنا فى البناء ، ونعد أنفسنا له . والإعداد من جانبنا هو القبول العقلى والقلبى لبعض الأفكار البناءة عن جيل الرؤوس البيضاء .

ليس كل قديم ضحلاً

يتصور الكثيرون منا أن الشباب وحده هو القوة الخلاقة البانية ، والقادرة على الإنتاج والعمل النافع ، وأن فترة الشباب هى فترة النجاح الذى يعقبه الركود . وقد يبدو هذا صحيحاً حسب الظاهر ، لكنه يعتبر تقديراً خاطئاً إذ يتجاهل ما للكبار من أفكار مصقولة ، وقدرات مدربة ، وملكات ناضجة ، وتقديرات دقيقة ، وخطوات

ثابتة ، ومغامرات محسوبة . وهذه جميعها تؤهلهم للنجاح والإثمار ، والإسهام المؤثر فى حركة الحياة .

فهناك نماذج لامعة للنجاح الساحق الذى حققه الكثيرون من جيل الآباء والأساتذة أصحاب الرؤوس البيضاء بعد أن تقدمت بهم الأيام وظننا - نحن الشباب - فى غرورنا أنهم صاروا عاجزين ، أو غير قادرين على العمل بدوننا ، وأن أفكارهم القديمة لم تعد تتواءم وإحتياجات الحياة المتطورة ، فإذا بهم يقتحمون الحياة ، ويقتنصون فى براعة ووعى أسباب النجاح فى ميادين المال والعلم والفن والأدب ! .

فهناك " كومودور **فاندربلت** " الذى حققت نشاطاته دخلاً يقدر بنحو مائة مليون جنيه فى المرحلة بين السبعين والثالثة والثمانين من عمره ! و " عمانوئيل **كانط** " الفيلسوف الألمانى الشهير (١٧٢٤ - ١٨٠٤) الذى كتب أشهر أعماله " ميتا فيزيقا الأخلاق " ، " نزاع الكليات " فى سن الثالثة والسبعين ! ورسم الفنان الإيطالى " **تنتورينو** " (١٥١٨ - ١٥٩٤) لوحته الضخمة " الفردوس " وتبلغ مساحتها أكثر من ٢٠٠ متر مربع وهو فى الرابعة والسبعين من عمره ! وفى نفس السن كتب الموسيقار " جوزبى **فيردى** " (١٨١٣ - ١٩٠١) عمله الأوبرالى الفريد " عطيل " ، وأستمر يبدع أعماله العظيمة بعد أن تخطى الخامسة والثمانين من عمره ! وأكمل " جوهان **غوته** " أعظم شعراء الألمان (١٧٤٩ - ١٨٣٢) رائعته الأدبية " فاوست " فى الثمانين من عمره . والفنان الإيطالى " **تيتيان** " (١٤٨٩ - ١٥٧٦) - والذى يعتبر من أعظم رسامى عصر النهضة - رسم لوحته " معركة ليبانتو " وهو فى الثامنة والتسعين من عمره ! .

وهناك أمثلة كثيرة للعمل المتفرد - فى جميع مجالات الإنتاج - الذى يقوم به الكبار ، ويعجز عنه الشباب - أصحاب الخبرات المحدودة . لذلك فسيظل الكبار أساتذه لنا ، ولهم علينا السمع والطاعة .

لولا القديم ما كان الجديد

هناك قاعدة تقول أن لكل جديد أساس أسبق منه عمراً . وتنطبق هذه القاعدة تماماً على أى نجاح يمكن أن يحققه الشباب فى أى جيل من الأجيال . فهناك دائماً أساس خفى وراء هذا النجاح ، وهو تلك القاعدة الصلبة التى بناها الأسلاف ، والتى أعدت ومهدت وحملت بشائر النجاح ، ثم توارت فى الظل لتفسح المكان للثمرات الناضجة

فوق الأغصان المجهدة .

هذه الرؤيا التشكيلية للنجاح ، نراها فى كل شئ ، فالشمعة مثلاً لها نور ينتشر فى الظلام المحيط ، ولكن هذا الضوء لا يمكن أن يقوم بغير جسم الشمعة ، الذى يحمل الضوء ويغذيه . والبنايات العظيمة ذات الواجهات الرائعة ، تقوم فوق أساسات مطمورة ليس لها بريق ، لكنها تحمل كل شئ ، ولا يقوم البناء بدونها ، ولولاها لسقط وإندثر . والأدوار الأقدم فى البناء تقوم بعمل أفضل ، فهى تحمل ما فوقها ، إلى جانب عملها الأصلى .

لو أنكرنا أن نجاحنا يعتمد على أساسات صنعتها الأجيال التى سبقتنا ، فإننا نكون كمن يزعم أنه قادر أن يبنى بيتاً معلقاً فى الهواء بلا أعمدة أو أساسات أو دعامات تحمله .

إن جيل الكبار : يحملنا ويختفى ، يدعمنا ويتوارى ، يمهد أمامنا الطريق والقفار، ويترك لنا البريق والثمار .

الأيام تأخذ مثلما تعطى

ننخدع أحياناً حين نقرأ عن الإكتشافات الكونية المدهشة ، والإنجازات العلمية الضخمة التى كشف عنها الزمن فى أيامنا ، فنظن أن جيلنا أوفر حظاً من كل الأجيال ، وأن الحياة تبتسم لنا وتغدق علينا بعد أن حجبت عطاءها عمن سبقونا . والحق أن هذا القرن من الزمان ، كان خصباً جواداً ، وأعطى لنا ما لم يعط للأسلاف ، ولكن هذا القرن أخذ منا أيضاً الكثير مما إحتفظ به أسلافنا على مدى التاريخ .

فإذا كان نصيبنا أوفر فى بعض المعارف الزمنية ، فإن نصيبنا أقل فى دفء العلاقات الإنسانية . وإذا كنا أغنياء فى العلم ، فنحن فقراء فى الحب . والحياة التى أعطتنا أسرار الكون والفضاء ، علمتنا فنون الحرب والفناء . والحياة التى وهبتنا العقول الإلكترونية وإمكاناتها العملاقة ، حرمتنا " رومانسية " الأفكار الهادئة والتأملات الخلاقة ، فبأيدينا نمسك الحاسب الآلى الدقيق ، وبأيدينا نبدد البعد الإنسانى العميق .

لذلك فإن أجيالنا تخطئ إذا تصورت أنها قد ملكت كل شئ ، وأن من سبقونا لم

يحققوا شيئاً . فالحياة التى أعطتنا الكثير ، أخذت منا بقدر ما أعطت . والأيام التى حرمت آباءنا بعض ما لنا الآن ، فحفظت لهم الكثير مما فقدناه .

الخبرة والتجربة لا بديل عنهما

لا يستطيع أحد أن يبنى بيتاً أثرياً ! فمهما كان المهندسون من أبناء جيلنا بارعون ، فإنهم لا يستطيعون أن يشيدوا اليوم معبداً إغريقياً أو فرعونياً أو بابلياً ! فقد كان لابد أن يبنى هذه الآثار أصحاب تلك الحضارات .

فنحن نرث ، ونتعلم ، ونستحدث الوسائل والأساليب ، لكن روائع الجدود ستظل لنا ولأحفادنا علامات المجد ، الذى حققته الأجيال .

وكل ما نحققه نحن اليوم هو نتيجة لتجارب الأجيال وخبراتهم . ولو قطعت جذورنا هذه ، لبدأنا عصراً حجرياً جديداً .

وفى حدود العلاقات البيتية أو المدرسية ، فإن أصحاب الرؤوس البيضاء الذين أفنوا حياتهم فى مصارعة الحياة ، أصبح لديهم حصيلة من الخبرات والتجارب التى لا نستطيع بغير العمق الزمنى أن نحقق مثيلاً لها .

لذلك ، فأقوال الآباء والمعلمين وأبناء الجيل السابق هى الأضواء الكاشفة لنا ونحن فى بدايات الطريق .

الأفكار تتكرر والأنماط تعود

محدودة أشكال الحياة وأنماطها . ونظرة فاحصة فى عالم الأزياء أو الأثاث أو البناء ، تجعلنا نعرف أن الخطوط والتصميمات والأشكال لابد أن تتكرر . حتى العبارات والجمل والكلمات ، فجميعها تتكرر . وكما قيل : " لو لم يكن الكلام يتكرر لنفد من زمن بعيد " ! .

لذلك فلا حق لنا أن نسخر حين نرى الذين سبقونا يتمسكون بأزياء إعتادوها ، أو أساليب أصبحت مع الأيام جزءاً من حياتهم . فمهما بدت هذه الأشكال قديمة أو مغرقة فى التخلف ، فإنه سيجئ اليوم الذى تصبح فيه هذه الأنماط نفسها رمزاً للتقدم وعنواناً على حسن الذوق وبراعة الإختيار .

إن صوت الأجيال الماضية مازال صداه يملأ أرجاء الكون ، وأعمال الأجيال السابقة مازالت حية ومثمرة فينا ، وما من ثمرة تحملها أغصاننا إلا وبها رحيق من عرق أجدادنا ، وعبق من عطر الأجيال المتعاقبة . ونحن نرث ، ونتعلم ، ونستحدث ، ونعيد ونكرر ونقتبس وننهل من ينابيع الأسلاف الفائضة .

فحين يغضب الآباء ، ويستاءون لخروجنا عن نمط الحياة التى يحيونها ، دعونا نفكر ، فلا قيمة لما نستحدثه ما لم نستوعب أفكار الأجيال التى سبقتنا .

وحين نغضب نحن ، ولا يرضينا شكل الحياة التى يحياها الجيل السابق ، دعونا نحتمل فى صبر ، ونتقبل فى حب ، ونستوعب توجيهاتهم فى تقدير وإحترام .

وحين يسقط جسر ، أو تنفتح هوة ، دعونا نخرج من مخازننا - فى العقل والقلب - دعامات التقدير والحب نبنى فوقها جسوراً جديدة .

صرخة إنسانية

يارينا

يا صانع الزمان ،
يا واضع تاج الهيبة ،
وإكليل الوقار على هامات
أجدادنا البيضاء ،
أيها المشفق على شيبة أبى ،
وظهر جدى المقوس ،

يا من ترى يد الزمان تتسلل خفية
إلى رأس أمى ،
فتنثر فيها الشعور الفضية
على غير ما تريد ،

يا من ترقب الأيام
تضغط على كتفىّ أبى ،

فتحنى بلا رفق ظهره المديد .

يا من ترى أساتذتى يقلّبون أوراقهم
بأيديهم المرتعشة ،
وعيونهم الذابلة خلف
نظاراتهم السميكة ،

ساعدنى حتى أحطم الفأس
التى يحملها الزمان
ليحفر الهوة بينى وبين
أبى ورئيسى ومعلمى .

وشدد ساعدى لأقيم الدعامات ،
وأبنى الجسور ،
وأصنع من العرفان والتقدير
مظلة لأحبائى أصحاب الرؤوس البيضاء .

آمين

أحبب جارك كنفسك ..

مبادئ حسن الجوار

إمتدت أيام الرجل حتى صار شيخاً متهالكاً - أدركه الذبول ، وتضاءلت فى حياته أسباب الراحة ، وتقوضت دعامات البقاء ، إلا من أنفاس خافتة تتردد فى صدره المكدود الذى ضاق بالآمه ومتاعبه . كانت الزوجة قد رحلت ، وإختفى الأصدقاء ، وإنشغل الأبناء بربيع حياتهم المقبل عن خريف أيامه الغاربة .

وإنحنى الرجل على نفسه ناسكاً فى حجرته ، زاهداً فى مبارحة بيته ، فكل ركن فى البيت يعيد إليه ذكرى غالية من ذكريات الأمس الغالية ، ويشده إلى أحداث وأشخاص لا يريد أن تفارقه ذكراهم - وإن فارقته أصواتهم وأجسادهم .

وربما كان طبيعياً أن لا يدرك الرجل بعد أن تقدمت به السنون كثيراً من متغيرات الحياة ، ما إستجد على أخلاقيات الناس من تحول ، وما أقتحم فطرتهم من إستخفاف بالقيم ، وخروج على تقاليد الجدود فى الحب ورعاية الجار وإحتضان العاجز والمريض . لذلك فقد كانت صدمته فى الناس عاتية ، ومصيبته من غدرهم قاسية ساحقة .

وألف الرجل حياة الوحدة ، فلم يكن لديه ما يشرك فيه الآخرين ، فضلاً عن أن الأيام سلحته بخبرات كثيرة تكفيه مذلة الحاجة لعون القادرين ، فهو يستطيع أن يطهو طعامه ، ويغسل ثيابه ، ويصلح ما فسد من أدوات البيت القديمة . ولديه قناعة بما تيسر ، وبديل لما تعذر .

لكن هذا الرجل الحكيم القنوع فوجئ يوماً بما حار فى تفسيره وعجز عن فهمه ، وإنخلع قلبه حين تيقن أن ما يراه ليس حلماً بل هو الحقيقة المجردة التى لمسها وتحسسها بيديه وعينيه . وكاد يهرول خارجاً من البيت ليدعو الجيران ليفسروا له ما غمض عليه وإستعصى على فهمه ، وليخبروه ما إذا كانوا يرون ما يرى . لكنه آثر أن يتروى فى دعوة الناس لئلا يظنوا أن عقله قد ذهب - وما أسرع ما يُتهم أمثاله

بضياع العقل ! .

ولم يكن الرجل قد جُن ! كل ما حدث أنه ذهب كعادته إلى إحدى غرف البيت ، تحسس المقبض ، فلم يجد مقبضاً ولا باباً ، بل وجد جداراً خشناً أغلق الغرفة بالطوب الأحمر والأسمنت .

وما أن أفاق الرجل من هول المفاجأة ، حتى تواردت إلى ذهنه تفسير واضح لما حدث . لقد سرق الجار غرفة من غرف الذكريات الغالية ، وأضافها إلى بيته ! .

ويا لها من حقيقة مخجلة أن يستغل الجار ضعف جاره الأصم ليهدم ويسرق ويبنى . لقد طعن القوى القادر جاره الضعيف العاجز فى ظهره ، وهو من كان عليه أن يحميه من عدوان الغرباء ! .

• مبادئ حسن الجوار :

للرئيس الأمريكى الأسبق " روزفلت " عبارة شهيرة دخلت قاموس السياسية الدولية حين قال : " أما عن السياسة الخارجية ، فإننى أهدى بلادى سياسة حسن الجوار " . وحسن الجوار بين الدول قد يكون لعبة سياسية لها خلفياتها الماكرة التى تدخل فى موازين المكسب والخسارة والأطماع وفرض النفوذ . لكن حسن الجوار بمعناه الأخلاقى : عهد وإلتزام بمبادئ إنسانية ، قد تضيع فى زحام الشوارع ، وتلاحم البيوت ، وتكدس المدن ، وتضارب المصالح . لكنها مبادئ لابد لنا أن نوقظها حتى نهيئ لعالمنا الصغير حياة مستقرة .

ونضع أمام القارئ بعض هذه المبادئ ، لعلها تساعدنا جميعاً على خلق علاقة جوار أفضل تنعكس فى سلام قلبى على حياتنا العائلية وعائلات جيراننا الأقربين :

لا تطلق يدك فى بيت جارك

شكا أحدهم إلى جاره قائلاً : " إن ثمار الأشجار فى أطراف حديقتى تسقط فى فناء دارك ، فأرجو أن لا تسمح لأهلك بإلتقاطها ! " ، قال الجار : " يا صديقى ، فلنعل السور الذى يفصل حديقتك عن فناء دارى ، فالأسوار العالية تحمى الصداقة " .

وهذا مبدأ عظيم : لا تطلق يدك فى بيت جارك ، لا تلغ الأسوار فتتداخل المنافع ،

إحتفظ لجارك بحقه فى بيته كاملاً ، ولا تجعله يضيق بك أو يرتاب فى أمانتك ، أو يشك فى حسن نيتك .

لا تطلق عينك فى نافذة جارك

لكل بيت أسراره التى لا يريد أن يطلع عليها الآخرون . لذلك كان لكل البيوت أبواب ولكل النوافذ ستائر تحجب ما وراءها ، وتستر خفاياها .

لكن الجار - بحكم موقعه - يكشف بعض خفايا جاره ، ويرى عفواً كثيراً من أسراره ، وقد تصل إلى أذنه بعض أخباره التى قد يثرثر بها أطفاله . وقد تقع فى يده خطابات أو أوراق تحمل أسراراً أو أخباراً لم يحن موعد إعلانها بعد . فلا تطلق عينيك فى حجرة جارك ، ولا تعاين السلة التى تحملها جارتك أو خادمتها وهى عائدة من السوق . ولا ترسل بصرك إلى داخل باب بيته إذا وجدته مفتوحاً ، ولا تلق نظرة فاحصة على مكتبه وأوراقه وخطاباته .

إحبس عينيك داخل حدود بيتك ، فتحفظ أسرار جارك .

لا تدع أهدابك تتخطى نوافذك فترفع ستائر جيرانك ! .

لا تطلق شهواتك فى ممتلكات جارك

حرصت الشرائع القديمة على تقديس الحدود ، وتحذير الناس من إشتهاء ما للغير. وكان العبرانيون يعتبرون الخروج عن هذه الشريعة من الكبائر . فقد حرمت الشريعة إشتهاء بيت الجار أو زوجه أو خدمه أو بهائمه . وصبت اللعنة على رأس من ينقل (تُخم) جاره - أى يحرك علامات الحدود التى تفصل أرضه عن أرض جاره .

وقد تنطلق شهوتك ، فتتسلل إلى مال جارك ، فتبدو لك لقمته اليابسة خيراً من أطايب طعامك ، وأرضه الجرداء قد تتصورها أفضل من حديقتك الباسقة . فاحفظ أحكامك من شهوات قلبك ، فلا تكن كالملك الذى جاءه ضيف عزيز ، فلم يشأ أن يذبح له واحدة من خرافه ، بل أرسل ليأخذ نعجة الفقير التى كانت تبيت فى حضن أولاده . أتق الله فيما لجارك ، ولا تطلق شهوات قلبك فى خزائنه .

لا تطلق لسانك فى سيرة جارك

قال لورنزو سكبولى (Lorenzo Scupoli) : " لا تتكلم عن جارك أو عن أى شئ يخصه إلا بأقل القليل ، فإذا كان لابد لك أن تتكلم ، فتحيّن الفرصة لتقول عنه كلاماً طيباً . "

فالجوار يسمح لك أن تعرف عن جيرانك ما لا يعرفه البعيدون . وقد تشيع عنهم محاسن لا يستحقونها ، أو مساوئ هم أبرياء منها ، فلا تكن سيفاً مسلطاً على سمعتهم حين يمتدحهم الناس ، ولا تمنع لسانك من تبرئتهم حين يتجنى عليهم الآخرون . ولا تجعل حياتهم الخاصة مضغة فى فمك ، ولا تكسب صداقات الفضوليين على حساب أسرار الجيران .

لا تستبح سيرة الجار ولا تغتبه ، فليس بيته وحده مبنياً من زجاج ، وليس لسانك وحده مطلق العنان ، وليست الأذن التى تسمع منك عاجزة عن أن تسمع عنك .

لا تضع أنفك فى شئون جارك

من واجبك نحو جارك أن تشير عليه - فيما تعرف - إن هو إستشارك أو استنصحك .

ومن واجبك أن تنبهه إذا تلمست خطراً فى طريقه ، ولكن هذا لا يخوّل لك أن تفرض عليه آراءك أو تبعيتك . فالمبدأ الأسمى للعلاقات أن لا يتدخل طرف فى شئون الآخر ، ولا يفرض عليه وصايته .

قال أحدهم : " عالمى ينتهى عند باب جارى " ، فلتجعل لجارك عالمه الذى يروق له .

- **محبتنا لله تتجسد فى حبنا لجيراننا :**

قال أمبروز : نحن نمنح عطايا حبنا وخدمتنا ، وكل ما تصنعه أيدينا هدية خالصة لك يا إلهنا متمثلة فى خدمة جيراننا .

إن حبنا لله هو الذى يجعلنا نحب جيراننا كأنفسنا ، وحبنا لإلهنا هو الذى يجعلنا

نسالم الجار ولو جار علينا ، ونفتح له أبوابنا ولو أوصد بابه فى وجوهنا .

إن حبنا لله هو الذى يجعلنا ننظر بإشفاق وحب للجار الشرير الذى يترصدنا أو يحسدنا أو يحقد علينا .

لكن القلب لا يستطيع أن ينبض بحب الآخرين ما لم يملأه روح الحب - روح الله - الذى يحب الناس أجمعين ، ويشفق على الشرير والظالم ، كما يشفق على الصالح والمظلوم .

صرخة إنسانية

يا خالقى ..
يا ينبوع الطهر :
طهر عينّى من التطلع إلى بيت جارى ،
وأحفظ قلبى من إشتهاء ماله ،
وصن لسانى من التقول عليه وإغتيابه ،
وأحفظ يدى من إغتصاب حقوقه .

وعندما يأكل الحقد والغيظ قلبى ،
وحين تعتمل الشهوة فى نفسى ،
هيئنى أن أدرك أن الحب لا يصطنع ،
فالقلب الذى لم يغتسل فى ينابيعك
لا يعرف الرضا ،
ولا ينبض بالحب .

فيا منبع الحب والعطف والحنان :
إملأ قلبى من ينابيع الرضا والحب ،
فلا ألوم جيرانى وأستقبح أعمالهم ،
بل أحبهم وأحترمهم ،
عربونا وتعبيراً عن حبى لك

يارب .

٣١ - مبادئ إنسانية ..

الناس بالناس والكل بالله !

منذ فترة ، وقع فى مدينتى حادث أليم ! فقد دهم القطار سيارة المدرسة الإبتدائية . وتحت عجلاته التى لا ترحم تمزقت أشلاء الأطفال الأبرياء ! .

وغرقت المدينة فى حزن ساحق ، وتمزقت قلوب القريبين والبعيدين على حد سواء ، فللألم رائحة يشتمها الجميع ، وللحزن وخزات توجع كل الأجساد . وبكاء طفل جريح يعتصر ألف قلب وقلب . ومن يستطيع أن يجيب على أسئلة العيون الباكية ، وكلمات العتاب التى لم تنطق بها شفاه طفل يحتضر ؟ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لكن الحادث الأليم ، كشف عن شئ فى نفوس الناس بالضاحية المنكوبة ، فقد إختلطت الدموع فى كل العيون ، فكل الأبناء أبناء للكل ، وكل الجروح تنزف من جسد واحد هو جسم المدينة كلها . وفى ليل الألم تأتلف القلوب .

ورأينا الشيخ المتهالك ، يندفع بقوة شاب فى ربيع العمر ، ليحمل الجرحى إلى سيارة الأسعاف ، ورأينا أطباء وممرضين وطلبة يتبرعون بدمائهم إلى أطفال مجهولين . ورأينا أناساً من بسطاء القوم يحملون غطاء فراشهم الوحيد لتدفئة جريح فى العراء .

ما أعظم الإنسان حين يتخلى عن ذاتيته ، ويبسط عطاءه فى أفق واسع مديد . فالناس بالناس ، هكذا قال الأولون .

الناس بالناس

لعل هذا الجانب من حياة البشر ، يحمل أكثر من سواه ، ما إصطلح على تسميته بالعلاقات الإنسانية .

فالإنسان يعلن عن إنسانيته من خلال التعاون الحر مع إخوته من بنى البشر . فإذا لم يستطع ذلك ، فإنه يكون قد تخلى عن أنقى ملامح إنسانيته ، وتخيّر لنفسه

موقع الوحوش ، التى تحكمها غرائز البقاء ، فلا تقيم إعتباراً لغير فائدتها .

ولا شك أن فى عالمنا الواسع ، يوجد أناس قد إرتقت مشاعرهم فصاروا فيضاً من العطاء ، وهناك آخرون لازالت قلوبهم مكبلة بقيود أنانيتهم ، بل كثيراً ما يعلوا منطق الغاب على أصوات الرحمة والحب .

عندما كنت طالباً أدرس الفن التشكيلى ،ُطلب إلينا أن نضع تصميماً يعبر عن فكرة " التعاون " .

وبالطبع فقد قفزت إلى الأذهان أفكار أولية ، كانت أشهرها : الحلقات الثلاث المتداخلة ، والأيدى المتشابكة فى حلقة كاملة ، ثم اليدان المتماسكتان .. إلخ .

ولكن كل واحد فى مجموعة الدارسين إجتهد ليأتى بشئ جديد يعبر عن تعاون البشر . وجاء الكثيرون بأمثلة رائعة تلخص قصصاً ومواقف ووجوه معبرة ، لكن أفضل ما وقعت عليه العيون كان رسماً مجرداً على شكل دائرة واحدة تحمل كل حروف الهجاء ، وتشكل كل أسماء البشر فى دائرة الكون الواحد .

فالتعاون بين الناس كما رآه صاحب التصميم ، ليس ربط دائرة بدائرة ، لكنه تواجد دائم مشترك تتلاشى فيه المصالح والأولويات الفردية ، ليحتفظ الكيان الإنسانى بصلابته وتماسكه .

حلقات التعاون الضيقة !

لكن هذه الحلقة التى تذوب فيها المصلحة الشخصية من أجل الجماعة ، كثيراً ما تضيق ، وتصبح قيداً يخنق الجماعة .

فالتعاون تخنقه الأنانية ، لذلك فأنك ترى أحياناً عشرة أشخاص يعيشون فى غرفة واحدة فتبدوا متسعة للجميع ، فالكل يتعاون ليجعل الحياة سهلة للآخرين ، بينما تضيق الدنيا بأثنين من الحاقدين ! .

والتعاون يضعفه التحزب ، فالعصبية العمياء تهدم الجماعات المتآلفة . ومن ورائها إنقسم العالم إلى أبيض وأسود وأصفر ... إلخ ، وإنقسمت كل طائفة إلى أحزاب وطوائف . وتحولت أيدى البناء إلى معاول هدم .

والتعاون يضعفه إمكانات البشر المحدودة ، فالإنسان مهما كان عطاؤه ، يقف

دائماً عند حد لا يستطيع أن يتجاوزه . فقد نتبرع بدمائنا لجريح ، لكننا لا نستطيع أن نمنحه الحياة ! فعند باب الموت تنفلت الحلقة ، ويقف الإنسان عاجزاً ! .

والكل بالله ..

فى كتاب " **كشف الخفاء** " ، ذكر " **العجلونى** " هذا المثل العربى الأصيل : **الناس بالناس والكل بالله** ، **أو الكل على الله** كما يقول المصريون .

والعبرة فى هذا المثل ، هى تأكيد :

أولاً : عجز الانسان ، حتى لو صدقت نواياه ، فالإنسان قد يتعاون مع البعض فى دائرة ضيقة ، لكنه لا يستطيع أن يبسط يد العون للجميع ، هذه مهمة إلهية يتولاها الله سبحانه وتعال .

ثانياً : إن الله هو يتكفل بحاجات الجميع ، فإننا حين نعطى الآخرين عطاءً مادياً، أومعنوياً ، فإننا لا ننتقص شيئاً مما لنا ، فالله هو الذى يمنح الكل ، وما نحن إلا كالساقية تأخذ من بحر واسع لتغدق فى قناة ضيقة . والبحر الواسع الذى لا ينضب ليس خزائننا ، لكنها خزائن الله ، التى يودعها بين أيدى البعض ليحملوها إلى قنوات الحاجة .

أنت وأنا على الله !

كثيراً ما تضيق صدورنا ، حين نرى الناس يعسكرون وراء جدار الأنانية المطلقة ، فلا ترق قلوبهم على أشباح بشرية يعتصرها الجوع والظمأ فى أرض الجفاف ! .

وكثيراً ما يعتصرنا الحزن ، ونحن نرى أحجام القادرين عن إسعاف المعوزين ! .

لكن هناك شيئاً يعتصر الإنسان ، وعادة ما يغطى مساحة واسعة فى خريطة عمره ! فبالرغم من عظمة الإنسان وتميزه ، فإنه يظل غارقاً فى بحر الحياة الطاغية ، يبحث عن هدف وجوده ، وغاية خلقه ، فلا يجد جواباً يبعث فيه اليقين .

وفى هذا البحر يصطدم بأجساد الغرقى الذين يصارعون الموج مثله ، فلا يجد الطريق إلى بر آمن ! .

ففى قضية الحياة والخلود ، لا ينفع تعاون الناس ، ولا نصائح البشر ، بل تتراجع هذه جميعها لتترك النفس الواحدة تواجه ربها ومنقذها .

فإذا كان الناس بالناس فى أمور الدنيا ، فإن الناس لا يملكون للناس شيئاً خلف أسوار الحياة .

وتتجلى عظمة الإنسان فى مقدرته على رفع يده طالباً النجدة ممن يملك العون ، حين تتكسر حلقات التعاون البشرى .

صرخة إنسانية

ياسيدى

إنى أمد يدى إليك ،
كغريق يلتمس النجاة ،
فإمسك يدى .

فلطالما تعلقت نفسى بأهداف واهية
فغاصت معى إلى أعماق الضياع .
وتعلقت يدى بسواعد البشر ،
لكن أيديهم الباردة
لم تلتقط أصابعى المرتعشة !
آذانهم لم تلتقط صرخات نفسى
الملتاعة !
وأنا غريق !
والبحر يا مولاى .. موحش عميق .
فلمن أمد يدى ؟

قوارب الإنقاذ ،
يقفز إليها الأقوياء ،
ويدفن تحتها المستضعفون ،
فالناس يا إلهى عندما يأتيهم

الطوفان ،
يضعون أولادهم تحت أرجلهم !
ولقد ثقلت فوقى أقدام الناس !

أطواق النجاة ،
تتنازعها عشرات الأيدى !
فلمن أمد يدى ؟

ربّان السفينة الغارقة ،
غارق هو فى أحزانه على سفينته
المحتضرة ،
وغاية ما يمنحنى من حنان :
نظرة أسف دامية !

وهناك على الشاطئ البعيد ،
أرى الحزن العاجز ،
يتوالد فى عيون الأصدقاء ،
فالعين بصيرة ،
وسواعد البشر قصيرة ،
ورجال الإنقاذ المحترفون ،
يبحثون فى مخازنهم عن الحبال !
وحبال الناس بالية !
فلمن أمد يدى ؟

إنى إليك أمد يدى ،
فإنتشلنى .
وحدك تنتشلنى .
أعلم أنك الأمل ،
حين يفشل مسعى البشر .

ولقد فشلت يد الإنسان ،
وتقطعت حبال الناس ،
وغاصت مراكب الإنقاذ فى العمق ،
وضاقت بالغارقين أطواق النجاة !
وحدك تنتشلنى .

أعلم أيضاً أن يدك ممدودة لى !
لكننى لا أرى يدك الآن .
فالغارق فى بحار التيه لا يبصر !
فأكشف عن عينى ،
إهدنى بنور هداك ،
أشرق بروحك على قلبى المسلوب ،
فلا أعود أتخبط
فى ظلام عبادتى الجوفاء ،
فى طوفان من خداع النفس .
وخداع الآخرين ..
فإذا لم تدركنى رحمتك يا سيدى ،
فلمن ..
لمن أمد يدى ؟

يا رب .

٣٢ - مبادئ إنسانية ..

كما نبدأ من البيت طريقنا إلى العالم الواسع ، كذلك نبدأ من أرضنا هذه الإستعداد للوطن الأخير !

وقف حارس المدينة ممسكاً بسلاحه ، شاخصاً إلى الأمام بعين ثاقبة ، يتابع كل ما يتحرك فى إتجاهها ، مستعداً لردع أى معتد يتربص بالمدينة ، أو يحاول الإقتراب إليها .

كان الحارس واقفاً فوق منصة عالية ، إلى جوار الباب الخارجى المشرف على السهل الواسع الممتد - عند سفح الجبل . وفجأة ، سمع الحارس صوت إنفجار مروع ، تبعه صوت صخب وهرج شديدين .

ولم تمض لحظات حتى تصاعدت إلى السماء سحابات قاتمة من الدخان الأسود ، وغطت الأتربة الكثيفة وجه الشمس ، وتناثرت فى الفضاء كتل ضخمة من الأحجار الملتهبة والحمم النارية ، لتحول المدينة كلها إلى قطعة من اللهب الحارق ! . فقد ثار بركان فيزوف لتغمر الحمم بيوت وشوارع مدينة بومبى ، وتدفن جسم المدينة كله تحت الركام ! .

وتدافع الناس هاربين من الجحيم ، وخرج الآلاف من باب المدينة مبتغين النجاة بأرواحهم من موت محقق .

أما حارس المدينة ، فظل واقفاً فى موقعه ، ثابتاً فى حراسته ، فقد عز عليه - وهو الجندى الأمين ، الذى ظل طوال حياته يحرص على سلامة المدينة - عز عليه أن يترك المدينة الغالية تواجه - وحدها - محنتها القاسية .

وحين أزيحت الركام عن مدينة بومبى بعد مئات السنين . وجد الهيكل العظمى للحارس منتصباً فى وقفته العسكرية الثابتة ، حاملاً سلاحه ، متأهباً للدفاع عن مدينته ! .

إنها صورة رائعة للمواطن الأمين ، الذى يربط مصيره بمصير بلاده ، ويظل وفياً لها إلى الرمق الأخير . إنه الإنتماء الراسخ الذى لا يتأثر بالظروف المحيطة ! .

الإنتماء للوطن

• **الإنتماء عامة :** هو العلاقة المنطقية التى تربط بين (الفرد) و (النوع) الذى هو أحد أفراده . وهذا الإنتماء يكون غريزياً بين أجناس المخلوقات المختلفة .

وإنتماء الإنسان لوطنه يدخل فى دائرة الانتماء النوعى ، لكنه يمتد ليشتمل على مقومات أخرى . فالإنسان العربى - مثلاً - حين ينتمى إلى وطنه ، فإنه لا يرتبط بمواطنيه بإعتبارهم أفراداً من بنى جنسه فحسب ، بل يرتبط كذلك بأرضه وترابه ، وبأحلام أمته وآمالها ، وبتراثها وثقافاتها وطابعها . وبالقيم الأصيلة والمتوارثة فى تاريخه البعيد .

والإنتماء يحفظ للفرد ثباته ، ويرسخ أقدامه ، ويهبه الطمأنينة والرضا عن الموقع الذى يقوم فيه . فإذا فقد الإحساس بالإنتماء ، إهتزت أقدامه ، وتقطعت جذوره . فما أقسى أن يحس الإنسان بالإغتراب فى موقع يعتبره بعض من نفسه ! .

الأوطان الثلاثة

ولكل واحد فى هذه الدنيا ثلاثة أوطان : الوطن الصغير ، والوطن الكبير ، والوطن الأخير :

• **فالوطن الصغير :** هو البيت ، إنه المهد الأول للمواطنة ، إنه المكان الأول الذى نعرف فيه معنى الدفء ونختبر العطاء ،ونلمس الحنان والأمان . إن البيت هو الإنتماء الأول فى حياتنا .

إنه وطننا الصغير ، فدائرة البيت محدودة ، وأفراده قليلون ، لكنه المكان الذى يؤهلنا أن نكون مواطنين فى وطن أوسع ، ننتمى له ، ونحمل طابعه فى أعماقنا .

• **والوطن الكبير :** هو بلادنا ، التى لها الولاء والحب . وفيها نمارس الإتصال بالمجتمع الأوسع ، نأخذ منه ونعطيه . فيه نعطى خبراتنا لمن حولنا ، ونتعلم من خبراتهم . نقدم خدماتنا لهم ، ونفيد من خدماتهم . ونظل نتحرك فى أوطاننا حتى نذوب فيها ، ونصبح بعضاً منها .

وبلادنا هى الأم التى إحتوتنا وإحتضنتنا وحملتنا وأمسكت بأيدينا ، وهى التى

تورثنا قوميتنا ، وكياننا فى عالم متسع متشعب .

وكما يؤهلنا البيت (الوطن الصغير) للتقدم إلى الوطن الواسع ، هكذا يؤهلنا الوطن الكبير إلى التقدم إلى الوطن الأخير ..

- **والوطن الأخير :** هو ذلك الوطن الأكبر والأرحب الذى يقضى فيه الإنسان حياته الأخرى ، بعد أن تغرب شمس حياته الأرضية .

هذا الوطن الأخير هو نهاية المطاف ، وكما يترك الإنسان وطنه الصغير (البيت) ليدخل إلى وطنه الكبير (المدينة أو الدولة) ، هكذا يترك وطنه الكبير ليدخل إلى وطنه الأخير (وراء حجاب الدنيا) .

وكما نبدأ من البيت طريقنا إلى العالم الواسع ، كذلك نبدأ من أرضنا هذه الإستعداد للوطن الأخير .

الوطن السمائى

إن أجسادنا الأرضية تتعامل الآن مع عالمنا الأرضى . فكلاهما من تراب ، فما ينبت فى الأرض هو الغذاء الصالح للأجساد الأرضية ، وما تحمله أجسادنا الترابية من إمكانات ، يتناسب مع ما تحتاجه الحياة الأرضية من مؤهلات البقاء .

لكن إرتباطنا بأجسادنا إرتباط مؤقت ينتهى بعد سنوات محدودة ، طالت أو قصرت . وعندئذ تذهب أرواحنا إلى عالم آخر هو وطننا الأخير .

هذا الوطن الأخير ليس من تراب الأرض ، إنه وطن سمائى ، وطن للخلود والبقاء ، وطن أبدى . لا حساب فيه للزمن ، ولا نهاية فيه للوجود . إنه وطن جديد فى كل شئ .

وقد تكون معرفتنا بهذا الو ـن الأخير قليلة ، ومع ذلك على يقين من بعض الحقائق ومنها :

- إن الإنسان فى موطنه الأخير سينعم أو يشقى إلى الأبد .
- سيفتح الله أبواب الراحة والنعيم الأبدى ، أمام الذين عرفوا طريق الخلاص ، وهم بعد فى الوطن الأرضى .

• حين تنتهى الحياة الدنيا ، ينتهى زمن التوبة ، وتغلق أبواب الرحمة فى وجه كل من أهمل طريق النجاة .

إن الوطن الأخير - لا يخضع إلا لقوانين السماء ، لذلك لا يستطيع أحد أن يحيا فيه إذا لم تقبله السماء .

والسماء موطن الله - جل جلاله - سماء الطهر والنقاء الكامل ، لذلك لا يستطيع الإنسان أن يدخلها إذا لم يتطهر من خطاياه ، ويغتسل قلبه وتمحى آثامه .

إننا بكل الولاء لأوطاننا الأرضية ، نعلم أننا غرباء فى هذه الأرض ، منتقلون إلى وطن آخر لا يزول ، فهل نعزم أن نُعِدّ أنفسنا للوطن الأخير .

لقد جعل الله لنا فى حياتنا الأرضية فرصة لكى نبحث عن طريق الخلاص حتى نجده . ونبتهل إلى الله لكى يكشف لنا طريق القبول عنده . ونظل على أبواب الله حتى يضئ بصائرنا ويحقق لنا نوال الخلاص الأبدى ، واليقين الراسخ بالحياة الأبدية السعيدة فى سماء الخلود .

صرخة إنسانية

يارب

أحمدك من أجل البيت ..
المهد - الذى أودعتنى فيه .
أحضان الحنان
التى مازلت أستدفئ فيها

أشكرك من أجل قريتى ..
الوديعه .. الهادئة .. النقية ،
نسمات الشروق المنعشة فى فجر
حياتى .

أشكرك من أجل المدينة الكبيرة ،
فقد بهرتنى أضواؤها فى صدر شبابى ،

أشكرك من أجل وطنى الكبير ،
تراب أجدادى ،
منبت جذور الآباء ،
ومرتع أولادى .

أشكرك من أجل السماء ،
وبابها المفتوح الآن .
إنها وطنى الأخير ،
نعيمى وجنتى ،
حين تنتهى أيام العمر .

فاجعلنى مستعداً ليوم الرحيل ،
وأدركنى برحمتك قبل فوات العمر
واكشف لى قصدك فى حياتى ،
وطريقك لخلاص نفسى ،
أنر أمامى الطريق ،
قبل فوات العمر .
وأعطنى يقيناً بالقبول لديك ،
قبل أن تغلق أبواب الرحمة الواسعة .

يارب .

مبادئ إنسانية

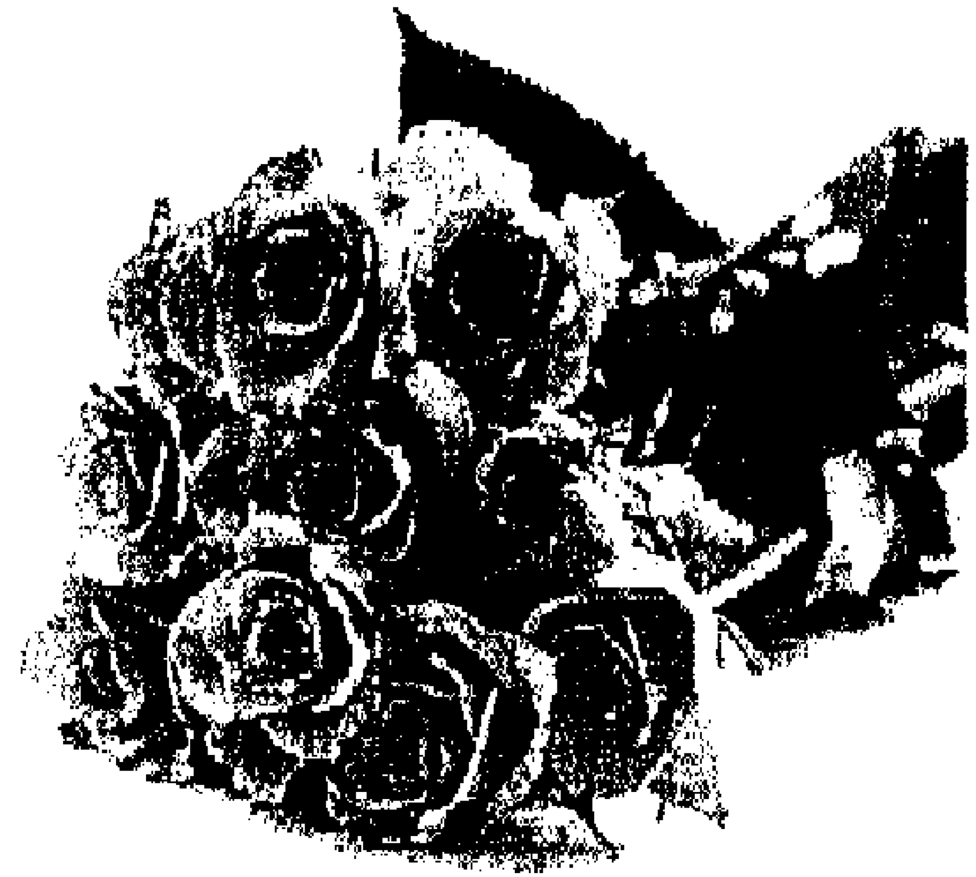
عن

الجمال ..

والنجاح ..

والسعادة ..

والسلام ..



والأمـــل ..

الجمال هو الطابع
الذى يضعه الله على وجوه عارفيه

قالت الفتاة الصغيرة لأمها : كم أنا معجبة بك يا أمى ، إنك جميلة حقاً ، ولابد أنك كنت أجمل نساء الدنيا فى يوم من الأيام ، بل إنك لازلت أجمل الجميلات ، لولا ..

وصمتت الفتاة ، لم تشأ أن تكمل حديثها . لكنها نظرت إلى أمها نظرة خاطفة ، ثم أسرعت محولة نظرها بعيداً وراء الأفق ، حتى لا تلتق عيناها بعينى أمها .

وترقرقت دمعة حائرة فى عين الفتاة وهى تقول لأمها : لولا هذه الحروق التى شوهت يديك اللتين كانتا بالقطع جميلتين فى يوم من الأيام .

وإضطربت الفتاة قليلاً حين لمحت شيئاً كالدموع فى عينى أمها ، على حين إبتسمت الأم إبتسامة مترفعة ، وقالت فى صوت هادئ ، يتصنع عدم المبالاة ، ويخفى وراءه كثيراً من الألم : إننى أحمد الله من أجل هذه الحروق يا صغيرتى .

غيرت الأم مجرى الحديث ، فسألت إبنتها : كيف كان يومك ؟ .

وهنا إنخرطت الصغيرة فى البكاء ، وقالت :

الآن قد صرت على يقين من أنك تخفين سراً ! وأنكِ تحاولين جاهدة تحويل فكرى عن قصة ذلك الحريق المشئوم ، الذى أودى بجمال يديك ، وأظن أنه ليس بمقدورى أن أتحمل المزيد من تجاهل هذا الشئ الذى يحيط به الغموض . فهل تسمحين برواية هذه الواقعة ؟ .

وإحتضنت الأم إبنتها قائلة : وأنتِ فى المهد ، نائمة كالملائكة ، إندفعت إلتقطك من فراشك . ولا أعلم كيف إستطعت أن أنجو بك من موت محقق بين ألسنة النار الغاشمة ! فكان هذا الثمن القليل : هاتان اليدان المشوهتان . وإننى كلما نظرت إليهما . فإننى أحمد الله . لأننى أرى فيهما وجهك الجميل ، نضرتك وصباك وربيع أيامك ومستقبلك .

وأمسكت الفتاة الصغيرة بكفى أمها ، وأخذت تقبل اليدين المشوهتين قائلة :

يا أمى أنتِ أجمل نساء الدنيا من أجل هاتين اليدين .

إن الجمال الإنسانى شئ أكبر بكثير من كل ما فى الكون من جمال مهما بدى رائعاً أخاذاً . فمع أن الجمال الشكلى يمكن إدراكه بالحواس ، إلا أن الحواس الطبيعية لا تتجاوز هذا الشكل الظاهرى ، ولا تحيط بغير القشرة الخارجية التى قد لا تعبر عن مضمون الأشياء أو محتواها . وعلى النقيض من ذلك ، فكثيراً ما كانت رؤيتنا للجمال خادعة ، وكثيراً ما كانت الثمار السامة جميلة المنظر ، بل أن بعض الحشرات اللادغة تتحلى بألوان خلابة تثير الفضول ، وتجذب الأبصار ! .

أما الجمال الحقيقى ، فهو ذلك الجمال الذى ينبع من داخل النفس ، ويشع من الوجه ، ولا يستطيع الجسد أن يحتويه ، إذ هو يفيض ويتألق خارج جدران النفس .

فالأجساد بكل جمالها تبيد وتفنى ، أما الجمال الحقيقى فهو هذا الجوهر الخالد ، العلامة التى يسم بها الله نفوس عارفيه .

الجمال الضار

ومع أن الجمال نعمة يطمع إليها الجميع ، إلا أن هناك جمالاً لا يعود على صاحبه بالخير ، بل ربما يسبب له أو لغيره شراً عظيماً ! .

فقد يدفع الجمال صاحبه - أو صاحبته - إلى نوع من العجب والخيلاء ، والترفع والكبرياء ! وهذا التيه والكبر يجلب الوبال على صاحبه ، إذ يبغضه الناس ، ويستثقلونه ، فى حين ينصرف هو إلى المباهاة بظاهره ، غافلاً عن بناء نفسه .

وقد يجلب الجمال الشر إلى صاحبه أو صاحبته ، إذ يجعله مطمعاً للمتربصين ! ولعلنا نرى مثالاً لذلك فى الطاؤوس ، الطائر الهندى الجميل ، الذى جلب عليه جماله المصائب ، أكثر من غيره من الطيور .فريشه الأخضر المذهب بنقوشه الرائعة ، جعله مطمع الصائدين . وفى الوقت الذى يختال فيه ناشراً ذيله الجميل فى ضوء الشمس ، يكون قد وضع حجاباً كبيراً على عينيه ، فلا يرى المتربصين به .

وقد ينصرف المرء للعناية بجمال منظره ، حتى يصير عبداً لهذا الجمال ! يعيش

للعناية به ، والحفاظ عليه ، ويحاول لفت الأنظار إليه . مهملاً بناء نفسه ، مكتفياً بما لجماله من قيمة عظيمة وتقدير بالغ فى عيون الناس . ثم يغرب هذا الجمال ، لينفض الناس ، وتختفى كلمات الإستحسان والإعجاب لتبقى مرارة النفس الجريحة .

وقد يكون الجمال ضاراً ، حين يسئ صاحبه إستغلاله فى خداع الآخرين والتغرير بهم وإجتذابهم إليه والتأثير فيهم ليعملوا ما يريد ! .

وهو هنا مثل " الزهور الصيادة " ، هذه الزهور الخادعة ، التى تنتهى أوراقها بجيوب صغيرة ، تفرز سائلاً سكرياً ، يجتذب إليها الحشرات ، التى لا تكاد تستمتع بهذا الطعام ، حتى تكون قد نامت بفعل هذا السائل الحلو والمخدر فى ذات الوقت ! وحينئذ تطبق عليها أوراق الزهرة ، وتمتص منها رحيق الحياة ! .

الجمال الناقص

فى متحف اللوفر الباريسى ، يوجد تمثال رائع لـ " **أفروديت** " ربة الجمال عند الإغريق . وهو تمثال جميل رقيق ، أراد صانعه " براكسيتيل ٤٠٠ - ٣٣٠ ق.م " أن يجسد فيه جمال الخلقة ، وروعة التكوين . ولكن هذا التمثال الذى عثر عليه أحد الرهبان فى جزيرة ميلوس كان - للأسف الشديد - محطم الذراعين ! .

وكثيراً ما يكون الجمال ناقصاً ، فقد يكون الإنسان جميلاً فى شكله ، وتكوينه ، لكنه عاجز ، ضعيف البنية ، مكدود الجسد رغم جماله الظاهر .

وقد يكون الإنسان جميلاً ، لكنه ثقيل الظل ، سمج الأخلاق ، فجماله ناقص .

وقد يكون الإنسان موفور الجمال ، لكنه خائر القوة ، محطم الإرادة ، هابط العزيمة ، قليل النخوة والمروءة ، فجماله ناقص ! .

وكم فى الحياة من " أفروديت " جميلة رائعة ، لكنها بلا يدين عاطلة بلا عمل .

الجمال الميت

إنه جمال التماثيل الرائعة ، فهى حقاً غاية فى العظمة والروعة والجمال ، لكنها ميتة بلا روح .

قيل أن " **مايكل أنجلو** " وقف أمام أحد تماثيله يتحدث إليه ، فقد كان التمثال آية فى الدقة والكمال . وصرخ أنجلو فى وجه التمثال قائلاً : تكلم ، ولكن التمثال لم ينطق ، فصفعه صارخاً : تكلم أيها التمثال ! وأصطدمت يد الفنان بالحجر البارد ! .

لقد نسى المثال العظيم أن الجمال الذى أبدعه فى كتلة الحجر العظيمة ، كان جمالاً بلا روح .

ومن الناس من لهم الجمال الظاهرى ، لكنهم كالصخر الصلد ، لا قلب لهم ، ولا روح . إن جمالهم أبكم بلا لسان ، جمالهم ميت بلا إحساس .

الجمال الحقيقى

ما أعظم الفارق بين أغلى الزهور الصناعية الدقيقة ، وأصغر زهرة حقيقية على قارعة الطريق .

فالزهرة الحقيقية التى تمتد أصولها فى طين الأرض ، لها من الحياة والنضرة ، ما يجعلها أوفر جمالاً من أغلى الورود الذهبية التى تزين صدور الملكات ! .

فجوهر الجمال ، أن يكون جمالاً حياً ، ممتلئاً برحيق الحياة ونبضها ، وتسرى فى كيانه تلك الحرارة التى تربط الإنسان الحى بخالقه ، فتملأ عروقه بدماء اليقين الراسخ ! هذا هو الجمال الحقيقى .

لقد قتلت الخطيئة الإنسان ، حين قطعت علاقته بالله ، فصار الإنسان كتلة باردة من حجر أصم ، لا دفء فيه ولا حياة . فأصبح جماله مشوهاً ، ناقصاً ، ميتاً بلا حياة .

ولكى يسترد الإنسان جماله الأول ، يحتاج إلى قلب جديد غير قلبه الحجرى الميت .

هذا التجديد ـ عملية إلهية يصنعها الله فى قلب الإنسان التائب ، حين يخلقه من جديد ، ويهبه روحاً جديداً ، هو روح الحياة .

وحين ينير الله بصيرة الإنسان ، فيكشف له طريق الحياة ، ويمتلئ قلبه بروح الحياة ، حينئذ يضع الله على وجهه خاتم النور والجمال الذى لا تمحوه الأيام .

يارب
أنت الكمال المطلق ،
كمالك بلا حدود
وجمالك بلا حدود
فأنت مبدع الكون ،
وصانع الجمال .

ولقد خلقت الإنسان جميلاً ،
حسناً ككل خلائقك .
لكن الخطيئة جرفتنا ،
فسقطنا فى طين الحمأة .
تلطخت وجوهنا بالعار ،
وتلوثت أيدينا بالباطل ،
وتحجرت قلوبنا ،
فماتت أرواحنا فينا .
فلم نعد نعرفك ،
ولم نعد نعرف الجمال .

صرنا نرى الجمال فى الزيف ،
أصبحنا كقروى ساذج ،
يشترى أسوأ البضائع
من سوق المدينة !
بأغلى الأثمان .
باع الشيطان لنا جمالاً زائفاً :
من شهوة العيون ،
ومن رغبة الأجساد ،
من بريق العظمة الكاذبة .

واستلب منا جمال الروح
ويقين الخلاص الأبدى

فاضبط يارب عيوننا
عن الجمال الخادع ،
وأكشف يارب بصائرنا ،
لنرى جمال الحياة عند أعتابك .
وخلصنا من قبح عبادتنا الجوفاء ،
جملنا بخلاصك .
إخلقنا ثانية بالروح

وأجعل روحك فينا روح حياة ،
وأجعل ختمك فوق جباهنا
تاج جمال .
تاج قبول فى ملكوتك ..

يارب .

٣٤ - مبادئ انسانية ..

لو لم تكن روحى قد صيغت على غرار الخالق ،
لقنعت بالجمال الخارجى الذى يبهر الأبصـــار " مايكل أنجلو "

العين التى تكشف حقيقتنا وتستر عيوبنا

- إن عين الله تفحص القلب ، ترى الأحاسيس والمشاعر ، وتقرأ النوايا قبل أن تولد ..
- الناس يرون الظاهر ، لكن عين الله ترى الخفى ..
- عين الناس ترى الأعمال التى نظهرها ، لكن الله يرى البواعث التى نخفيها ..
- عين البشر ترى عيوبنا لتفضحها ، لكن عين الله ترى خطايانا لتسترها ..

كانت الفتاة الصغيرة فى الحادية عشرة من عمرها ، حين سمعت مدرسها يقول عنها : " إنها مستديرة كالكرة " .

ولم يكن الرجل يريد أن يسخر منها ، بل لعله كان يبدى إعجابه بها ، لكنها أخذت الأمر على غير ما كان يريد .

فلما بلغت حجرتها بعد يوم دراسى طويل ، وقفت أمام المرآة تتأمل قوامها ، وجسمها الممتلئ ، ثم همست قائلة : " إنه على حق " .

ومنذ تلك اللحظة إمتنعت عن تناول الحلوى وإقتصدت فى تناول الطعام ، لكن الصورة لم تتغير سريعاً كما كانت تظن ! .

وأصبح الطعام بالنسبة لها شراً مخيفاً ، فهى لم تعد تشتهى بعد أفضل ما كانت تشتهيه ، فإن هى أكلته ، تعذر عليها هضمه ! .

ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها كانت قد أصيبت بحالة مرضية تسمى " فقدان الشهية العصبى " ، وهى حالة قد تؤدى - فى أطوارها المتأخرة - إلى الموت ! .

وهذه الحادثة ، توضح لنا مقدار تأثير آراء الآخرين علينا ، وكيف نحرص على أن يكون لنا صورة حسنة فى عيون الناس - أو بعض الناس - حتى فى أمورنا الخاصة ، التى لا شأن لهم بها ! .

عيون الآخرين

نحن نواجه دائماً محاكمة غير شرعية - حين تتجه إلينا عيون الآخرين - فتحكم علينا أحكاماً لا ينطق بها ، لكنها تسبب لنا الحيرة والإرتباك .

وهناك مثل لذلك : لو أن واحداً منا تلعثم فى قراءة نص مكتوب أمام مجموعة من الزملاء ، فإنه يصاب بإرتباك شديد ، لا يتناسب مع الخطأ الذى وقع . فما سبب هذا الإرتباك ؟ .

إن تحليل الأمر يؤكد أن **رؤيتنا لأنفسنا تتأثر كثيراً بوجهة نظر الآخرين فينا . فالناس يؤثرون على طريقة تقويمنا وقبولنا لأنفسنا . وحتى لو لم يكن لأفكار الآخرين عنا تأثير على سلوكنا ، فإنها تؤثر على مشاعرنا من جهة أنفسنا - إيجاباً أو سلباً .**

يقول الفيلسوف إريك هوفر : " **إننا نعرف أنفسنا معرفة سماعية - ونحن فى أغلب الأحيان نتشكل حسبما يقول الآخرون عنا !** " فإذا تحدثوا عنا حديثاً طيباً ، غمرنا الزهو ، وأحسنا الظن بأنفسنا ، وإذا قيل عنا كلاماً سيئاً تكوّن لدينا ميل لإستبطان هذا الحكم ، وأصبحنا نفكر ونشعر شعوراً سلبياً تجاه النفس ! .

إن كل تقدير للنفس - أو إزدراء بها - يتخلق فينا نتيجة تفاعلنا بالآخرين . ويعتمد فى أغلب الأحيان على أحكامهم . بل إن واحداً من أهم الحوافز التى تدفع الإنسان إلى إجادة عمل ما ، هو إسترضاء عيون الآخرين . وحين تقدم الجوائز للأبطال ، فإنهم فى تلك اللحظة لا تكون سعادتهم بسبب أعمالهم أو إنجازاتهم ، بل لأنهم يرون أنفسهم من خلال عيون الآخرين ، التى تنظر إليهم بإستحسان ، وتعتبرهم مستحقين للتقدير والمديح ! .

السعى لإرضاء الآخرين هل هو خير دائماً ؟

من الطبيعى أن المعاملة الحسنة للآخرين تقود إلى علاقات جيدة ، ومشاعر طيبة . لكن حين تتحول حياتنا وأعمالنا وأقوالنا إلى أدوات نسخرها لإستجداء تقدير الناس وإمتداحهم لنا ، فإننا نهوى فى مزالق كثيرة منها :

١- الصراع بين ظاهرنا وباطننا ..

وهذا الصراع ينتج عن رغبتنا فى إرضاء الناس ، وحاجتنا فى نفس الوقت إلى تحقيق أنفسنا .

وهذا التخبط يحرمنا من الإتزان فى سلوكنا ، لأنه من الصعب أن نتجاهل رغباتنا الشخصية دائماً ، كما يصعب أيضاً أن نسلك دائماً وفق إستحسانات الآخرين ، خاصة إذا لم نكن نملك هذه الفضائل التى يظنون أننا نملكها .

٢- الحرص على إرضاء الناس قد يقودنا إلى الرياء والكذب ..

وقد يكون الكذب مباشراً ، فنقول ما لم نفعل ، أو يكون الكذب مقنعاً ، كأن ندعى الصوم ، أو التصدق ، أو التعبد ، أو التدين ، أو التسامح .. ألخ . حتى نبدو صالحين فى عيون الناس . وجميعها لا تقود إلى سلام النفس المؤسس على الصدق وشفافية الروح .

٣- قد تدفعنا الرغبة فى إرضاء الناس إلى النفاق ..

وهو الموقف الذى نسعى فيه إلى إرضاء الآخرين بإمتداحهم ، وتملقهم حين لا تكون أعمالهم أو أقوالهم أو حياتهم تستحق المديح والثناء .

فنكون بذلك عائق دون صلاح أمرهم ، فضلاً عن هوان النفس التى تنطق بما لا تؤمن به ! .

هل يعتبر رأى الآخرين فينا أساس سليم لتقويم النفس ؟

إن نصائح الآخرين لنا هامة جداً إذا نحن درسناها بإخلاص وجدية ، فقد يرى الآخرون فينا أشياء كثيرة غالباً ما كانت خافية عن عيوننا .

غير أن المشكلة بالنسبة إلى تقويم الذات على أساس ما نتلقاه من الآخرين ، هى أنه من الممكن أن تكون هذه الأحكام تحريف كامل للحقيقة للأسباب التالية :

١ـ ليس من الضرورى أن تكون أحكام الناس صحيحة دائماً ! .

فالبشر يخطئون ، وينخدعون ، وتختلط عليهم الأشياء ، فيتهمون الصامت بالكبرياء ، والجاد بالقسوة ، والمرح بالإستهتار ، والطيب بالبلاهة ... الخ .

٢ـ قد نخطئ نحن فى تفسير ما يقوله الناس عنا ! .

فكثيراً ما تتدخل عواطفنا ومشاعرنا ، لتحول دون إدراكنا لمعنى الكلام الذى يقوله الناس عنا ، فنبالغ فى تقدير المديح ، أو نغالى فى تفسير اللوم ، فلا يتوفر لنا المضمون الحقيقى للنقد .

٣ـ المبادئ التى يقيمنا الآخرون على أساسها قد لا تكون مبادئ سليمة ! .

وهذا أمر طبيعى فى عالم تتغير فيه القيم - وترتفع فيه أصوات الرزيلة الصاخبة فوق صوت الفضيلة الهادئ .

وتتهادن فيه قوى الشر مع العبادة الشكلية وتختلط فيه القيم الروحية بالأهواء الشخصية .

لذلك فإننا - مع كل الإخلاص والصدق - قد لا نجد فى أحكام الناس أساساً سليماً لتقويم النفس .

كيف نكوّن صورة صحيحة عن أنفسنا ؟

إن الصورة الصحيحة ، هى الصورة التى تبين حقيقتنا دون تشويه أو تحسين ، وبغير ظلال أو أضواء . **وهذه الصورة الحقيقية هى الصورة التى تراها عين الله التى تسبر أغوار النفس ، وتفحص القلب ، وتعرف الأحاسيس والمشاعر ، وتقرأ النوايا قبل أن تولد .**

وعين الله تختلف عن عيون الناس ، فالناس يرون الظاهر ، ولكن الله يرى الخفى . عيون الناس ترى صورتنا المزخرفة ، لكن عين الله ترى حقيقتنا العارية . عين الناس ترى الأعمال التى نظهرها ، لكن عين الله ترى البواعث التى نخفيها .

فإذا أردنا أن نعرف حقيقتنا دون خداع ، فعلينا أن نسكب أنفسنا فى حضرة الله ، نتضرع إليه أن يكشف لنا الحقيقة ، ويخلصنا من خداع النفس وإدعائها ، وينقذنا من خداع الآخرين لنا ، فنعرف أننا برغم ما نقدمه من عبارات شكلية ، فإننا بشر لوثتهم الخطايا ، ودنستهم الأفكار الشريرة ، فإنطوت قلوبهم على الفساد الذى لا يصلحه التدين أو التعبد أو أعمال البر ، بل يحتاج إلى معجزة إلهية كمعجزة الخلق ، حين يخلقنا الله من جديد على أساس جديد ، بإختبارات فردية ، يتعامل فيها الخالق مع نفوسنا الخاضعة المتضعة ، فيصنع منها عروشاً لروحه القدوس ، يسكن فيها ، ويكسوها بطهره وبره ورحمته ، لتردد صدى قداسته وسموه فوق أباطيل العالم المصنوعة .

صرخة إنسانية

يا ربنا

أحمدك من القلب ،
لأن عينك ترى حقيقتى ،
وروحك يكشف لى زيف
عبادتى ،

أحمدك
لأن عينك ترى حقيقتى ،
فلا تفضحنى ،
بل تسترنى .
فأخرجنى يارب من دائرة
الجذب التى تشدنى إلى جماهير
الغافلين ،

واكشف لى طريق الحياة
الجديدة ،
حتى أعيش فى رضاك

يا صاحب العين التى ترى
يا صاحب العين التى تستر
يا صاحب العين التى تهدى من
خدعهم الآخرون .

يارب

٣٥ - مبادئ إنسانية ..

إن جمالاً بلا فضيلة ، كزهرة بلا رائحة ، لا تصنع ربيعاً ، ولا تعط عطراً !

تجمع الناس حول السيدة العجوز الراقدة على الرصيف ، إنتظاراً لوصول سيارة الإسعاف . وعند قدميها جلس شاب رقيق ، يلملم أطراف ثوبها الممزق ، وقد بدت على وجهه علامات الحزن العميق ! .

وإقترب رجل الشرطة من الشاب الرقيق فهمس فى أذنه متسائلاً : " أهى أمك ؟ " . وأجاب الشاب هامساً : " هى شقيقتى الصغرى ! " .

وحملت سيارة الإسعاف الفتاة المحطمة ، التى بدت رغم مسحة الجمال ، وكأنها سيدة عجوز حقاً ! .

وبينما سيارة الإسعاف تبتعد ، نظر جمهور الواقفين - كل واحد إلى الآخر ، ولم ينطق بشئ . غير أن واحداً منهم - ويبدو أنه غريب عن الحى - سأل جاره قائلاً : " هل تعرفها ؟ " . أجاب الآخر : " جميعنا نعرفها ، إنها أجمل فتيات الحى ! " .

وتدارك قائلاً : " أقصد انها كانت أجمل فتيات الحى . " ! وسأل الغريب فى فضول قائلاً : " أهو المرض الخبيث الذى حطمها ، وجعلها بهذا الهوان ؟ " .

ولم يشأ الرجل - لا هو ولا غيره - أن يجيب ، بل مضى كل واحد فى طريقه صامتاً . كان الألم يعتصر القلوب ، ويخنق الكلمات فى الحناجر . فالحطام الذى حملته سيارة الإسعاف هو أشلاء فاتنة الحى التى قتلها الإدمان ! .

كان جمالها ساحراً ، لكنه إفتقد الفضيلة ، فإنطوى سريعاً فى دوامة الإنحراف الشائن ، فصار جمالها أول ضحاياها . والزهور الذابلة ، تثير الإشفاق ، لكن أحداً لا يتزين بها ! .

وكم من رجال لا يأخذ من الزهور سوى مظهرها .. وعمرها القصير ! .

إن جمالاً بلا فضيلة ، كزهرة بلا رائحة ، لا تصنع ربيعاً ، ولا تعط عطراً ! .

جمال من الخارج ..

من الطبيعى أن توضع الأشياء الجميلة فى أغلفة جميلة ، فليس من المعقول أن نغلف الأشياء الجميلة بأغلفة رديئة تسئ إلى واقعها الجيد .

ومع ذلك فإن الغلاف الجميل لا يعنى دائماً أن تكون المحتويات الداخلية جيدة .

فكثيراً ما يكون الجمال خارجياً فقط ، وكثير من الجمال مجرد قشرة على السطح ليس لها أى عمق ! . وكثيراً ما يكون الجمال خادعاً تختفى خلفه ألوان القبح ! .

ومن الجمال أيضاً ما قتل ، فكثير من العناكب والحشرات السامة تحمل ألواناً جذابة وجمالاً فاتناً ، وبعض الثعابين القاتلة لها جلود رائعة النقوش ، والأسماك الوضاءة تحدث صدمات كهربائية أليمة للكائنات الحية التى تلمسها . **إنها جميلة ، لكنها قاتلة ! .**

قيل أن حاكماً أراد أن يختبر فراسة إبنه الصغير ، فأراه إنائين ، أحدهما من الفخار والآخر من الذهب ، وجعله يختار أحدهما . فأقبل على الإناء الذهبى الفارغ ، وترك الإناء الفخارى الملئ بالجواهر . **إن المظهر يخدع البسطاء ! .**

وفى حياتنا الإنسانية ، كثيراً ما نهتم بجمال مظهرنا ، ونضع على وجوهنا كل الأقنعة التى تجعلنا نطمئن على صورتنا فى عيون الناس . أما واقعنا الخفى ، فلا يشكل لنا قلقاً طالما هو مستور عن عيون البشر ! .

وفساد فى الداخل .. !

تعلم الناس الغش - وأصبح الباعة أساتذة فى إخفاء العيوب ، وإبراز المحاسن .

والأصل فى البيع هو أن يعرف البائع كيف يرتب الأشياء بصورة تبرز جمالها وتبيين محاسنها - هذا أمر مشروع ، لكن الباعة أضافوا شيئاً آخر غير مشروع هو التحايل لإخفاء العيوب . فأصبحت صالات العرض ، وإعلانات الدعاية ، تمثل جمالاً فى الظاهر ، وفساداً فى الداخل .

وإمتد هذا المنطق ، فشمل كل شئ فى حياة الناس . فكما يرتب الفاكهى حبات التفاح مثلاً واضعاً الأجزاء المعطوبة للداخل ، هكذا يفعل كافة البشر ، يظهرون

محاسنهم للغرباء ، أما فى البيت فترى أجزاءهم المعطوبة .

لقد صار الناس كقبور العظماء ، خارجها يعلوه الرخام الفاخر ، والزهور المتجددة ، وداخلها رائحة الموت والفساد .

الجمال الحقيقى ..

الجمال الحقيقى هو جمال الجوهر ، فالجمال الظاهرى هو جمال السطح . والسطح لا يمثل سوى قشرة رقيقة لا وزن لها .

إن جبال الثلج التى نراها فوق المحيطات ، لا تمثل سوى جزءاً ضئيلاً من جسم الجبل الحقيقى المختفى تحت سطح الماء . وما نراه هو الجزء الناصع الجميل الذى يمكن أن نتفاداه ، أما الجزء الخفى فهو الخطر الأعظم .

وفى حياتنا البشرية ، يأتى نقاء القلب كالجمال الحقيقى . أما الوجه فهو مجرد مرآة للقلب .

فالجمال يبدأ من الداخل ، وينعكس على الظاهر . وليس العكس صحيحاً ، فجمال الوجه لا يصنع صلاح القلب .

الجمال طريق له إتجاه واحد يبدأ من الداخل إلى الخارج .

الجمال الحى ..

لو أن فناناً أراد أن يرسم زهرة - أى زهرة فى الحديقة ، فإنه قد يضع لها من الألوان ما يجعلها تبدو أكثر روعة من الزهرة الطبيعية . وهو بعد ذلك ينال إعجاب المشاهدين ، ويبيع زهرته الملونة بثمن يزيد مئات المرات على ثمن الزهرة الحقيقية .

وبالرغم من ذلك ، فإن زهور الحديقة الرخيصة تظل وحدها الزهور الحقيقية ، ذلك لأنها تتمتع ببريق خاص هو بريق الحياة .

إن سر الجمال فى الزهرة الحقيقية ، يتمثل فى رحيق الحياة الذى يسرى فى خلاياها الرقيقة ، صاعداً إليها من قلب الأرض الأم .

فالجمال هو جمال الحياة المتجددة ، والتى تتعامل مع نسمات الفجر ، وندى الصباح .

الزهور الطبيعية وحدها هى التى تعانق شعاع الشمس فى الشروق ، وتغمض للغروب عينيها ! .

أما زهرة الصالونات والمعارض الفنية ، فهى ميتة المشاعر ، عديمة الإحساس !.

والجمال الإنسانى كجمال الزهور ، إما أن يكون جمالاً روحياً عميقاً حاراً ممتلئاً بالروح والحياة كالزهور الحية ، أو أن يكون جمالاً جسدياً كجمال الصورة - بارداً ميتاً ، يختنق فوق جدار الزمن - داخل إطار ذهبى ! .

الجمال الذى لا يذبل أبداً !

منذ سقط الإنسان فى مزالق الخطيئة والشهوة ، صار عبداً لميوله ورغباته وشهواته التى لا تشبع ، **ولم يعد الإنسان قادراً على التواصل الدائم الحى مع الله - الذى هو مصدر الحياة والجمال - فماتت الحياة فى صدور الناس ، وذبل جمال بنى البشر ،** لأن رحيق الحياة الإلهية لم يعد يتدفق فى أيامهم ، ولم تعد قلوبهم نابضة بنبضات السماء ! صرنا أغصاناً إقتلعت جذورها فذبلت أوراقها .

والأمر هنا يحتاج إلى وقفة جادة - لأنها قضية حياة أو موت . فالغصن الذابل - إما أن يرسل جذوره فى التربة الغنية ليسترد ماء الحياة ، أو يبقى فى موضعه ليجف ويحرق ! .

وللأسف ، فإن الكثيرين يبقون فوق أغصانهم المنزوعة حتى تذبل حياتهم وتجف . وعندما تجف حياتهم من الداخل يضعون المساحيق والأقنعة على وجوههم ليبدوا أصحاء . إنهم فى الواقع منفصلون عن الله ، حياتهم خالية من القوة ، قلوبهم خالية من التقوى ، لكنهم يتجملون بالعبادات وظواهر التدين ، وصنوف الرياء ، والإدعاء ، وخداع النفس . وجميعها ألوان من المساحيق والجمال الزائف.

إن ما نحتاجه هو " قوة حياة جديدة " تتفجر فى داخلنا - نبعا يفجر فى قلوبنا حياة أبدية - روحاً يملأ الكيان بالنضرة والحياة الدافقة .

هذا هو الجمال الحقيقى الذى لا يذبل أبداً .

صرخة إنسانية

يارب
تعبت من الأصباغ ،
تعبت من حمل الأقنعة ،
لم أعد قادراً على ممارسة الخداع .
أرهقنى وجهى المرسوم .
وكلماتى المصنوعة .

يحسبنى الناس تقياً ،
فهم يروننى أصلى !
ويسمعوننى أردد كلمات
الصالحين !
لكنى أعلم أن جمالى قشرة ،
غلالة رقيقة ،
تغطى وجهاً قبيحاً غارقاً فى
الذنوب !
فصلاحى المزعوم ،
ليس سوى قدرتى إدعاء الصلاح .
وعبادتى الظاهرة ،
ليست سوى قدرتى على تقليد
التقوى .
ولقد تعبت من الإدعاء .
وسئمت من التقليد ،
ومللت من الأغطية والألوان !

أريد جمالاً حقيقياً ،
نبعاً من روحك الفياض :
يملأ قلبى ،

يغمر نفسى ،
يطلق إرادتى ،
يجرى فى كيانى ،
فيمنحنى حياة خضراء ،
يلبسنى وجهاً نضراً ،
يعطينى عمراً جديداً -
ميلاداً ثانياً !
فليس يمنح الحياة سواك .

فأغسل أصباغ وجهى -
حتى أكتشف حقيقتى .
وأنزع أقنعتى ،
حتى يظهر زيف عبادتى الجوفاء .
وأكشف لى عن نبعك الصافى ،
حتى أرتوى -
حتى أغتسل -

يارب .

٣٦ - مبادئ إنسانية ..

إن السماء تعزف لنا سيمفونية راقية للحب والجمال .
أما الأصوات الخشنة فتنبعث من داخلنا !

دخل اللص إلى البيت الكبير ، وقد إمتلأ قلبه بالحقد على أصحاب القصر . تذكر طفولته المعذبة ، وإسترجعت ذاكرته أيام الصبا التى عمل فيها خادماً فى مزرعة أحد الأسياد القساة . تذكر قسوة الأغنياء ، فإمتلأ حلقه بمرارة الحقد ، وإشتعلت رغبة الإنتقام .

قال اللص : جاءت الفرصة الآن كى أجعل سكان القصور يحسون ببعض ما نحن فيه من حرمان ! .

حمل اللص كل ما إستطاع ، لكن نفسه ظلت حاقدة جائعة .

ملأ ضجيج الحقد أذنيه ، وإرتفعت دماء النقمة إلى هامة رأسه ، فأوحت إليه بإشعال النار فى البيت الكبير !

وبينما هو يطلق الغاز ويستعد لفعلته الشنعاء ، سمع بكاء طفل صغير فى حجرة مجاورة ! .

وفى لحظة من الزمن ، أحس الرجل بحنين جارف ، وإمتلأ قلبه بأحاسيس رقيقة لم يعرفها من قبل ! .

كان صوت الطفل البرئ أقوى من صوت النقمة الجامحة فى داخله .

عرف اللص أن السماء لا تزال تعزف ألحانها الأبدية لتوقظ الغافلين ، وأن بكاء طفل صغير يمكن أن يكون لحناً وترنيماً يطهر القلب .

لقد أودع الله فى الخليقة سيمفونية رائعة للحب والجمال ، لكننا نحن البشر أغلقنا آذاننا عن ألحان السماء ! .

ومن داخلنا خرجت أصوات خشنة ، ملأت حياتنا بالضجيج والصخب ، وأفسدت أذواقنا ومسامعنا .

فى السيرة الذاتية للفيلسوف العالمى " **برتراند رسل** " (٩٧ سنة) ، يسترجع الكاتب الماضى الطويل ، فيرى أن الحياة قليلة المعنى ! ويستطلع المستقبل فيرى المستقبل قليل الأمان ، مظللاً بشبح الدمار والفناء .

وفى روح الاكتئاب والوحشة القاتلة يقول الفيلسوف : " **ماذا هناك بعد كل هذا ، يجعل الحياة محتملة ؟ ! فكأننا نقف على شاطئ المحيط ، نصرخ من خوف الليل والفراغ ، فلا نجد إستجابة لصراخنا إلا صرخة غريق تأتى من قلب الظلام ثم تنتهى إلى الصمت الرهيب ! إن العالم يبدو لى مخيفاً مرعباً ، وتعاسة البشر هائلة جداً ، وأنى أتعجب كيف سيتحمل الناس فى المستقبل مآسيهم ؟ ! " .**

ويسترسل الفيلسوف العظيم رؤيته المظلمة لمصير البشر ، ويعزف لحن القلق على أوتار مضطربة . فتخرج كلماته مليئة بالخيبة ، والنحيب ، والتوتر ، والخوف ! .

إنها صوت النفس الضائعة التى تحيا بدون الله ! .

إن لحن الأوتار القلقة فى حياتنا يطغى على " لحن الأمان " الذى يمنحه الله لكل من يلجأ إلى حماه .

إن الله يحدثنا فى كل صباح عن المجد القادم ، والحياة الخالدة ، والسعادة الأبدية الممتدة ، لكننا لا نسمع ألحان السماء ، وننطوى فى كمد الضياع ، ونحن نردد ألحان السقوط والعجز ، ونغنيها على أوتار مضطربة .

صوت المرارة

وهناك ألحان خشنة وناشزة ، تنبعث كثيراً من قلوبنا الحاسدة ، ونفوسنا الحاقدة ، فتملأ حياتنا بالمرارة والألم ! .

فبينما تسبّح الأرض والسماء بحمد الله ، وتمتلئ الأجواء كل صباح بترانيم الشكر ، تفاجئنا أصوات قبيحة خشنة ، تخرج إلينا من جوف الحقد - تحمل ألسنة النقمة والقسوة والتذمر ! وبينما تعزف السيمفونية الإلهية الخالدة ألحان الرضا

والحب ، تتطاول عليها ألحان المرارة والبغض ، فتحرمنا من أنغام السلام الصافية التى أرادها الله لنا .

فى روما القديمة ، ذات الجمال والعظمة ، عاش رجل حسود يدعى " ميثيوس " ، لم يستطع أن يرى جمال الحياة من حوله ، ولم يهنأ بما هو فيه من خير بسبب حسده للآخرين . وقد لاقاه أحد الحكماء يوماً فرآه حزيناً ، فقال : إما أن يكون ميثيوس قد أصابه شر عظيم ، أو أن يكون قد سمع أن أحد الناس أصابه خير عظيم ! .

إن صوت الحقد يغلق آذان الحاقدين فلا يستمعون إلى سيمفونية السماء التى تتحدث بوضوح عن محبة الله لكل الناس .

صوت الماديات

إرتفع صوت المادة ، حتى طغى على حياة البشر ، وأسرعت أقدام الناس وراء الأغراض المادية ، حتى جفت فى داخلهم ينابيع الحنان الروحى ، وفقدوا الحس الروحى .

أرسل أحد المصلحين إلى عمدة المدينة التجارية الكبيرة يطلب منه أن يمده بأسماء الأفراد الذين يحتاجون إلى مساعدة روحية ، وبعد أيام قليلة تسلم الرجل طرداً كبيراً ، وجد به دليل التليفونات الخاص بجميع سكان المدينة ! **لقد كان الجميع فى حاجة إلى شفاء الروح ، والمصالحة مع النفس ! .**

والحقيقة أن نظرة واحدة إلى عالم اليوم بما فيه من سراع وقتال ، وضجيج وتعصب وإرهاب ، توضح كيف إرتفع صوت الماديات فوق صوت الحب والحنان والتراحم والشفقة والعطاء والتضحية من أجل الآخرين .

أضبط أوتارك

إننا نحتاج أن نصلح الأوتار التالفة فى حياتنا ، تلك الأوتار التى تعزف لنا ألحاناً خشنة تفسد جمال الكون ، وتحرمنا من تناسق النغم الهادئ الذى وضعه الله من أجل سلام البشر .

نحتاج أن نضبط أوتارنا على قيثارات السماء المليئة بالطهر والقداسة والحب .

وبالرغم من الضجيج والصخب الذى يملأ حياتنا ، فإن الله قد منحنا القدرة - إذا شئنا - أن نعود إلى رحاب النغم السماوى ، نغسل فيه آذاننا من خشونة العالم الساقط .

والمعجزة الإلهية الرائعة التى يصنعها الله للإنسان العائد إليه ، المتطلع إلى صوته تستحق التأمل . فقد جعل الله الإنسان قادراً - رغم ضعفه - أن يرى جمال الله ! ويستمتع بصوته ، إذا ما أظهر رغبة صادقة فى طلب الله .

إن أصغر قطرات الندى ، على ورقة صغيرة من أوراق الشجر ، تستطيع أن تعكس شروق الشمس ، وزرقة السماء . وكذلك فإن الحياة القاتمة ، حين تتوجه إلى الله ، فإنها تستطيع أن تعكس أشعة محبة الله ، وتستلهم صفاء الحياة السماوية الطاهرة .

أغلق أذنيك عن صخب الأرض ، عن الأبواق العالية ، والحناجر الصارخة .

إمنح أذنيك لحظة من الهدوء ، إستجب فيها إلى همسات الله .

إجعل سيمفونية الحب والرحمة والسلام تنعش روحك ، وتفتح قلبك ، وتقودك إلى حياة جديدة مع ألحان الخلود .

صرخة إنسانية

يارب

العالم من حولى يصرخ !

الضجيج يحطم رأسى !

أكذب الناس هم الأعلى صوتاً ،

والخادعون أبواقهم صارخة ،

ولقد ضاق صدرى بأصوات

الخادعين !

فأرح نفسى ،

خذنى إلى موضع هادئ ،

إغسل أذنى بألحان الحب الإلهى ،

إغسل ضميرى بالنغم الصادق ،
إشف نفسى من إلحاح الباطل ،
أصلح ذوقى الفاسد ،
إمنحنى شفافية الإدراك الروحى ،
أصلح أوتارى المترهلة ،
أعطنى أن أستجيب لصوتك .
إمنحنى أذناً صاغية ،
وقلباً واعياً ،
ورسالة واضحة ،
ولحناً شافياً ،
وأغنية جديدة لحياتى -
أرددها بين يديك :
اليوم -
وفى عالم الخلود !

يارب .

٣٧ - مبادئ إنسانية ..

ربما ينجح الإنسان فى أن يجمل مظهره الخارجى ، لكن الداخل يغيره الله

الجمال الداخلى ليس هو جمال أخلاقياتنا البشرية ، بل هو جمال الله فينا !

من القصص البسيطة الرائعة التى تأثرت بها منذ الطفولة ، قصة عنوانها " يدا الأم " ، وتحكى القصة عن طفلة صغيرة جميلة نشأت فى أحضان أم حنون ، فمنحتها كل ما تمنحه الأمهات من حب ورعاية ودفء ، فإنعكس هذا الحب الدافق على حياة الطفلة الصغيرة ، فتعلقت بأمها ، حتى باتت ملامح الأم مطبوعة فى ذهن الصغيرة ، تتأمل فى تفاصيلها فتغمرها السعادة والنشوة ، وتمعن النظر فى عينيها فتهدأ روحها وتستريح .

غير أن الطفلة حين كبرت قليلاً ، لاحظت أن يدى الأم خشنتان كثيراً ، ويابستان كثيراً ، وقالت الصغيرة وهى تداعب أمها : " أنت جميلة جداً ، فوجهك جميل وشعرك جميل وعيناك جميلتان وقدماك أيضاً . ونظرت إلى يدى أمها ، ثم حولت وجهها بعيداً ، ولم تستطع أن تكمل عباراتها الحانية ! .

وأدركت الأم ما يعتمل فى صدر صغيرتها من مشاعر الحب والقلق ، وقرأت ما يدور فى عقلها من تساؤلات حانية ، فضمتها إلى صدرها ، ومنحتها من حنانها ما تهدئ به مشاعرها المرهفة .

ومرت فترة من الزمن ، وتحينت الأم الفرصة المناسبة ، وأرادت أن تخفف عن صغيرتها عبء الحيرة التى تقلقها بسبب اليدين المشوهتين ، فرسمت الأم على وجهها إبتسامة مطمئنة ، وسألت صغيرتها : " ما رأيك فى يدى ، أليستا جميلتين ؟ ودمعت عينا الطفلة ، وقالت : " إنهما جميلتان ، لكنهما أقل جمال من ملامحك الأخرى ! " .

ضحكت الأم وهى تحتضن الصغيرة ، وقالت لها : " سأحكى لك قصة هاتين اليدين ، لقد كانت فى يوم من الأيام جميلتين وناعمتين ، غير أن شيئاً ما حدث منذ سنوات كثيرة أدى إلى تشوية جمالهما . فلقد شب حريق فى منزلنا ، وكنت أنت فى ذلك الوقت صغيرة جداً ، وإمتد الحريق إلى غرفتك ، فإندفعت إلى سريرك ، وإختطفتك من قلب اللهيب دون أن يمسك سوء ، غير أن يدى تشوهتا كما ترين . وكان لابد لى أن أفعل ذلك فلو أننى لم أفعل ، لشوهت النار وجهك الجميل ! " ونظرت الطفلة إلى أمها فى قلق شديد وسألتها : " وهل أنت آسفة الآن لما حدث لك ؟ أجابت الأم : " كلا - إطلاقاً ، بل أنا سعيدة جداً لأنك تحتفظين بهذا الوجه الجميل ، ولا يهم بعد ذلك ما أصاب يدى من تشوة وقبح ! " .

نظرت الطفلة إلى أمها فى حب شديد ، وأخذت كفيها بين يديها الصغيرتين ، وقالت والدموع فى عينيها : أنت جميلة جداً ، كلك جميلة ، لكن يديك أكثر جمالاً ! .

ما هو الجمال ؟

الجمال هو المرادف للحسن ، وهو عند الأدباء والشعراء والفنانين - كل ما يستحسنه البصر ، مثل " صباحة الوجه " و " وضاءة البشرة " و " ملاحة الفم " و " حلاوة العينين " و " رشاقة البدن " و " إنسجام الحركة " .. إلى غير ذلك من ملامح الحسن .

أما الفلاسفة فيرون أن مفهوم الجمال أوسع كثيراً من مجرد الحسن الظاهرى ، فالجمال هو تلك الصفة التى تُلحظ فى الأشياء فتبعث فى النفس السرور والرضى . وهو ليس قاصراً على الأجسام ، بل هناك أيضاً جمال الفكر والعقل والطباع . وهو واحد من ثلاثة معايير للقيم - جنباً إلى جنب مع " الخير" و " الحق " .

وفى العصر الحديث لم يعد الجمال قصائد شعر ، أو خيالات كاتب ، أو تفانين مصور فحسب ، بل صار للجمال علم معيارى يبحث فى مواطن الجمال ، وشروطه ومقاييسه ، كما يبحث فى نظريات التذوق الفنى ، والملامح المشتركة بين الأشياء الجميلة ، والشروط التى يتميز بها الجميل والقبيح . ويعنى أيضاً بتحليل ذلك الشعور الغامض بالسرور والرضى عند رؤية ما هو جميل ! كما يبحث علم الجمال فى مختلف صور الفن ونقده ، لا على أساس الذوق فحسب بل على معايير العقل أيضاً.

لعل أطيب ما فى الجمال هو براءته من الزيف ، فالزيف يفسد الجمال ويقتل عذريته ونقاءه . وللأسف فقد أصاب الجمال ما أصاب غيره من تزييف وتلوين . وأصبحت الأقنعة المتقنة تغطى أوجه الحقيقة حتى تكاد تخفى ملامحها تماماً ! .

وقد أصبحت لدينا زهور صناعية وعصائر صناعية ، وبحيرات صناعية ، حتى " القمر " هذا الجميل الذى ظل لآلاف السنين أنشودة الحسن على أفواه شعراء العرب - حتى هذا القمر لم يفلت من غدرنا فأطلقنا إسمه على أجهزة حديدية معقدة وأسميناها ، الأقمار الصناعية ! .

وقد أصبح تزييف الجمال فى عصرنا صناعة رائجة يمارسها المزيفون المحترفون فتطاردهم الدولة ، كما يمارسها أساتذة محترمون ويسمونها " الدعاية والإعلان " أو " التسويق " وتحترمهم السلطات ! ولم يعد بائع الفاكهة هو وحده الذى " يلمع " التفاح ويلف الثمرات التالفة بورق السلوفان ، بل أصبحت الشركات الكبرى تفعل ذلك أيضاً وبإمكانات ضخمة وحيل متجددة ! .

والضحية الأولى هى " الحقيقة الغائبة " ، والثانية هى " الجمال المزيف " ، والثالثة هى " الزبون المخدوع " ! ولم يعد " المكياج " يغطى وجوه " الحسناوات " فقط ، بل أصبح يغطى وجه الغسالة والثلاجة وجهاز التكييف وغيرها من معروضات السوق .

زمان - كانت أغلب الفتيات - سواء كن جميلات أو دميمات - تلزمن بيوتهن منذ الصبا الباكر ، فكان الأزواج لا يرون زوجاتهم إلا بعد عقد القران . وكثيراً ما كان الزوج المسكين يكتشف - وبعد وقوع الفأس بالرأس - أن ما قالته الخاطبة عن جمال العروس ليس فيه ظل من الحقيقة ! فيتجرع غيظه وخيبة أمله ، ويلوذ بالصبر والإيمان ويقبل بالنصيب والقدر ! .

ومع أن هذا لا يحدث فى أيامنا ، إلا أن الخداع قد يكون أعمق وأشر ، فالعروس التى لم تعد تخفى الوجه ، قد تخفى طباعاً رديئة أو شخصية مسيطرة أونفس حقودة ، وقد يختفى هذا كله وراء وجه جميل أو متجمل ! .

وبالطبع فإن جمال الوجه لا يقاس بجمال الخلق .

وعلينا أن نتجمل

غير أن حرصنا على براءة الجمال وخوفنا من الزيف ، لا يعنيان مطلقاً أن نقدس القبح ونجاهر به ، فالجمال قيمة ، وإذا إفتقدناه فعلينا أن نتجمل ! .

ونحن فى العالم العربى نعرف ذلك العمل الروائى الشهير الذى عنوانه ، " لا أكذب .. لكنى أتجمل " . وبعيداً عن مضمون الرواية المصرية ، فإن عنوانها الرشيق يعكس فكرة أن هناك خيط رفيع بين الكذب والتجمل ، ومع أن الكذب قبيح فإن التجمل حق ، بل هو واجب أيضاً . فإذا كان جارى - مثلاً - لا يهتم بواجهة بيته لأنه لا يرى قبحها ، فلابد أن يتذكر أن هذا القبح الذى لا يراه هو واجهتى أنا التى أراها طوال الوقت ! .

فى كثير من بلاد العالم ، وبخاصة تلك الدول التى وقعت تحت سيطرة الحكم الشمولى ، إنتشرت ، ولسنوات طويلة - الدعوة إلى القبح ومحاربة الجمال بإعتباره من مخلفات العهود الإمبريالية أو القيصرية أو التوجهات الرأسمالية .. إلخ فأهملت القصور الجميلة ، وظهرت البنايات القبيحة . ونقلت التحف واللوحات الفنية إلى المخازن الرطبة . ورفعت التماثيل الجميلة من فوق قواعدها ، وتحولت الحدائق الخضراء الى ساحات شعبية قاحلة . وإستبدلت بالأسوار المعدنية الجميلة حوائط أسمنتية قبيحة .. إلى آخر ما أفرزه الحقد وكراهية الجمال .

والدعوة إلى الجمال لا تعنى جمال المظهر فقط ، بل هى دعوة إلى جمال الباطن ، وجمال الطباع ، وجمال الخلق ، وجمال الروح .

كيف يصبح الداخل جميلاً ؟

هناك حقيقة مذهلة قد تكون خافية على الكثيرين ، وهى أن الإنسان الذى نجح كثيراً ، وبكل الوسائل فى أن يجمل مظهره الخارجى . هذا الإنسان ذاته لا يستطيع أن يجمل نفسه من الداخل مهما كانت قدراته أو كثرت محاولاته ! وذلك لأن الداخل هو الروح وهو القلب ، ولا يستطيع الإنسان أن يجمل روحه أو يغير قلبه ! .

إن تغيير القلب وهو عمل إلهى ، إنه نوع من الخلق . فهل يستطيع الإنسان إن يخلق ؟ .

إن الله سبحانه هو وحده الذى يقدر أن يخلق فينا قلباً جديداً ، أنه وحده الذى يغير الداخل .

إن قلب الإنسان ليس خالياً ، بل هو مملوء ببشريتنا ، محكوم بطبيعتنا ، منقاد برغباتنا ، مدفوع بشهواتنا ، مملوك بأنانيتنا . وهذه القوى العريقة العميقة المسيطرة لا يستطيع الإنسان أن يطردها من حياته لأنها هى حياته ، وهو منجذب إليها ! ولا يقدر أن يأخذ مكانها سوى روح الله .

إن كثيرين يحاولون إنتزاع أنانيتهم وأحقادهم من داخل قلوبهم لكنهم يعجزون ، وكثيرون يحاولون إنتزاع شهواتهم ، لكنهم يفشلون ، كثيرون يحاولون التسامح أو التواضع أو الحب أو العطاء فى الخفاء فلا يوفقون .

إن الجمال الداخلى ليس هو جمال أخلاقياتنا البشرية ، بل هو جمال الله فينا ، يسكبه علينا بقوة من روحه ، قوة إلهية تحتل القلب وتنير فيه ! .

صرخة إنسانية

يارب

إننى أبدو جميلاً من الخارج ،

فأنا ناجح فى مجتمعى ،

مشهود لى بالإستقامة والخلق

الطيب .

تعلمت كيف أخفى عيوبى –

وتعلمت كيف أظهر محاسنى .

أتعمد الحديث عن بطولاتى .

وعن بطولات وهمية أستر بها

ضعفى ،

لا أحد يعرف مدى قبحى ،

ولم يكتشف الناس جمالى الزائف .

لكننى سئمت من تظاهرى ،

أحس أننى كالقبور الرخامية الفخمة ،

فظاهرى جميل -
لكن داخلى بارد ميت .
قلبى ملئ بالأنانية وحب الذات ،
فكرى ملئ بالشهوات الجامحة ،
نفسى مأسورة بالرغبات المخجلة .
وأنا أشتاق أن تغير قلبى .
وأن تجمل داخلى ،

فاكشف لى بروحك عن مدى قبحى ،
أنر ضميرى لأدرك عمق خطيئتى .
إفتح بصيرتى لأدرك زيف عبادتى ،
إجعل نورك يخترق حياتى الميتة ،
أخلق فى داخلى قلباً جديداً يعرفك ،
إجعل من جودك فى حياتى جمالاً
حقيقياً ،
جملنى بالحق والمغفرة والرضا ،

يارب .

٣٨ - مبادئ إنسانية ..

عقول تبتكر الخير ، وعقول تبتكر الشر ،
وعقول تشوه الجمال ، وعقول تصنع الأصنام !

في كل صباح ، كان موكب النساء يتجه إلى البئر الكبير في قلب الصحراء ، كل واحدة منهن تحمل جرتها لتستقى من ماء البئر .

ولم تكن المهمة سهلة عليهن ، فقد كانت البئر عميقة ، وإلى جوار البئر دلو ثقيل مربوط بحبل غليظ ، وكان على كل واحدة من النساء أن تحمل الدلو ، وتقذفه إلى عمق البئر ليمتلئ ، ثم تجذبه بجهد شديد إلى حيث تقف . ثم تحمل الدلو مرة أخرى لتفرغه فى جرتها ، وهى ترتعش تحت حمله الثقيل . وبعد ذلك كله تحمل الجرة المليئة إلى البيت لتعود ثانية وثالثة فى ذات اليوم ، لتلقى بحاجات الأسرة ، وحاجات البهائم .

وظلت هذه المهمة الشاقة من نصيب النساء جيلاً بعد جيل ، لا سبيل للفرار منها أمام مطلب حيوى هو الماء .

ثم جاء أحد الفلاسفة ، ووقف إلى جوار البئر ، يتأمل هذا الجهد المبذول . والتأمل بالنسبة للفيلسوف ضرورى كالماء والهواء ، فهو غذاؤه اليومى الذى لا يستغنى عنه .

وعاد الفيلسوف إلى بيته ، وهو يحمل فى صدره إحساساً عميقاً بمسئوليته أن يخفف هذا العبء عن النساء الصابرات ! .

ولعله لم ينم ليلته أو لياليه ، حتى وجد الحل ! ففى ذات صباح جاءت السيدات إلى البئر فوجدن الحبل ملفوفاً حول بكرة ، والبكرة معلقة فى رافعة خشبية إلى جانب البئر ! . ودهشت النساء وهن يشاهدن الفيلسوف يدير العجلة بسهولة فيرتفع الدلو محملاً بالماء ، ويتأرجح فى الهواء ، فيمسكه الفيلسوف ، وهو لا يزال معلقاً ، فيميله ليملأ الجرار الفارغة بسهولة تامة ! .

وكان هذا الإبتكار البسيط هو أعجب ما رأت نساء البادية فى القرن الخامس قبل الميلاد .

وذكـرت الموسـوعات التاريخيـة هـذا الإبتكـار العظـيم للفيلـسوف اليونـانى " أرخيتاس " صديق أفلاطون ، الذى إبتكر " بكرة الدلو " ! .

ما أعظم الإبتكارات التى تنبع من قلوب الرحمة والحب .

إبتكارات أفادت البشرية

ليس فـى عالمنـا مـن يستطيع أن ينكر فضل المبدعين فـى كـل العصور . فنحن نستمتع فى كل لحظة بإبتكـاراتهم . ليس إبتكـارات اليوم فقط ، بل إبتكـارات الأجيال المتعاقبة .

وقلما يخطر ببالنا ونحن نتداول معطيات الحياة العصرية ، تلك المعاناة التى عاشها المبدعون ، وهم يتمخضون شهوراً أو سنيناً ، حتى أخرجوا إلى النور إبداعاتهم المتميزة .

فأنا ـ مثلاً ـ أكتب الآن ، ولكنى لم أفكر لحظة فى المبتكر الأمريكى " وترمان " مخترع القلم الحبر سنة ١٨٨٤ م ، ولا فى المبتكر الفرنسى " روبير " الذى إبتكر أول آلة لصناعة الورق سنة ١٧٩٧ م . ومن المؤكد أن عامل الطباعة الذى سيطبع هذه المقالة لن يفكر لحظة فى زميله عامل الطباعة الألمانى " جوتنبرج " مبتكر الطباعة بالحروف المصفوفة ١٤٦٨ م ! .

بل وأكثر من ذلك كله أنك أنت يا عزيزى القارئ . ستقرأ هذه المقالة وغيرها ، ولن تفكر لحظة فى الجنود المجهولين الذين إبتكروا الأبجدية العربية ، ووضعوا المواصفات لكل حرف منها ، وصوروا أشكال الألف والباء .. إلخ . ولولاهم ما عرفنا القراءة والكتابة ! .

وهل يمكن أن ننسى إبتكارات الفنانين ، والأدباء ، والشعراء ، والموسيقيين ، الذين أبدعوا أعمالاً خالدة أسعدت ملايين البشر ؟ .

هل يمكن أن ننسى إبتكارات العلماء ، والمهندسين ، الذين صنعوا عناصر الحضارة : السيارة والقطار والطائرة ، أو الهاتف والراديو والتلفاز ، أو الآلة الحاسبة والحاسب الآلى ... ألخ ؟ ! .

هل يمكن أن ننسى إبداعات الأطباء ، الذين يبتكرون وسائل معالجة الداء ، أو تخفيف الألم ؟ ! .

إن عقول المبدعين تفاجئنا كل صباح بابتكارات رائعة تغير وجه الحياة ! .

وعقول تبتكر الشر !

غير أن الإبتكار غير قاصر على ما يفيد ، فبعض الإبتكارات ضارة ، وتؤدى إلى إيذاء الناس ! .

فأدوات الحرب مثلاً ، وأسلحة الدمار الشامل ، وإبتكارات الفناء كالأسلحة البيولوجية ، والأسلحة الكيماوية ... إلخ جميعها إبتكارات أدمت جسم البشرية وأغرقت العالم فى بحور الدم والدموع والعذاب واليتم والخراب ! .

والحياة اليومية أيضاً مليئة بابتكارات شريرة ، فهناك من يبتكرون وسائل الغش التجارى ، والإعلانى . وتقوم العصابات الإجرامية بإبتكار طرق التخفى وخداع الضحايا ، بل وخداع الشرطة ، وخداع الأجهزة الإلكترونية بوسائل مبتكرة ! .

وهناك من يبتكرون أساليب جديدة لتهريب الممنوعات عبر الحدود ، أو إخفاء المخدرات وغيرها .

ففى كل يوم يطلع علينا المحتالون بأساليب مبتكرة للنصب والإحتيال ، فمنهم من يؤسس شركة تجارية وهمية يبيع أسهمها ، ومنهم من يبيع أملاكاً أو عقارات أو أرضاً ليست له ! . ومنهم من يروج العملة المزيفة ، أو يبيع النحاس المشغول بإعتباره ذهباً ، وقطع الزجاج بإعتبارها أحجاراً كريمة ! .

إن كثيراً من المجرمين يحملون عقولاً جبارة قادرة على الإبتكار ، وهم يوظفون عقولهم فى خدمة شرورهم ! .

تشويه الإبتكارات العظيمة

وهناك إبتكارات عظيمة ، أبدعتها عقول مخلصة ، لكن الناس يستخدمونها فى أغراض رديئة ! .

فهناك مثلاً " الديناميت " . هذا الإبتكار جاء نتيجة جهد شاق بذله العالم السويدى " الفريد نوبل " الذى أفنى حياته فى صنع المتفجرات لخدمة المناجم وأعمال التعدين ، وقطع الأحجار ، من أجل البناء . لكن العالم إستخدم الديناميت بشراسة فى

الحرب العالمية الأولى ، وقبل مرور ثمانية عشر عاماً على وفاة نوبل - الذى مات وهو يدعو للسلام ! .

وحين إكتشف العالم الأمريكى " لونج " ، الأيتير المخدر لتخفيف الآم الناس ، لم يدر بذهنه أن الناس سيستخدمونه يوماً فى أعمال الجريمة ! .

وحتى الإبداعات الفنية الراقية ، كلوحات عظماء الفنانين ، تتحول بين أيدى التجار إلى سلعة للمزايدة والمضاربة والغش ! .

ولعل هذا ينطبق على أغلب الإبتكارات التى يبتدعها المفكرون لصالح البشرية ، ثم تتداولها الأيادى الآثمة لتشويه وجهها وإستخدامها فى الشر ! .

إبتكار أصنام عصرية

وأشر الإبتكارات هى إبتكار أصنام عصرية ، نعبدها ، ونخلص لها .. ! .

وهى إبتكارات حديثة لم يعرفها عبدة الأوثان فى القديم ، فالقدماء عبدوا حجراً أو خشباً أو شيئاً منظوراً ، وعبدوها جهراً ، لكن إبتكارات العصر آلهة معنوية ، يصنعها الغافلون لأنفسهم ، ويعبدونها سراً ! كالمال أو الشهرة ، أو المخدرات ، أو الجنس أو العادات .. إلخ .

والذين يبتدعون أصنام العصر يبذلون من أجلها العمر ، ويزهقون الحياة فى محرابها ! .

وكما كنا ندهش حين نسمع عن إنسان يعبد حجراً صنعه بيديه ، ونعجب سائلين : أين ذهب عقله هلى نسى أنه هو الذى صنع الصنم ؟ ! فإننا ندهش اليوم بالأكثر ، حين نرى كثيرين من أصحاب العقول المبدعة ، يبتكرون أصنامهم التى تسيطر عليهم تماماً ، فيكرسون أنفسهم لطاعتها ! .

ما أقبح أن يبتكر الإنسان صنماً يعبده ، ويهب له العقل والقلب والعمر ! .

صرخة إنسانية

يارب

أشكرك من أجل العقل ،

والفكر ،
والتأمل ،
والإبتكار .
أشكرك لأنك الخالق المبدع ،
صممت هذا الكون بحكمة بالغة ،
وصنعتنى قادراً على الإبداع ،

فروحك يرشدنى ،
ونورك يهدينى ،
وحكمتك تلهمنى ،
لأصنع شيئاً جديداً .
فانا أؤمن أن إبتكارات العلماء ،
هى هداياك المستمرة لنا .
وإبداعات الفنانين والأدباء ،
هى منحة السماء للبشر ،
وهى نسمات الحب والجمال والعزاء -
لعالم متألم .

لكننا نشوّه هداياك ،
نسئ إستخدام المواهب .
التى منحتها لنا ،
نجعلها وقوداً لشرورنا .
نشعلها لنحترق فيها !
فكلما أنبت الزمان غصناً .
صنعنا منه رمحاً نتقاتل به !
أصبحنا خبراء فى إبتكار الشر .
وإبتداع الحيل !
ونحن ندعى أننا نعبدك ،
لكن عبادتنا ليست خالصة لك ،

نعطيك الشكل والمظهر ،
أما القلب فتملكه الأهواء :
المال - الشهرة - القوة - الجنس !
أصنام مبتكرة من إنتاج العصر !
نلبسها شكل العلم !
أو شكل الدين !
أو شكل " الجنتلمان " !
نستوردها من أفلام الفيديو !
نلبسها فوق جلودنا كالأزياء !
" موديلات " الساعة !
ونقول هذا شكل حضارتنا ،
هذا شكل العصر ،
هذا دين العصر ،
هل أصبحت الشهرة دين العصر ؟
هل صار المال إلهاً ؟
هل صار الزى إلهاً -
فى هذا الزمن المفلس ؟

رب
سامحنا ،
وأعدنا إليك ،
أكشف لنا زيف عبادتنا الجوفاء ،
بطلان الأشكال المبتكرة ،
أرشدنا للحق ،
فليعمل روحك فينا ،
فيبدد كل ظلام ،
ويحطم كل الأصنام ،
أغمر قلوبنا باليقين والثقة ،
وأشبعنا بالسلام الداخلى ،

يارب .

٣٩ - مبادئ إنسانية ..

أجمل وأنجح صيغة نقترحها للعولمة :

" عالم واحد تحت رعاية رب واحد " !

عندما كنت طفلاً ، أعيش فى إحدى مدن صعيد مصر ، كنت مولعاً بسماع القصص . ففى سنوات عمرى المبكرة إستمعت إلى الآف الحواديت الريفية والقصص الشعبية ، والتى كانت التسلية الوحيدة لنا فى ضوء القمر قبل إنتشار أجهزة الراديو . ولم أكن أترك مجلس السامر الريفى إلا مرغماً حين يغالبنى النوم . ومن هذه القصص جمعت رصيدى الأول من فنون الرواية .

والغريب هو أن أغلب هذه القصص إن لم تكن جميعها ، كانت تدور حول العفاريت . فقد كان العفريت دائماً هو بطلها الأول ، حتى ترسّخ فى ذهنى أن " الفن القصصى " هو فن العفاريت الحمراء والزرقاء .

ودهشت حين التحقت بالمدرسة الإبتدائية - ووجدت بكتاب " المطالعة الرشيدة " قصة لم يكن فيها عفريت ، فظننت أنها قصة مزيفة ، ما كان يجب أن توجد فى كتاب محترم أصدرته وزارة المعارف العمومية (وزارة التربية والتعليم الآن) .

ومرت السنون ، ونسيت قصص العفاريت ، ولم أعد أذكر من شأنها إلا أنها أشياء تظهر لك فجأة أينما ذهبت . وظلت صورة " العفريت البطل " بعيدة عن ذهنى ، حتى ظهرت كلمة " العولمة " ، ورأيتها تظهر أمامى ، وتقفز فى وجهى من بين صفحات الكتب والمجلات ، وتقفز فى أذنى من كل برنامج إذاعى أو تلفزيونى . وأصبحت من مفردات الكتابة الأدبية والعلمية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية . وما تكاد تفتح كتاباً حتى تظهر لك كلمة عولمة - تماماً كما كان يظهر العفريت فى تخاريف القصص الريفية .

وقلت لنفسى : سبحان الله - فلكل زمن عفاريته ، والعولمة هى عفريت القرن الحادى والعشرين . والفرق بينها وبين العفاريت القديمة هو أنها تظهر فى وضح النهار - على حين كان عفاريت زمان يظهرون ليلاً . والعولمة تظهر فى الجامعات

والمنتديات الثقافية وبين أهل العلم ، وكانت عفاريت بلدتنا تسكن الخرائب وعقول الجهلاء . فضلاً عن ذلك ، فإن عفريت زمان لم يكن له شكل ثابت ..

أما العولمة فقد إتخذت لنفسها شكل الأخطبوط ! .

الأخطبوط .. !

فى فترة قصيرة تحول المضمون الأولى والبسيط للعولمة - تحول إلى أخطبوط مخيف له أذرع كثيرة ممتدة ، تمسك بكيانات ومفاهيم ونظريات راسخة فى الإقتصاد والسياسة والتجارة والثقافة والفنون والعلاقات الدولية .

وتعيد تشكيل لوائح الشركات ، وتوجه المنتجين والمستثمرين والمعلنين . وتقود المفكرين والباحثين ، وتظهر للجميع كشبح نهارى يسيطر على العقول والأفكار - بإعتبار أن " العولمة " هى الغول القادم من الغرب ، والذى سيحكم الدنيا ! .

الغول .. !

- لكن لماذا تظهر العولمة كالغول ؟ .

- لأنها تتفق مع الغول فى أنها توحى بمخاوف وشكوك وتوقعات غير يقينية تثير القلق ! .

كما أن كليهما قد يبدو أكبر حجماً من حقيقته بمقدار ما تخاف منه ! .

فالبعض يرى أن " العولمة " ليست سوى نزعة حميدة ترمى إلى توحيد النظم والقيم لتشكيل سلوكيات جديدة تحمى الكيان الإنسانى من الجمود والخضوع للثوابت ، وتمنحه بعداً عالمياً يعلو فوق المحدودية المحلية ، وتجعله قادراً على التواصل مع العالم بمنظوره الشامل .

ويرى البعض الآخر أن العولمة هى نوع من الغزو الثقافى . ومحاولة مغرضة لطمس ملامح وخصوصيات الشعوب والتأثير على هويتها ! .

وهناك من المفكرين من يرى أن العولمة هى الدعوة للتفاعل الإيجابى بين الثقافات ، ومناقشة الأفكار الوافدة مناقشة نقدية واعية ، وقبول ما هو جيد ، ورفض ما هو ردئ ! .

غير أن المخاوف من تيارات العولمة لا حدود لها - وذلك لأن خصوصيات الشعوب هى بعض أساسيات الجمال لهذا الكون . والملامح الثقافية والبيئية الخاصة للبلاد الصغيرة - هى التى تجعل من تلك البلاد شيئاً متميزاً ساحراً ! . وغياب هذه الملامح الثقافية يفقدها سحرها وجمالها وبريقها ولونها - بل ووجودها كله ! .

ويبقى السؤال الهام ، ما هو ضمان النجاح فى ظل العولمة ؟ وما الذى يضمن ألا تطغى المادية والرأسمالية على ما تبقى من رومانسية الحياة وإنسانية الشعوب ؟ ومن يضمن لنا أن لا يأكل الكبار لحم الفقراء ؟ ! .

- من أين لنا أن نثق فى وعود أو فى نظريات تعدنا بعودة الفردوس المفقود ؟

- هل أثبت العالم أنه مظلة الأمان التى نتوحد تحتها فتقينا الحرارة والصقيع ؟

- وإذا قيل لنا أن تيار العولمة سيجتاح العالم ، فهل نستبشر خيراً ؟ هل نثق بقدرة العالم على إسعادنا ؟ .

أظن أن الأمر ليس مجرد تحسب وحذر وعدم ثقة ، بل إنه يتعدى ذلك بكثير . فقد عاش العالم من الصراعات والحروب والتوجسات والمخاوف والخداع ما جعله عالماً ممزقاً ، إنعدمت الثقة فى جميع أنظمته وإدعاءاته ، وصار عالم عداوات وشقاق أكثر منه عالم محبة ومودة . لقد تغير العالم كثيراً فلم يعد هو العالم الواحد الذى خلقه الله ، وملأه بالسلام والخير .

إنه عالم الخطيئة والأنانية والشقاق والشوك . لذلك فإنه لا يتقارب للخير والحب لكنه يتقارب للمصلحة ! .

الضمان الوحيد لسلام العالم وتناغمه ليس فى الأحلاف والتجمعات والأنظمة ، بل فى أن يعود العالم - أفراداً - إلى الله .

وخير صيغة للعولمة هى أن يسود الله بحقه ونوره على عالمنا المذبوح ، فيجعله عالماً واحداً فى رعاية رب واحد .

فالله وحده هو الضمان والحب والسلام ، وبه وحده تتوحد القلوب وتصفو الضمائر وتتجمع الأوصال الممزقة . وبدونه يظل العالم خيمة ممزقة تضم ملايين الذئاب ! .

ب

لقد أفسدنا عالمك الجميل ،
البستان الذى خلقته لنا .
خرجنا عن طوعك ،
تركنا وصاياك ،
وكانت وصاياك -
هى الرباط الذى يجمعنا !
هزمتنا الخطيئة ،
فتقاتلنا وتمزقنا وانفرط عقدنا !
وهيهات أن نعود الآن عالماً واحداً -
ودماء هابيل ما زالت فى أيدينا !

ب

أعلم أنك رب هذا الكون الواسع ،
وما عالمنا إلا نقطة فيه ،
لكنك أحببت عالمنا !
وأعلم أننى نقطة فى محيط
الكون ،
لكنك أحببتنى !
فاغفر لى ذنبى ،
أغفر لى ريائى وخداعى ،
أغفر لى إدعائى وزيفى ،
عرفنى طريق خلاصك ،
وجه أنظارى إلى طريقك وحقك ،
غير قلبى لأعود إنساناً -
ويعود عالمنا بستاناً للحب والخير

يارب .

٤٠ - مبادئ إنسانية ..

هل تريد نجاحاً حقيقياً دائماً للأبد ؟

أطلب القوة الإلهية التى تجدد القلب !

حتى عام ١٩٩٤ ، كان إسم " ديجو كورتو " من ألمع الأسماء فى عالم القضاء فى إيطاليا ، فقد كان يشغل منصب كبير القضاة فى محكمة ميلانو ، وكان يمسك بيده كل خيوط المعارك القضائية الهامة المتعلقة بالإقتصاد .

وقد إستطاع الرجل على مدى ٦٨ عاماً أن يحقق نجاحاً باهراً فى المجتمعات الإيطالية ، وأن يقيم شبكة واسعة من الإتصالات بأكبر الشركات وبرجال الأعمال .

لكن القاضى كورتو - رغم نجاحه وشهرته سقط من فوق سلم النجاح ! ولأنه كان على القمة ، فإن سقطته كانت قاتلة ! .

لقد بدأ كورتو بداية جيدة ، وصعد سلم النجاح بخطوات ثابتة ، لكنه لم يستطع أن يثبت أمام تيار الجريمة الجارف ! وكانت البداية حين عين حارساً على أحدى الشركات ، فتقاضى منها أتعاباً خيالية بلغت مليارين من الليرات فى عشرين يوماً فقط ، أودعها فى حسابه الخاص ، ثم تسلم خمسة مليارات ليرة من محامى إحدى الشركات للحكم لصالحها معتمداً على مكانته التى كانت فوق الشبهات .

وبعد تحقيقات كثيرة ، إفتضح أمر " كورتو " فى فضيحة هزت إيطاليا كلها ، وكانت بداية النهاية للقاضى العجوز ، ففى ساعة متأخرة من الليل وصلت فرقة من الشرطة ومعها أمر بتفتيش منزل القاضى ، وفى نفس اللحظة كانت فرقة أخرى تفتش مكتبه الأنيق فى الدور الثالث من محكمة ميلانو ، وبدأت الخيوط تتجمع ، فكانت النتيجة فضائح بالجملة إلتفت كلها فى مستنقع الفساد والرشوة .

وإضطرت القاضية " فرنشيسكا موريللى " أن تصدر أمراً بإيداعه السجن ، متهماً بإساءة إستخدام منصبه فى أغراض خاصة لتحقيق ثروات ومنافع شخصية ! .

وفى عصر نفس اليوم توقفت سيارة الشرطة أمام مكتب القيد بسجن ترتسيانو لتسليم كورتو لمكتب السجن ، ليخلع ثوب العدالة ويلبس ملابس المساجين ،

ويواجه مصيراً مظلماً هو السجن لأكثر من عشر سنوات .

ولنا أن نتخيل وقع هذا السقوط المشين لرجل ناجح من نجوم المجتمع . فقد إنتقل من قصره الكبير إلى زنزانة فى الدور السفلى المخصص للحبس الإنفرادى ، ليس بها أى منفذ يطل منه للعالم من حوله ، فقد كانت مجرد جدران خرساء من الأسمنت المسلح ، وقد إتخذ القضاة قرارهم بتخصيص هذه الزنزانة الإنفرادية لزميلهم كورتو نظراً لظروفه الخاصة وسنه ، حتى يجنبوه نظرات الإزدراء والإحتقار من السجناء والمجرمين ، وكانت النهاية ! .

النجاح الإجتماعى

النجاح الإجتماعى يتضمن أبعاداً أكبر من مجرد النجاح الشخصى . إنه القدرة على تحقيق علاقات إجتماعية ناجحة ، وإرتباطات واسعة متزنة .

ولأن المجتمع قوة هائلة ومؤثرة ، فإن إحتمالات الإنحراف فى تياراتها إحتمال كبير ، والناجح إجتماعياً هو ذلك الذى يستطيع أن يكوّن لنفسه مواقف قوية راسخة ، تأخذ من المجتمع وتعطيه دون أن تتحطم على صخوره أو تنزلق فى تياره .

وبعض الناس ينجحون نجاحاً علمياً أو مهنياً أو فنياً ، لكن نجاحهم يكون خارج مجتمعاتهم ، فهم مبدعون داخل مراسمهم أو معاملهم ، عاجزون خارجها ! .

وبعض الناس يحققون تفوقاً ظاهراً فى مجتمعاتهم ، لكنهم لا يضيفون إليها شيئاً ! إنهم كالزجاجة الفارغة التى تطفو على سطح الماء ، فيراها الجميع ، لكنها لا تملك غير الهواء .

ليس النجاح أن أكون كالأعشاب الطافية فوق الماء ، كما أنه ليس أن نكون كنباتات القاع . النجاح كيان حى كالنخلة الباسقة ، جذورها ضاربة فى الأرض ، وهامتها مرفوعة فى السماء .

ضوابط النجاح

على ساحل جزيرة " لابرادور " يشاهد الزائر جبالاً شاهقة من الجليد العائم ،

ترتفع كالعمائر الضخمة ، وتتحرك على سطح الماء كناطحات السحاب الشامخة .

والأمر المثير أن هذه الجبال تتحرك إلى الجنوب ، على عكس إتجاه التيارات المائية القوية المتجهة إلى الشمال ! وهى تقاوم الريح العاتيه وتنتصر عليها ! ويعود السبب فى ذلك إلى حقيقة علمية لا تدركها العين ، وهى أن ما نراه فوق الماء من هذه الجبال الثلجية ، لا يمثل سوى واحداً من ثمانية أجزاء ، أما الباقى فمغمور تحت الماء ! وهناك فى العمق توجد تيارات قوية ، تدفع الكتلة الثلجية الهائلة نحو الجنوب ، غير عابئة بإتجاه الريح على السطح ! .

وهذه صورة رائعة للنجاح الإجتماعى . إنه النجاح الراسخ العميق ، هو الذى تحركه قوة ذاتية عميقة ، فلا يتأثر بتيارات السطح ، ولا تحمله الرياح ليطفو مع التيار كالأجسام الميتة .

النجاح عمل منظم له ضوابط . ولابد أن تأتى هذه الضوابط من عمق أعماق الإنسان الناجح .

نجاح من الأعماق

إذا عدنا إلى القصة التى بدأنا بها ، وتأملنا فى ذلك القاضى الإيطالى ، فإننا ندهش ، كيف إختلطت فيه نقائض كثيرة . كالعدل والظلم ، النزاهة والتدنى ، الشرف والإستغلال ، النجاح الرفيع والسقوط المشين ... إلخ . لماذا يحدث هذا ؟ .

ولماذا تتكرر مثل هذه المأساة فى الآف المواقع كالمحامى المزور ، والطبيب المستغل ، والمهندس المرتشى ، والجندى السارق ، والمدرس الذئب ... إلخ . لماذا يحدث هذا الخلط بين المبادئ والدنايا ، بين النجاح والسقوط ؟ .

السبب أن هذا الخلط هو من طبيعة البشر . **فكل بنى البشر لهم أشواق روحية توجههم نحو المثل العليا والأخلاق الإنسانية ، وبهم فى ذات الوقت ميول بشرية ساقطة تتجاوب مع الشر ، ورغبات شهوانية تجتذبهم للأعمال الدنيئة ! .**

والنجاح الحقيقى ، هو نجاح النفس فى الخروج من مأزق الذات البشرية .

النجاح الحقيقى هو إنتصار الإنسان على ذاته ليقهرها ويتحرر من جاذبيتها ، فالنفس أمارة بالسوء ، والخضوع لرغباتها سقوط محقق .

ويحاول كثيرون محاربة رغباتهم وشهواتهم وأنانيتهم وجسدانيتهم بكل الطرق ، لكنهم ينتصرون مرة ويهزمون مرات . وقد ينجحون أمام الناس ويفشلون بينهم وبين أنفسهم . وتظل الجوانب الشهوانية السوداء حبيسة فيهم ، أو بمعنى أصح يظلون محبوسين فيها . فكيف الخلاص ؟ ! .

الخلاص هو عمل الله فى داخل البشر ، هو أن يستعين الإنسان بقوة أخرى من خارج نفسه لتحارب ميوله الساقطة ، وهذه القوة الأعظم هى قوة روح الله .

لقد خلق الله الإنسان ليكون ناجحاً ، وليعيش فى مجتمع مبارك ناجح ، وكان هذا النجاح مرتبطاً بطاعة الله ، لكن الإنسان سقط فى العصيان فأضاع القوة ، وعاش فى صراعه بين الحنين لله والحنين للرغبات الإنسانية الساقطة . وإجتمعت فى داخل البشر : قوى الخير وقوى الشر ، فرأينا القضاة يرتشون والحكماء يخطئون والجنود يسرقون ... إلخ .

وطريق النجاح هو التغير العميق ، تغير القلب .

طريق النجاح هو حلول روح الله فى داخل النفس البشرية لتمنح الإنسان إنتصاراً على الذات ، وحرية من قيود الخطيئة التى تتسلل إلى نجاحاتنا فتشوهنا .

هل تريد نجاحاً حقيقياً ؟ لا تعتمد على ذاتك .. أطلب القوة الإلهية التى تجدد القلب ! .

صرخة إنسانية

يارب
أريد تغييراً فى داخلى ،
أريد تغييراً فى أعماقى ،
أريد قوة تضبطنى من الداخل ،
وتثبت خطواتى فى طريق مستقيم .
فلقد حققت فى حياتى بعض النجاح ،
لكن نجاحى معرّض للخطر ،
فالأهواء تلعب برأسى ،
وتيارات الشهوة تطاردنى ،

وتحكمنى ميولى وطبيعتى وضعفى ،
ويخدعنى نجاحى الظاهر ،
كثيراً ما تخضع روحى لرغبات النفس ،
وكثيراً ما تنكسر إرادتى ،
أمام ضعفات الذات ،
وكثيراً ما تتوه عيناى
أمام إغراءات الحياة !
فأسبح فى تيارات الدنيا -
كما يطفو الغريق !
تجرفنى الأمواج إلى حيث تشاء ،
كما تنجرف الجثة الهامدة !
وأنا أريد أن أنجح ،
وأن يكون نجاحي فيك .
أريد أن تبعث فىَّ -
قوة الحياة المنتصرة .
أريد مسحة من روحك :
تقدس عقلى ،
وتطهر فكرى ،
وتغسل قلبى ،
وتثبت خطواتى ،
وتشدد أقدامى ،
وتغفر خطاياى .

يارب .

**قد ينجح الإنسان فى التعامل مع أغلب الشخصيات الصعبة ،
ثم يتعثر فى تعامله مع الذات**

أصعب الشخصيات التى تواجهك هى أنت - فاعرف نفسك !

من القصص الشعبية الشهيرة - قصة " الذئب والحمل " . وتحكى القصة أن الذئب رأى حملاً صغيراً يشرب من ماء القناة ، فأراد أن يأكله . وكان الحمل وديعاً لطيفاً بريئاً جميلاً - حتى أن الذئب أحس بشئ من الخجل . إذ كيف يفترس حيواناً هادئاً طيباً لم يرتكب ذنباً يستحق من أجله القتل . فسعى الذئب إلى إختلاق سبب يبرر به ما نوى ، فنظر إلى الحمل وهو يدّعى الغضب وقال : " أيها الحيوان المعتدى الأثيم الذى لا يحترم الآخرين - ماذا فعلت بعملك الذنب ؟ لقد عكرت الماء فى القناة التى أشرب منها " ، فأجاب الحمل ببراءة : " وكيف عكرت أنا الماء ، وأنا واقف فى موقع أدنى من موقعك - والماء ينحدر من عندك من فوق ؟ " ، ورأى الذئب أن الحمل على حق ، فتلعثم قليلاً ثم قال : " أنا لم أقصد أنك تعكر الماء الآن ، أنا أتحدث عن مرة سابقة - لقد حدث ذلك فى العام الماضى " . وأجاب الحمل البرئ : " أنا لم أكن قد ولدت فى العام الماضى ، فعمرى الآن لا يزيد على بضعة شهور " . وهنا تملك الغيظ الذئب إذ كان الحمل منطقياً ومقنعاً ، فنظر الذئب إلى الحمل - وقد برزت أنيابه وإلتهبت شهوته - إذن فالذى عكر الماء هو أبوك - نعم أبوك . ولابد أن تعاقب بسبب ما فعله والدك الشرير ! وهجم الذئب على الحمل وإفترسه - وهو مستريح الضمير ! .

ولعل هذه القصة البسيطة تقدم تصويراً رمزياً لشكل الصراعات التى يمكن أن تدور بين شخصيتين (أو قوتين) تحمل إحداهما صورة البراءة والعقل والمنطق والعدل ، بينما تحمل الأخرى إرادة البطش والقتل والسيطرة والملاوعة وقلب الحقائق ! .

والشخصيات التى يصعب التعامل معها ليست قاصرة على شخصية " الذئب " - الشخصية المتجنية الميالة إلى إفتراس الآخرين ، ولا على شخصية الوحش -

الشخصية المتعطشة إلى الإيذاء ومص الدماء ، ولا على شخصية " الثعلب " - الشخصية الماكرة المخادعة . ولا على شخصية " الحدأة " - الشخصية القناصة ، ولا على شخصية " الحرباء " - الشخصية المتلونة المراوغة ! إن الشخصيات الصعبة كثيرة جداً والتعامل معها أصعب ! .

ولكن الشخصية الصعبة التى أريد أن أتحدث عنها اليوم ليست من الجيران أو الأهل ، ولا الأصدقاء والمعارف الذين نتعامل معهم ، وليست من شخوص المجتمع الخارجى المحيط بنا ، لكنها الشخصية التى فينا ، الشخصية التى نسكنها وتسكننا ، إنها ذاتنا .. نفسنا .. طبيعتنا الإنسانية ! .

فالغريب أن هذه الذات - التى هى نحن - كثيراً ما تكون شخصية صعبة ، إذ تجتمع فيها أحياناً توجهات وميول كثيرة . فقد تجتمع فى داخلنا شخصيات الذئب والوحش والثعلب والحدأة والحرباء وغيرها ! وكثيراً ما تتحارب هذه الشخوص فى داخلنا ، وكثيراً ما تتصالح . وكثيراً ما نضجر بها ، وكثيراً أيضاً ما نأنس إليها ! أحياناً تداعبنا وتصادقنا ، وأحياناً تغدر بنا وتعذبنا ، ونحن إذا صادقناها وصادقتنا صرنا لها عبيداً ، وإذا عاديناها وعادتنا إختلت حياتنا وإضطربت ! .

إن أصعب الشخصيات التى تواجهنا هى تلك النفس التى فينا ، الشهوة التى تعمل فى أعماقنا ، طبيعتنا الساقطة الميالة إلى الأنانية والزيف والخطأ .

الذات البشرية

لا شك أن النفس البشرية ما زالت تحمل أسراراً بعيدة لا نعرف تفاصيلها ، حتى أن العلوم الإنسانية أفردت للنفس علماً مستقلاً أسمته " علم النفس " ! كما أن الفلاسفة القدامى والمحدثين تناولوا النفس الإنسانية بدراساتهم وتأملاتهم العقلية . محاولين إيجاد التفاسير لما يدور فى داخل الإنسان من أسرار ! .

ففى حديث أفلاطون مثلاً عن " المدينة الفاضلة " ، يقول : " إن النفس البشرية تنقسم إلى ثلاثة أجزاء الجزء العلوى مركزه العقل ، والجزء الأوسط مركزه القلب ، أما الجزء الأدنى فمركزه البدن . ويتمثل الجانب الأعلى فى الفكر ، والجانب الأوسط فى العاطفة وحب الشرف والطموح وكل ما هو نبيل . أما الجزء الأدنى فيتعلق بالشهوات البهيمية . ولكل جانب من الشخصية الإنسانية فضيلته ، ففضيلة العقل هى

الحكمة ، وفضيلة القلب هى الشجاعة ، وفضيلة البدن هى العفة وضبط النفس . ويقول أفلاطون إنه إذا أدى كل منهم عمله على الوجه الأكمل - نشأ من إكتمال هذه القوى وتعاونها فضيلة رابعة هى العدل ، الذى هو سر السعادة فى المجتمع الأفلاطونى " . غير أن هذه القوى داخل النفس الإنسانية لا تتعاون ولا تتفق ، بل تتصارع وتختلف ، فلا تقوم الفضيلة أبداً ، بل يجد الإنسان نفسه أمام شخصية صعبة هى ذاتها ! .

ويتعمق أرسطو داخل النفس الإنسانية ، فيرى فيها قوة العقل وقوة الشهوة ، والفضيلة هى الجمع بينهما دون أن تفنى الشهوة أو ينعدم العقل فتكون الفضيلة وسطاً بين رزيلتين ! .

فماذا نرى نحن فى إختباراتنا اليومية ، هل تتوازن القوى فى داخلنا وتقودنا إلى الفضيلة ، أم أن نوازع النفس تتبلور فى صورة صراعات داخلية - تقودنا إلى مواقف متباينة ومتعثرة بين الخير والشر ؟ هل تسيطر عقولنا على مشاعرنا فتستسلم هذه المشاعر للعقل دائماً ، أم تسيطر ميولنا على عقولنا فى أغلب الأحايين ؟ .

الواقع أن عقولنا قد تجد فى داخلنا شهوات مشتعلة يصعب على العقل السيطرة عليها . كما أن عواطفنا قد تجد فى عقولنا أنماطاً ومخططات جامدة تقتل كل عاطفة ، فيؤدى ذلك إلى صراعات أو إحباطات عنيفة ! .

وقد تتفق عقولنا مع شهواتنا لفعل الخير مرة ، ولفعل الشر مرات ! فنعيش بهذا الصراع والتناقض القائم فى داخل أنفسنا .

لا شك أن ذواتنا شخصيات صعبة تحتاج إلى مسايسة ، ونحن لا نملك أدوات الترويض ! .

التعامل مع النفس

إذا كانت نفوسنا (العقل / العاطفة / الشهوة) تمثل إحدى الشخصيات الصعبة التى نتعامل معها بالليل والنهار - وعلى إمتداد العمر ، فكيف نحل هذه الإشكالية ، وكيف نحقق أفضل صورة للعلاقات داخل أنفسنا ؟ .

هناك فى الحياة الناس عدة توجهات لتسيير هذه العلاقة ، منها :

● **التجاهل :** وهو الحل العشوائى الأكثر إنتشاراً ، الذى فيه يترك الإنسان ذاته لمن يحكمها ، فتراه أحياناً عقلانياً صارماً ، وتراه أحياناً مغرقاً فى عواطفه . وهو تارة ملائكى النزعة ، وتارة أخرى شيطانى الرغبة . وإنه كالقشة فى مهب الريح ! .

● **التدليل :** والمقصود تدليل النفس ، وإتباع الهوى ، وإشباع الرغبات والنوازع الطارئة .

● **الخداع :** وفيه يكذب الإنسان على نفسه ، مثلما يكذب على غيره ، فهو يمارس رغباته سراً ، وينكرها فى العلن ، وهو يرضى ضميره بالإنكار . ويظل يخدع ذاته حتى يصدق ما يدّعيه . وتبقى النار مشتعلة والداء قوياً والصراع محتدماً وراء الإنكار ! .

● **المواجهة والمصارحة :** وهى مواجهة النفس ، وفهم دوافعها ، وإكتشاف صراعها ، ومحاسبة الذات وتلويمها .

وهذه الخطوة هائلة على طريق إصلاح الذات . فأعرف نفسك ، ثم إتخذ الخطوة التالية :

● **طلب القوة الإلهية :** الواضح أن محاولاتنا وإجتهاداتنا البشرية لم تسفر عن حياة منتصرة أو متوازنة ، ولم تحقق صلحاً مع النفس . لذلك نحن نحتاج إلى قوة إلهية تجرى هذا الصلح فى داخلنا ، وتحقق لنا نصراً على أفكارنا وشهواتنا الجامحة ورغباتنا الخفية ! .

صرخة إنسانية

يارب

أنت تعلم بما يدور فى داخلى ،
ففى ردهات النفس يدور الصراع !
ففى داخل رأسى صراعات الشك ،
وفى داخل قلبى صراعات الشهوة .
وكثيراً ما أتفق عقلى وشهوتى على
الدنايا ،
فعقلى يدبر ،

وشهوتى تشعل الوقود !
وفى الخفاء -
تندفع محركات الشر فى داخلى !
لقد صادفت شخصيات صعبة كثيرة ،
واستطعت بالحكمة أو الحيلة أن أتعامل
معها .
لكن حكمة الناس باطلة ،
وخداع النفس مرير .
أحتاج إلى قوة إلهية -
تنير فكرى ،
وتنقى عواطفى ،
وتشبع نفسى ،
وتطهر روحى .
أحتاج إلى روحك القدوس -
ينتصر فى داخلى ،
يمنحنى حكمة ليست من حكمة
الناس ،
يضع فى قلبى دستوراً جديداً ،
يحسم الحوار مع النفس ،
ينتصر فى داخلى ،
يغيرنى ،
يصالحنى مع ذاتى ،
ومع السماء .

يارب .

٤٢ - مبادئ إنسانية ..

ليس نجاحاً هذا الذى لا يربط الإنسان بالسماء

خرج الرجل من بيته سائحاً فى الصحراء الشاسعة ، وهو لا يحمل من أملاك الدنيا سوى عصاه ، وجلبابه ، وطعام يومه ، ومخاوف الطريق الموحشة .

وغربت الشمس ، وأظلمت الدنيا ، وصمت الليل ، وعوت الذئاب ، فدب فى قلبه الخوف ، وإنتابه القلق ، فسعى إلى كهف من كهوف الصحراء المهجورة ، فألقى بجسده فى حضن الصخر ، وبات ليلته ، يتوسد حجراً ، ويرقد فوق حجر .

وما كاد الرجل يغلق عينيه ، ويغيب عن وعيه ، حتى رأى - فيما يرى النائم ، وكأنه واقف على أرض خضراء ، ينتصب فوقها سلماً طويلاً طويلاً ، يمتد فى طبقات الجو العليا ، ويعلو فوق الغمام صاعداً نحو السماء ! .

وإذا ملائكة من نور يصعدون ويهبطون ، ويترنمون ويهتفون ! وإذا بطاقات السماء مفتوحة ، ومن خلفها ما لم تره عين ، وما لم تسمعه أذن .

وفتح الرجل عينيه ، فإذا به يحلم ، وإذا بالصحراء قاحلة كما كانت ، والكهف مظلم بارد كشأنه منذ إبتداء الخليقة ، وإذا بأصوات الملائكة قد خبت ، وعاد عواء الذئاب الجائعة يتردد فى أجواء القفر ! .

لكن شيئاً ما تغير !

فلم يعد الرجل خائفاً كما كان ، ولم تعد العصا هى كل ما يملكه من حماية وعون ، بل إمتلأ قلبه بطمأنينة وسلام وسكون ، وسرى فى روحه يقين راسخ أن الله يبارك خطاه . وأن برنامج حياته ، وطريق مستقبله ، يرتبطان بسلم مديد ، رأسه فى السماء . فلا خوف من صحراء باردة مظلمة ، ووحوش كاسرة جائعة ، وحيات خبيثة لادغة . إن هناك خيطاً دقيقاً يربطه بالسماء ، والسماء لا تلدغها الحيات ، ولا يخيفها الظلام والوحوش .

وهذا وحده ضمان النجاح الذى لا تهدده مصاعب الطريق ، ولا تتربص به الأيام : أن ترتبط حياة الإنسان بالله ، وأن يكون إتجاهه ومسعاه فى دائرة خطة الله ورضاه . إذ ليس نجاحاً هذا الذى لا يصل الإنسان بخالقه .

النجاح فى إطار خطة الله

لقد خلق الله البشر ، ووضع لهم برنامجاً إلهياً ، يتحقق فيه الهدف من وجودهم فى هذه الدنيا ، وهو عبادة الله ، وتتميم قصده فى الخليقة . **فكل شئ صنعه الله ، إنما صنعه لهدف معين ، ولغرض خاص ، ولا يوجد فى الخليقة كائن عاطل لا عمل له فى خطة الوجود التى رسمها الله** . فأحداث الحياة وأسرارها ، يديرها الله بواسطة بنى البشر ، الذين وضع لكل منهم " توصيفاً وظيفياً " دقيقاً ، به يحققون ذواتهم ، وسعادتهم ، وفى نفس الوقت - يحققون الخير العام للجميع .

فإذا حقق الإنسان فى حياته خطة الله التى أوجده لها ، إمتلأ قلبه بدماء اليقين ، والتأكيد الداخلى ، والسلام الراسخ . وهذا هو النجاح الحقيقى ، الذى ينطوى على نجاحات أخرى كثيرة ، وإنتصارات دائمة ومتكررة ، ويتحقق معه كل الأهداف والرغبات والأشواق والآمال الشخصية .

أما النجاح الذى لا يأتى فى إطار خطة الله ، ولا ترتبط جذوره بإرادة السماء ، فنجاح خادع ، لا يحقق سعادة الإنسان ، ولا يشبع قلبه ، بل قد يزيده عطشاً ، ويملأه قلقاً .

إنه نجاح الإنسان الذى يربح العالم كله ، ويخسر نفسه . إنه نجاح يشبه مائدة شهية أمام محكوم عليه بالإعدام ! .

إن نجاحاً ليست فيه يد الله ، لا يستقر ولا يثبت ، إنه قفزة فى الهواء ، تحقق إرتفاعاً وقتياً ، لا يكاد يتحقق حتى يزول .. ثم يتبعه السقوط . إنه " كبالونه " فى يد طفل يطلقها فى الهواء ، فترتفع إلى حين ، ثم تهبط ! .

لذلك فهناك كثيرون من الناجحين ظاهراً ، الهابطين روحاً .

حين ينجح الجسد وتسقط الروح !

روى أحدهم مثلاً فقال :

خرج الرجل الثرى فى رحلة من رحلات التجارة ، فعهد بطفله الصغير لخادمة فى القصر . فلما عاد إليه بعد فترة من الزمن ، قالت الخادمة : ياسيدى هذه هى الثياب الثمينة التى كان إبنك يلبسها ، إنها نظيفة ومرتبة ، وقد صنعت له ثياباً أخرى

مطرزة ومنمقة ، وأضفت إليها لمسـات فنية من مهارات النساء الخبيرات ، مـن كل ما تعلمته من فنون الحياكة والتطريز .

قال الرجل حسناً ، ولكن أين الولد ؟

وأجابت الخادمة قائلة : هذا هو الشئ الوحيد الذى نقص من كل ما أودعته عندى . فلا أعرف على وجه اليقين أين هو ، فلعله خرج وأنا مشغولة بتطريز الثياب وضل الطريق .

وهذا المثل البسيط يوضح صورة الإنسان ، حين ينشغل بإهتمامات جسدية متعددة ، ويهمل روحه التى هى أثمن من كل الدنيا .

لقد جعل الله لنا أرواحاً غالية باقية إلى الأبد . وجعل لهذه الأرواح أجساداً ، تلبسها الأرواح كما يلبس الإنسان الثياب . لكن الله كثيراً ما يطلب ودائعه فى هذه الدنيا ، فلا يجد غير الثياب !

أجساد نامية ، وأرواح ضائعة .

آفاق النجاح بين يدى الله

عندما كنت صغيراً ، ذهبت مع أبى إلى قلب المدينة ، ولم أكن على معرفة بأخطار الطريق ، فقال أبى : **إياك أن تتركنى .. إجعل نظرك معلقاً بى .. ضع قدمك فى مكان قدمى لئلا تضيع فى الزحام .**

لكننى لم أدرك تماماً معنى هذا التحذير إذ لم أكن أعرف معنى الضياع . فإنشغلت بالنظر إلى الأشياء المحيطة ، وما أكثر ما يثير الصغار فى دنيا المدينة الكبيرة . والحق أننى إستمتعت كثيراً بكل ما رأيت ، ولم أدر أننى كنت أضيع فى الزحام .

ونظرت فلم أجد أبى ، وسعيت إليه فى كل طريق مفتوح ، حتى أصابنى التعب ، فجلست أبكى .

وجاء أبى ، كان مثلى مضطرباً ومتعباً ، لكنه لم يلمنى ، بل مسح من عينى الدموع ، وقال فى حزم : **من الآن ضع يدك فى يدى حتى لا تضيع .**

إننا نضيع فى الزحام لأننا لا نقدر خطورة الضياع . ونضيع فى الزحام لأن بريق الأشياء يخطف أبصارنا ، ويلهينا عن مصدر الأمان . ونضيع فى الزحام لأننا لا

نضع أيدينا فى اليد القادرة .

فإذا أردنـا أن ننجح فى رحلة الحياة المزدحمـة ، فعلينا أن نضع أيدينا فى يد الله ، فهو الذى يعرف الأخطار التى تحيق بالتائهين ، وهو الذى يملك الحماية والنجاح لتابعيه ، ولا يضيع من يده شيئ ، بل تنسكب منها أنهار الخير .

لكننـا نحتاج أن نعرف لوعة التائهين ، ومرارة الضياع ، ولهفة الغارق ليد المنقذ .

ونحتاج إلى أيد نظيفة ، وعيون قانعة ، وإرادة قوية ، وأقدام ثابتة .

وعندئذ نعرف أن الطمأنينة والأمان لا يتحققان إلا بين يدى الله ، وأن كل نجاح لا يرتبط بالسماء نجاح خادع يلمع على هامش الزمن .

إن الطيور لها آفاق تحلق فيها ، فلا تستطيع أن تعلو فوقها مهما طالت أجنحتها أو قويت ، لكن مركبات الفضاء التى تخطت دائرة الجاذبية الأرضية ، ترتفع إلى أجواء الحرية والسمو .

ونحن بالجسد نتطلع إلى آفاق محدودة ، لكن القوة الإلهية ترفع تطلعاتنا إلى خارج حدود الجسد المقيد بجاذبية الشهوات والأطماع المحدودة .

ـ فمن يهب الإنسان هذه القوة المخلصة ؟

لا أحد من بنى البشر يستطيع ، فجميعنا مهما سمت أفكارنا ، أو أشواقنا ، أو مبادئنا ، أو تديننا ، فإننا مشدودون إلى أرض الخطيئة ، تسوقنا طبيعة الشر التى فينا . فمن ينقذنا ؟ .

لا أحد غير روح الله وحده .. روح القوة المخلصة التى تنسكب فى قلب الإنسان الضائع فى أطماعه ، فترفعه فوق أطماع الجسد ، وتطلقه فى عالم الروح ، حيث بهجة القلب وراحة الضمير ، وشبع النفس ، ويقين الخلاص .

فهل نستيقظ ، فنربط برنامج الحياة بدعوة الله لنا للخلاص ، فنستلهم روح الله وندعوه فى خشوع التائبين ، وقناعة الزاهدين ، ولهفة التائهين ليضعنا على الطريق الصحيح للحياة المرتبطة بالسماء .

يارب

إمسك يدى وقدنى حيثما تشاء ،
فالنجاح الحقيقى هو أن أسير
خلفك ،
وأراك أمامى ،
أخطو نحوك ،
وأتواجد فى موضع رضاك .
إن آفاق النجاح التى أعرفها
ضيقة ومحدودة ،
وقد أجهدت جسدى وأوجعت
روحى ،
ولم أحقق شبع الجسد ،
أو راحة القلب
أو سلام النفس
فلتسكب قوة روحك المغيّرة
فتنير بصيرتى وتكشف ظلمتى ،
وتنقذ روحى
وتضعنى على الطريق الصحيح
فكل نجاح لا يرتبط بك هو الهلاك
والضياع
فخلصنى

آمين .

٤٣ - مبادئ إنسانية ..

إن أعظم نجاح فى حياتنا هو :
النجاح الذى ينقلنا إلى دائرة رضا الله !

قالوا عن النجاح :

- ابراهيم المصرى : " تشبث بآمالك ، وأذكر أن (قصور الآمال) حتى ولو عجزت الإرادة عن بنائها كاملة ، فهى وحدها التى يمكن أن تنقذ الإنسان من كهوف الخوف التى يحفرها الجبن واليأس " .
- توفيق الحكيم : " ليس المهم للإنسان أن ينجح بل أن يكدح " .
- ألبرت أينشتين : " لا تسعى أن تكون رجل النجاحات بل رجل القيم " .
- أنون : " أعلى فروع الشجرة ليست أكثرها أماناً " .
- آرثر كستانس : " إن ما تتعرض له حياتنا من أخطار نتيجة للنجاح أكثر كثيراً مما تتعرض له من أخطار نتيجة للفشل " .

كان المخترع العظيم " توماس إيديسون " (١٨٤٧- ١٩٣١ م) يقوم بإجراء التجارب فى معمله ، حين أحس أن الإحباط قد أصاب زملاءه ، بعد أن قضوا عشرات الساعات يقومون بنفس التجربة بلا جدوى . وسأل إيديسون عن سبب ضيقهم ، فقال مساعده : لقد أجرينا ألف تجربة ولم تنجح ، فشلنا ألف مرة ، لم نتقدم خطوة واحدة منذ بدأنا إجراء التجارب ، فماذا تظن يحملنا على الإستمرار ؟ .

أجاب إيديسون : ليس الأمر كما تقول ، فلقد تقدمنا كثيراً ، ونحن الآن قد توصلنا لإكتشاف ألف طريقة لا تصل إلى ما نريد ، ونحن لا نحتاج الآن إلا لإكتشاف طريقة واحدة - طريقة واحدة فقط تحقق ما نريده ! .

لقد سجل إيديسون ١٣٠٠ إختراع جديد ، بعد ملايين التجارب ، لكنه كان دائماً يريد أن يكتشف ويحقق نجاحاً جديداً .

النجاح طريق !

هناك أوجه مختلفة للنجاح ، وكل واحد منا يعرف بعض هذه الوجوه .

فهناك النجاح الدراسي والتحصيل العلمي .

وهناك الإنجازات العلمية ، والإبداعات الفنية ، والمهارات التقنية واليدوية .. إلخ .

وهناك النجاح التجارى فى مجالات الإستثمار المختلفة .

وهناك نجاحات أخرى ترتبط بجوانب معنوية ، كتحقيق الذات ، وتحقيق الشهرة ، وتحقيق البطولة .. إلخ .

وكل نجاح فى حياتنا ينقلنا إلى درجة أعلى فى سلم النجاح . لذلك لا ينبغى أن ننظر إلى درجات السلم المختلفة بإعتبارها أحداثاً منفصلة ، ونجاحات متفرقة . فالنجاح ليس المحطات التى نمر بها ، لكنه الطريق نفسه ، أنه ليس محطة الوصول ، لكنه الرحلة ذاتها .

النجاح هو صبغة الحياة الناجحة التى تتخلل كل أحداث العمر .

النجاح : من أين يبدأ ؟

ينظر البعض إلى النجاح بإعتباره حظ يأتى من حيث لا يتوقعون - تفاحة تسقط عليهم من فوق شجرة ! .

لكن النجاح الحقيقى لا يأتى للإنسان من خارج نفسه أبداً . إنه نجاح نابع من داخله ، مرتبط إرتباطاً وثيقاً بنفسه .

النجاح الحقيقى ليس ضيفاً على الإنسان ، لكنه صاحب البيت المقيم فى عمق نفسه ، فالنجاح الذى يأتى كضيف ينصرف كضيف إلى حيث جاء ! .

وكيف ينتهى ؟

لكل نجاح إمتداد محدود فى الزمن ، يتلاشى بعده أثر النجاح وبريقه وقوته . ويصبح على الناجح أن يتابع نجاحه الذابل بنجاحات أخرى متتالية ، فالذى يقف على السلم يسقط ! .

وكثيراً ما يحس الناجحون بضغوط هذا الإلتزام . بل وكثيراً ما تضيع بهجة النجاح فى قلق الخوف من السقوط . فالصعود إلى القمة لا يدوم لأحد ! .

وحين يغطى الزمن أحد النجاحات ، وتبهت الأضواء التى كانت مسلطة على هذا النجاح ، يحس الإنسان بمرارة وإحباط نتيجة لإهتزاز قاعدة النجاح تحت قدميه ، والتى ظنها يوماً ستثبت للأبد .

ولذلك يصيب الإنهيار الكثيرين من الأفراد والجماعات والشعوب نتيجة لإحساسهم بعدم اليقين من جدوى نجاحاتهم وإنجازاتهم المادية مهما سمت ، لأنها نجاحات عابرة ككل ما فى الحياة ، ولا تستند إلى تأييد أبدى ، بل يأكلها الزمن أو يردمها ! هذا يفسر لنا ما يصاب به كثير من النجوم والمشاهير من إكتئاب أو إدمان أو إنتحار .. إلخ .

فالنجاحات المادية لا تصبح ذات قيمة ما لم يصبح لها بُعد أبدى روحى مرتبط بالله ! .

النجاح الروحى !

قيل إن أباً عهد لخادمه بتربية طفله الصغير والعناية به إلى أن يعود من سفره ، وأعطاه كل ما يحتاجه للقيام بهذه المهمة . فلما عاد الأب يسأل عن ولده ، قال الخادم : تعال يا سيدى وأنظر الملابس الفاخرة التى إشتريتها له ، وأنظر الغرفة الرائعة التى ينام فيها ، والألعاب الكثيرة التى يستمتع بها ، والحديقة اليانعة التى يلهو فيها ! أنظر كيف جعلت حياته كالجنة ! لم أترك شيئاً يدخل السعادة على نفسه ولم أفعله ! .

قال الأب : هذا حسن لكن أين هو الأن ؟ .

قال الخادم : لكنك لم ترى بعد الكتب التى قرأها واللوحات الفنية التى رسمها ، والجوائز التى حصل عليها ! لقد أعتنيت بكل شئونه عناية فائقة .

قال الأب : نعم ، لكنى أريد الآن أن آراه هو ! أين هو ؟ .

قال الخادم : هذا هو الشيئ الوحيد الذى قصرت فيه ، فقد أهملت علاجه فمات ، لكن كل شيئ بعد ذلك مرتب ومنظم ورائع ! .

ولابد أن الأب قد ثار على خادمه المهمل الذى لم يفهم أن كل الأشياء لا قيمة لها إلى جانب نفس إبنه ! فالأشياء كلها من أجله ، فإذا ضاع هو نفسه ، فما قيمة الأشياء ؟ .

ولعل هذه القصة تمثل صورة للإنسان - أى إنسان منا ، أعطاه الله نفساً غالية ، وعهد إليه برعايتها ، وأسكن الله هذه النفس فى جسد بشرى مجهز بكل ما تحتاج النفس إليه . لكن الإنسان إهتم بهذا الجسد وأهمل النفس ، إعتنى بالخيمة ، وأهمل الساكن فيها ! إهتم بطلاء المنزل بالخارج ، وجعل الروح فى الداخل تختنق .

إن النجاحات المادية كلها ، هى كالملابس الخارجية التى تزين الإنسان الحى ما دام حياً ، لكنها تصبح أكفاناً بلا بهاء إذا صار الإنسان نفسه مجرد جثة بلا حياة ! .

النجاح الحقيقى هو النجاح الروحى الذى تؤيده النجاحات المادية الأخرى .

والنجاح المزيف هو البريق والطلاء الذى يغطى حياة صدئة مختفية وراء المظاهر الخادعة .

النجاح الحقيقى مركزه قلب الإنسان وروحه وعمقه .

النجاح الروحى ما هو ؟

يظن البعض أن النجاح الروحى هو التدين ، وأداء الفروض والواجبات ، ، وهو السلوك الحسن والإلتزام بالمبادئ والمثل العليا . وهذا كله حسن ، لكن النجاح الروحى مختلف عن مجرد السلوكيات ، والإلتزامات التى يأخذ بها الإنسان نفسه .

النجاح الروحى ، ليس ديكوراً ، وليس تكملة لنجاحات الحياة المادية المختلفة ، وليس إضافة إليها أو تكليل لها ، بل هو أساس كل نجاح آخر ، وهو باعث القيمة فى كل النجاحات المادية الأخرى .

النجاح الروحى يبدأ بتسليم الحياة لله ، والتخلى عن كل محاولة جسدية للوصول إلى إرضائه بالأعمال والسلوك والفروض ، لأن كل ما نأتيه من أعمال لا يمكن أن يبررنا من شرورنا - أو يطهرنا من نجاسات أعمالنا وأفكارنا ، وما أكثرها ! .

ولقد وضع الله خطة لخلاص الإنسان من عقاب خطاياه تعتمد على غفران الله الكامل ، وليس على أعمال البشر الناقصة ، والنجاح الروحى هو التحام روح

الإنسان بخطة الله لخلاص البشر ! هذه الخطة العظيمة الشاملة التى بدأت منذ الأزل وتمتد إلى الأبد ، ونحن كأفراد فى هذا الكون لا يمكن أن يكون لنا ظل من نجاح ما لم تدخل نفوسنا بخضوع ووعى فى خطة الله لخلاصنا ! .

الدخول فى خطة الله هو النجاح الحقيقى ، فالحياة داخل خطة أبدية يضمنها الله هو الذى يجعل الحياة تتألق باليقين ، وتستعيد بريقها ومعناها وهدفها .

إن الإرتباط الروحى بالله يضفى صبغة النجاح على كل شيئ ، إنه مثل لوح الزجاج الملون ، تتخلله أشعة الشمس ، فتسقط لونه على كل شيئ . فيصير كل شيئ ناجحاً ! .

والنجاح الروحى هو الذى يلوّن كل إنجازات الحياة بصبغة النجاح ، ويحول أصغر النجاحات فى حياتنا إلى أعمال خالدة ، لأننا نصير بكل جزئياتنا ضمن خطة إلهية خالدة .

إن أعظم نجاحات العمر هو أن يكسب الإنسان نفسه الخالدة ، حين يدخل بالإيمان إلى دائرة الرضا الإلهى . فيربح الحياة الأبدية الممتدة .

صرخة إنسانية

يارب

لقد أحرزت نجاحات عديدة ،
وحققت آمالاً وأحلاماً كثيرة ،

فشلت محاولاتى مرات ،
وتحققت أحلامى مرات أكثر ،

لكن نجاحى يقلقنى ،
كما يقلقنى فشلى وإخفاقى !

نجاحى ليس له قوام ،
يتبخر فى شمس نجاح اللاحقين ،

ويتجمد فى ثلاجات قلوب
الجاحدين .

صراعى مع الأيام ،
إنتصرت فيه الأيام !
إغتصب الزمن كأس نجاحى ،
وأنا حى بعد ،
ماذا تراه يفعل بعد غروبى ؟ !
سيضيع حتما عرق العمر ،
بين تجاهل العارفين ،
وسذاجة الجاهلين !

فأعطنى يارب نجاحاً خالداً ،
لا تبدده الأيام .
نجاحاً يرتبط بجوهرك الخالد ،
يمتد وراء الأيام .

إمنحنى نجاحاً روحياً ،
إكشف لى سراً علوياً ،
يدخلنى فى دائرة رضاك ،
يضمن لى أن أحيا بعد الموت .
في دائرة حماك ،

يارب .

٤٤ – مبادئ إنسانية ..

السعادة تنبع من القلب المطمئن الذى وجد سلامه فى الله

هناك قصة قديمة ، عن ملك عظيم من سلاطين الشرق ، حقق نجاحاً باهراً فى حياته ، وإستقرت الأمور بين يديه على خير ما أراد : فإمتلأت قصوره بكل ما أشتهت نفسه من أطايب الحياة .

ولكن الملك المسكين أصابه إكتئاب شديد ، وسيطر عليه حزن دفين ، لا يعرف له سبباً .

وإستفتى الملك فى ذلك حكماء القصر ، وأهل المشورة ، فلم يجدوا ما يرفهّون به عنه بأكثر مما هو فيه ، ولم يجدوا فى الأمر علة يطببونها ، أو عقبة يرفعونها ، أو مشورة ينصحون بها .

وتقدم حكيم الحكماء فقال : أيها الملك العظيم ، إذا أردت أن تكون سعيداً ، فلا سبيل إلى ذلك ، غير أن ترتدى قميصاً حريرياً لرجل سعيد ، لم يعرف البؤس والإكتئاب ! حينئذ تصبح حياتك ناعمة كالحرير ، فلتبحث فى أرضك عن هذا الرجل ، فستجد فى حلته هذه أسباب السعادة ! .

وأسرع رجال القصر يجوبون أطراف المملكة بحثاً عن صاحب القلب السعيد ، ولدهشتهم لم يجدوا واحداً من بنى البشر إلا وفى جوانبه آثار بؤس ولمحة إكتئاب .

وضاقت الدنيا بالرجال ، وهم يفتشون عن السعيد الضال ، حتى وجدوه فى نهاية المطاف جالساً أمام كوخه الخشبى فوق الجبل ، يداعب الطيور ، ويقتسم معها فتات الخبز الذى يأكله .

وإستمع الرجل لقصة الملك ، فضحك ملء شدقيه ، وإعتذر عن إجابة طلبه ! .

وإرتعب الحراس لصلافة الرجل السعيد ، إذ كيف يبخل بالسعادة على مليكهم المحبوب . وفتح أحد الرجال صندوق الجواهر وخزانة الذهب قائلاً للرجل : إغترف ما شئت من مال مقابل قميصك الرث أيها الفقير الأحمق .

قال الرجل : كنت أتمنى أن أعطِ الملك ما يشاء مجاناً ، لكننى لا أملك قميصاً حريرياً ، فليس لى من حطام الدنيا غير ما ترونه علىّ من أثمال خشنة ! .

ولعل هذه القصة البسيطة تحمل كثيراً من المعانى ، أحدها أن **السعادة المطلقة لا تكتمل فى حياة البشر المادية ، ولا تأخذ مقوماتها مما يمتلكونه من معطيات الدنيا ، أو ما يحققونه من نجاحات الحياة . بل هى شيئ مستقل ينبع من داخل النفس ، من أعماق القلب المطمئن .**

الطريق المسدود للسعادة

الناس - كل الناس - يسعون إلى إسعاد أنفسهم ، وهذا أمر طبيعى ، وحق مكفول للجميع .

فكل بنى البشر يكرهون الألم والحزن ، ويرغبون السعادة من القلب ، ويتطلعون إلى المعيشة الهانئة ، والحياة الميسرة .

لكن أغلب الناس لا يعلمون تماماً ما يحتاجونه ، حتى تتوفر لهم السعادة . فأفكارنا من جهة السعادة تتسم بالغموض ، والإبهام . حتى أننا كثيراً ما نحسب بعض الناس سعداء لما نراهم فيه من نعيم ، على حين يكونون فى مرارة المر . ونظن الكثيرين بؤساء لرقة حالهم وقلة مالهم ، وهم فى حقيقة الأمر سعداء قانعون .

لذلك فإن الكثيرين يعيشون ويموتون قبل أن يجدوا الطريق إلى السعادة - إذ هم يطلبونها فى غير مكانها ، وعلى غير طبيعتها .

فالسعادة ليست - كما نظن - فى الثراء أو الشهرة أو النجاح المادى . ولدينا شهادات كثيرة من التاريخ ، تؤكد أن الأثرياء والمشاهير ، ليسوا أكثر الناس سعادة.

فنحن نسمع مثلاً رجلاً مثل **جون روكفلر** ، المليونير الشهير يقول : **" أنا أملك ملايين كثيرة - لكنها لا تصنع سعادتى ، وأننى أتمنى أن أستبدل بها تلك الأيام الأولى ، التى كنت فيها أجلس على مقعد خشبى فى أحد المكاتب فى كليفلاند ، وأتقاضى راتباً أسبوعياً قدره ثلاثة دولارات ، وأحسب نفسى فى عداد الأثرياء ! " .**

ويقول و . هـ . فاندربلت : " إن الـ ٢٠٠ مليون دولاراً التى أملكها حمل ثقيل

أكثر من أن يحتمله ظهرى وعقلى . إنها عبء ثقيل يكفى لقتل أى إنسان ، ولا سعادة فيها " .

وهناك جون جاكوب أستور المليونير الذى قال " أنا أشقى إنسان على هذه الأرض " . فقد أصابه سوء الهضم والإكتئاب ! .

أما هنرى فورد ـ ملك السيارات الأمريكى ـ فيقول : " العمل هو تسليتى الوحيدة ، وهو المبرر الوحيد لبقائى على وجه الحياة ، لقد كنت أكثر سعادة حين كنت أعمل ميكانيكياً صغيراً " .

ولورد بايرون الشاعر الشهير الذى حاول تحقيق السعادة كما تخيلها من مختلف مصادرها ، يقول فى إحدى قصائده :" أيامى أوراق صفراء ذابلة ، ذهبت أزهار الحب وثماره ، وبقى لى الدود والفساد والحزن " .

أما فولتير الفيلسوف الشهير فيقول : " كنت أود لو لم أولد قط ! " .

وبكى الإسكندر الأكبر قائلاً : " ليس هناك عالم آخر أستطيع أن أحاربه وأنتصر عليه ! " .

إن أصحاب المال والشهرة نادراً ما يبتسمون ، هكذا يقول المليونير أندرو كارنيجى .

ولأننا لا نفهم مصدر السعادة الحقيقة ، فإننا نفقد من سعادتنا ـ ونحن نطارد السعادة ـ أكثر ما نجده منها ! .

الطريق الواحد للسعادة

وقف رجل ملحد يخطب فى حشد من البشر ، ويدعوهم إلى هجر الدين ، والتمتع بالحياة . وأخذ الرجل يثبت بالحجة والبرهان فساد الدين وضياع المتمسكين به . وإنبرى بعض السامعين لمناقشته ، فكانت حجته فى كثير من الأحيان أقوى من حجتهم !. لكن إمرأة بسيطة تقدمت نحوه وسألته سؤالاً واحد ، قالت : " أريد يا سيدى أن أسالك ، هل أنت سعيد حقاً فى حياتك الخاصة ؟ " . وحاول الرجل أن يتخلص من الإجابة الصريحة ، فقد كان هذا السؤال طعنة موجهة فى الصميم إلى نقطة الضعف فى نظريته الصاخبة .

فقد نستطيع أن نتحمس أو نتعصب لمذاهب ونظريات كثيرة ، لكن محك الإختبار هو ما يناله المرء من سعادة حقيقية فى القلب - وهو يعيش إيمانه هذا .

إن هناك طريق واحد للسعادة الحقيقية منذ أيام أبينا آدم وحتى اليوم . طريق مفتوح للجميع ، لا يحتاج إلى دراسة أو علم ، لا يشترط الثراء أو الشهرة ، ولا يُحرم من المرور فيه إلا من حرموا أنفسهم . **إنه طريق السعادة النابعة من القلب المطمئن الذى وجد سلامه فى الله .**

إن السعادة الحقيقة هى معرفة الله معرفة إختبارية - من القلب . ليس معرفة التدين ، وأداء الفرائض والطقوس ، بل معرفة الإختبار والحياة فى الله و بالله .

إن الإنسان السعيد هو الذى يمتلكه روح الله ، ويصنع منه إنساناً جديداً .

هذا الإنسان الجديد يبتهج فى داخله ، لأن روح الله فيه يكفل له سعادة خاصة - سعادة روحية لا تنال منها نقائص الجسد المادى .

إنه قد يتألم أحياناً بالجسد ، وقد يضعف ، ويخاف ، ويتعب ، ويبكى ، لكن ينابيع السلام والفرح الداخلى تغمره ، فتبدد القلق وتفجر السعادة ! .

هذا هو إختبار السعادة الحقيقية لمن يغيره روح الله .

- **إنها سعادة الضمير المستريح :**

منذ سقط الإنسان فى بحر الخطيئة الصاخب ، فإن أمواجه الهائجة تلطمه وتقض مضجعه على مر الأيام .

وشكاية الضمير على الإنسان الخاطئ هى جحيم الحياة الذى يبدد ألوان السعادة الوقتية . ويدفع إلى ذاكرتنا الصور السوداء للقلب الخاطئ .

لكن الإنسان الذى يجد سلامه فى الله ، لا يخشى عذاب الضمير ، فهو يعلم أن الله قد غسل خطاياه ، وأثامه ، وشرور أعماله بقوة روحه القدس الذى يطهر القلب .

- **إنها سعادة الإرتفاع فوق أحداث الحياة :**

فينابيع السعادة تنبع من داخل القلب ، وليس من معطيات الدنيا المتغيرة المتبدلة الخادعة . إنها سعادة لا تتأثر بمرض أو حاجة أو موت . سعادة أساسها ثابت كالصخر فى وسط المياه الهائجة .

فالعواطف ليست مرتبطة بالحياة الدنيا ، بل بالحياة الباقية .

والإرادة ليست مرتبطة بالرغبات الذاتية بل بمشيئة الله .

● **إنها سعادة الإسترخاء والخشوع فى عالم الروح :**

إنها السكينة الروحية ..

فصاحب القلب المطمئن - الذى يسكنه روح الله ، يستطيع أن يستمتع بعشرة الله والتواجد فيه . إنه يتأمل الماضى بكل دناياه ، فيحمد الله على غفرانه ، ويتأمل الحاضر ، فيرى فيض بركات الله عليه روحاً وجسداً . ويرى مستقبله مضموناً فى أبدية سعيدة . أساسها غفران الله ووعوده .

صرخة إنسانية

يارب

أنت سعادتى ، وفرحى ، وبهجتى ،
وغناى .
فماضى حياتى مستور بغفرانك ،
وحاضرى مكفول بسخائك ،
ومستقبلى مضمون بوعدك لى
بالحياة الأبدية السعيدة ،
أحمدك ، لأن عقيدتى فيك يؤيدها
سلامك الذى يغمر القلب حتى فى
أحلك الليالى المظلمة .

فافتح قلوب إخوتى ليعرفوا
سلامك ،
عمل روحك فى تقديس القلب ،
وتغيير الحياة
وضمان الأبدية
فهذه يارب هى السعادة الحقيقية .

٤٥ – مبادئ إنسانية ..

السعادة لا تصنع ، لكنها تفيض من الداخل متى كان القلب مليئاً بها !

جلست الطفلة الصغيرة على المائدة تتناول طعام الصباح ، وعلى عادة الأطفال ، أخذت الصغيرة تلهو بكل شئ على المائدة .

كانت الشمس قد أشرقت ، وتسلل أحد أشعتها البرتقالية من خلال نافذة غرفة الطعام ، فسقط على ملعقة معدنية لامعة فوق المائدة .

وأشرق وجه الطفلة عن إبتسامة صافية ، ومدت يدها في حذر شديد لتمسك بالملعقة ، وتضعها فى فمها وهى تقول فى براءة : **لقد أكلت ملعقة كاملة من ضوء الشمس ، وسوف يضئ النور فى داخلى طوال اليوم ! .**

ولعل هذه الكلمات البسيطة التى قالتها الطفلة تعبر عن معان حقيقية فى حياتنا ، فهناك أشياء كثيرة لابد أن تمتلئ بها أولاً ، حتى نستطيع أن نعكسها ثانية من داخل أنفسنا ـ تماماً ـ مثل (بطارية) الكهرباء فى السيارة ، تشحن أولاً لتعطى بعد ذلك نوراً .

والسعادة واحدة من هذه الأشياء ، **إنها لا تصنع ، لكنها تفيض من الداخل ، متى كان الداخل مليئاً بها ! .**

والسعادة مادة نقية ، لا تختلط بالأشياء ، فهى حين تدخل قلباً مليئاً بالهموم والإنشغالات والمخاوف ، فإنها تطرد هذه الأشياء ، ولا تمتزج بها فإذا كان لتلك الأشياء سطوة على القلب فإن السعادة تتركه إلى موقع آخر ، فالسعادة تعايش من يرحب بها ، ويفسح لها مكاناً لائقاً فى حياته .

السعادة لا تحيا مع أعدائها .

أعداء السعادة ..

السعادة هى الرضا التام والدائم بما تناله النفس من الخير .

وقد كان الإنسان البدائى يتطلع إلى ثلاثة أشياء هى **الصحة ، والغذاء ، والأمن** . فإذا توافرت له أسباب الصحة ، ومائدة الطعام ، وخيمة للمبيت الآمن ، إكتملت له أسباب السعادة .

لكن الحياة تعقدت ، وتداخلت ، فلم يعد جسم الإنسان بمنأى عن الخطر ما دام موفور الصحة ، ذلك لأن الخطر له الآن أبواب كثيرة غير المرض . ولم يعد طعام اليوم كافياً ليعطيه الطمأنينة على غده ، ولم تعد حتى القلاع الحصينة كافية لبث الإحساس بالأمان ، مادامت أسلحة الدمار المختلفة قادرة على دخول المخادع .

لقد أصبح الإنسان شقيا بصراعاته المختلفة ، وطموحاته الممتدة .

والسعادة ضد الشقاوة ، فكل ما يشقى الإنسان ، تكرهه السعادة ! وعليه أن يترك لها مكانه .

ولو تأملنا فى أسباب الشقاء ، وجذوره العميقة فى قلب الإنسان فإننا نستطيع أن نضع أيدينا على بعض هذه العوامل :

- **ذنوب الماضى :**

هذا الإحساس الإنسانى بالألم من أجل ما نقترفه من أخطاء ، يشقى الإنسان ويتعسه . ولذلك يحاول كل واحد فينا أن يتخلص من الإحساس بالذنب ، ولكل واحد فى ذلك مذهبه ، فهناك من يلجأ إلى تخدير ضميره ، أو إلى التحرر من قوانين الدين والأخلاق ، أو إلى رفض المبادئ والمثل بإعتبارها قديمة لا تناسب العصر .. الخ هذه الإدعاءات .

ومن الناس من يجتهد فى تبرير تصرفاته ، وتزويقها لتبدو على غير حقيقتها ، وليبدو معها كإنسان صالح طيب النية .

وهناك من يعيش صراعاً داخلياً مراً ، فهو يعرف مدى خطئه ، ويستذنب نفسه فيما أتى ، حتى يحطم قواه بلا فائدة .

لكن أحكم البشر هم الذين يعترفون لله بالخطأ ، فى أسف حقيقى وإعتراف صادق دون قهر وإذلال للنفس ، ويطلبون غفران خطاياهم بتوبة صادقة ، معتمدين على رحمة الله التى رسمت طريقاً واضحاً للخلاص يعلنه الله للصادقين .

وحينئذ لا يجد الصراع الداخلى حجة يبقى بها فى القلب ، ولا تركب الشقاوة مطية الإحساس بالذنب لتحطيم الإنسان الخاطئ .

● **القلق على الحاضر :**

يعتبر القلق - ولو فى أدنى صوره - عدواً للسعادة ، ويقف حائلاً دون دخولها للقلب . وكثيراً ما تحس بشئ من القلق ، يتمثل فى درجات متفاوتة من الخوف بسبب ما يرقى إلى مسامعنا من أحداث كثيرة تدور حولنا ، ومنها ما يمس معيشتنا بصورة مباشرة ويمثل خطراً على حياتنا ، ومنها ما يهدد مجتمعنا أو عالمنا بجملته .

فمما لا شك فيه أن أخبار المجاعات ، والجفاف والزلازل ، والحروب ، والأسلحة النووية .. الخ ، تضفى بعض القتامة على حياتنا ، وتولد فينا كثيراً من التوتر والقلق . وليس أقل من ذلك ما تحدثه أخبار الجرائم الفردية التى تمس الأفراد الآمنين وتجعلهم حذرين حتى فى خطواتهم اليومية ، خائفين على ذويهم وإخوتهم ! .

والسعادة لا تعايش القلق اليومى .. السعادة تشع من القلب الآمن على حاضره ، الواثق فى خطواته ، الثابت فى موقعه .

● **غموض المستقبل :**

من ألد أعداء السعادة ، ذلك الغموض الذى يكتنف المستقبل . فمن لا يطمئن على مستقبله ، لا يمكن أن يحيا سعادة حقيقية دائمة ! .

فقد يحيا الإنسان لحظات من النشوة مستمتعاً بلذة مؤقته ، لفترة قصيرة أو طويلة ، لكن لذته العابرة حين تنقضى تترك من ورائها الألم والإضطراب ! .

وكثيرون يقلقهم ما يحيط بمستقبلهم القريب من غموض ، ولكن خوف الإنسان يمتد أيضاً إلى ما وراء أيام العمر ، فمستقبلهم غامض أيضاً ، والتفكير فيما وراء القبر يولد المخاوف والهواجس ، ما لم تكن هناك الطمأنينة الواثقة ، المؤسسة على يقين ثابت ورجاء لا يتزعزع بعهد إلهى صادق .

لذلك أيضاً يفرق الفلاسفة المحدثون بين اللذة والسعادة ، بإعتبار الأولى حالة وقتية (آنية) تابعة للزمان ، أما السعادة فهى الرضا التام الثابت ، فإذا أرتبطت السعادة بالرضا الروحى أصبحت غبطة **Blessedness** ، وهى حالة مثالية تقوم

علـى تأمـل الحقـائق الأبديـة فـى نـشوة ثابتـه كاملـة دائمـة ، لا تتغيـر فـى الكـم ولا فـى الكيـف ، ولا تخضـع لقوانين أو التحـول ! .

لـذلك فـإن الـسعادة لا تـدخل قلبـاً لا يمـلأه الرجـاء ، والثقـة ، واليقـين بـالخلود فـى نعيم الحياة الأبدية .

وتدخل السعادة .. !

إذا هجرت القلب مخاوف الماضى وما به من إحساس بالذنب ،

وإذا هجرت القلب مخاوف الحاضر وما به من قلق على المعيشة الحياة ،

وإذا هجرت القلب مخاوف المستقبل وما به من غموض المصير ،

جاءت السعادة لتغمر القلب بفيض من السلام الدائم المتجدد ، فتمضى المخاوف لتحل محلها :

- **سعادة الغفران :**

حين يمحو الله الخطايا ، ويغسل القلب ، وينير العين ، ويطهر الضمير ، ويكشف الطريق إلـى الحيـاة . فينتقل الإنسان من ظلمـة منتصف الليل إلـى ضـوء الظهيـرة الوضاح .

- **وسعادة الحياة مع الله :**

حين تتحـول رحلـة العمـر إلـى سياحة فـى صـحبة الله ، الـذى يـضمن حاضـرنا ، ويؤمن سلامة أيامنا .

لذلك قال أحدهم : " السعادة هـى الرايـة التـى ترفرف علـى قلعـة القلب حين يكون الملك موجوداً بداخلها " ! .

- **وسعادة الرجاء :**

هذا الرجـاء الـذى يتولـد فينـا حـين نحـول أنظارنـا عـن البـشر ، ونتـرك محـاولاتنـا الخائبـة لإصـلاح الـذات ، ونلقـى بأنفسنا علـى الله . كـسفينة النجـاة ، حـين نتمـسك بـه فنمتلئ يقيناً بوعده أن يمنحنا الحياة الأبدية فى سماء المجد والخلود لا لأننا نستحق ، ولا لأن خطايانا أقل من سوانا ، ولا لأن أعمالنا الصالحة قد زادت علـى سيئاتنا . بل

لأن الله قد وهب لنا هذه الحياة الأبدية بقوة روحه القدوس الذى يحيى الموتى، ويجدد النفوس ، ويخلق المؤمنين به خليقة جديدة أبدية ! .

ما أحوجنا إلى سعادة يقينية ثابتة ، تملأ كل القلب .. تعالج جراح الماضى ، وقلق الحاضر ومخاوف المستقبل .

صرخة إنسانية

يارب

أعلم أن السعادة لا تشترى !
ولا تصنع !
وأعلم أن السعداء فى الأرض قليلون !
وأعلم أن الغارقين فى بحور اللذة ،
غارقون أيضاً فى دوامات القلق .
فإضطراب القلب
لا يخفيه إدعاء اللسان .

يارب

إنى أسالك سعادة حقيقية ،
تغمر قلبى ،
وتفيض فى أيامى ،
سعادة تطرد مخاوفى ،
تضع شعارها على واجهتى ،
تلّون فرحى ،
وتجمّل الآمى .
إمنحنى السعادة من مصدرها ،
من بابها الحقيقى .
فإن جهدى لم يدلنى إليها ،
وطرق الناس لم تصل بى إليك !

يارب

إنى اسألك الآن ..

إفتح عينىّ على طريق النور والحق ،
فطريق الغفران لن يهدنى إليه
سواك !
إغفر لى خطايا العمر ،
جدد قلبى ،
إهدنى فى مسيرة عمرى ،
وأضمن سلامة رحلتى ،
فلا أمان لى فى يد البشر .
إملأ قلبى بالرجاء ،
ففى الموت أيضاً -
تفتح طريقاً للحياة .
أى سعادة تلك التى تغمرنى الآن ؟
إنى أحمدك ،
فتقبل دعائى ،

يارب .

٤٦ - مبادئ إنسانية ..

هناك أفراح بسيطة المظهر تغمرها السعادة ،
وأفراح تبدو غارقة فى الأضواء وهى محفوفة بالأشواك

كانت العروس الصغيرة ، ذات عقل وفطنه ، وصاحبة ذوق وأدب ، فضلاً عن كونها آية من آيات الحسن والجمال . وسبحان الله ، فقد أحسن خلقتها ، كما أحسن أبوها تعليمها وتربيتها . فصارت وهى فى مصر ، حديث الناس فى كل الأمصار .

ثم جاء يوم الأحلام لتزف الصغيرة إلى الخليفة فى بغداد ، وهو سيد من سادة العباد ، وملك مهاب فى كل البلاد .

وعهد أبوها إلى تاجر من تجار الجواهر أن يعد جهاز إبنته المحبوبة ، فأنفق على تجهيزها كل أموال الدولة ، وهيأ جهازاً لم تر مثله عين ، فلم يدع شيئاً من أسباب الترف الذى يراود الناس فى الأحلام إلا وحمله إليها . فقد حملت لغرفة نومها سريراً ضخماً من الذهب الخالص ، عليه قبة ذهبية تتدلى منها أقراط من الذهب تتعلق بها حبات من الجواهر النادرة ، التى لا يعرف لقيمتها حداً ! وحملت من بين ما أعدت من أدوات المطبخ مئة هاون كبير من الذهب الخالص ، ولم تترك تحفة من تحف مصر لم تحملها الجمال والبغال المكسوة بالحرير والمزينة بالذهب ، خلف موكب العروس .

ومع شروق الشمس ، خرجت جماهير الناس فى " مدينة القطائع " لترى الموكب العظيم ! .

جلست العروس فى هودجها بين النمارق والحشايا . تحيط بها جياد الأمراء والأعيان وقادة الجند .

وعلى جانبى الطريق ، وقف الحراس ، وقد لبسوا الديباج ، وشرعوا السيوف البارقة فى عين الشمس ، على حين سار الملايين يغنون ويرقصون ، ويودعون " قطر الندى " بأغنيات ، لازال الناس يتناقلونها فى مصر وبغداد ، من جيل إلى جيل على مدى ألف ومئة سنة من الزمان ! .

ولم يكن هذا كل ما أعده الأب لعرس إبنته ، بل إنه بنى القصور ، على طول الطريق بين مصر وبغداد ، فكان أول القصور على شاطئ النيل ، وآخرها على شاطئ دجلة .

لكن هذا التجهيز العظيم ، أتى على مال الأسرة ، فلم يترك من ثروة " آل طولون " ما يسمح للدولة بالبقاء ، ولم يتحقق لوالد العروس ما كان يصبو إليه من مصاهرة الخليفة ، لتثبيت قدمه فى الحكم . فقد إنقلب عليه الخدم - بعد أن إفتقر - فقتلوه ! وإستبد الحزن بالعروس الصغيرة ، فماتت وهى لم تبلغ ربيع العمر ، وأغلق التاريخ صفحة العروس " قطر الندى " التى باهت الزمن بجهازها الفريد .

وكم من مبالغات فى أفراحنا ، قد يترتب عليها متاعب ، تفسد حلاوة أحلى أيام العمر . وتفسد كل أيام العمر .

بساطة وسعادة

كم من أفراح بسيطة المظهر ، تحيطها السعادة ، **فالزواج ليس حفلاً كبيراً ، أو ثياباً غالية ، أو ولائم عظيمة ، لكنه الصفاء والحب والنوايا الخالصة ، إنه لقاء روحين ، ووفاق قلبين يجمعهما رغبة فى الحياة المشتركة فى ظل مشاعر حب متبادل ، وعطاء متبادل .**

إن بساطة المظهر والثياب ، وبساطة الإحتفال بالزواج قد يمنح العروسين مجالاً أعمق للمودة والتعاطف ، قد لا يتحقق فى ظروف أوفر . فالبيت الذى يبنى على القناعة تتوافر له أسساً أقوى على مجابهة الحياة ، وتقل فيه إحتمالات التوتر فى مواجهة الصعاب .

أضواء وأشواك .. !

وعلى الصعيد الآخر ، فهناك أفراح ، تبدو غارقة فى الأضواء ، لكنها محفوفة أيضاً بالأشواك ! .

فكثرة الأضواء وحدها ، لا تصنع سعادة البيت الجديد . إنما تصنعه القلوب المنيرة من الداخل ، التى لم تعتمها النوايا الشريرة . والأغراض الشخصية ، فالنور الحقيقى هو نور الصفاء والصدق فى قلبى الشريكين .

قرأت عن زوج دعا عروسه إلى نزهة بالسيارة . وفى الطريق ، وبينما العروس فى نشوة فرحتها ، إذ بالرجل يخرج مسدسه ، فيطلق النار عليها ، ثم يصيب نفسه أيضاً فى ساقه ! مدعياً أنه تعرض لطلقات مجهولة ، أودت بحياة زوجته الغالية ! لكن التحقيق أثبت أن الرجل الخبيث ، كان قد تزوج عروسه طمعاً فى مالها ، فلما ثبت له أنها لا تملك ما يريد أراد التخلص منها ! أليس هذا الشر دليلا على بشاعة الغرض الدنئ ، المتخفى وراء مظهر الإرتباط المقدس ؟ .

وكم من أزواج مرتبطون ، ونواياهم ليست صافية لوجه الحب ، فهناك كذب فى المشاعر ، وقصور فى العطاء ، وعجز عن الفناء فى شريك العمر .

فماذا تساوى الأغطية البراقة من أضواء باهرة ، وأثاث فاخر ، وثياب ثمينة ، وإحتفالات غانية ؟ .

إن سوء النوايا ، وظلام السريرة يعتم الطريق ، مهما كان البريق ومهما كانت الإمكانات والمظاهر .

الزواج الذى عقده الله ..

لا نعرف كيف أحتفل أبونا أدم بزفافه إلى أمنا حواء . لكن الذى نعلمه أن الله قد جمعهما فى مكان واحد . وبروح واحدة ، تحت رعايته ، ليكون كل منهما معيناً للآخر . **وأعطى الله لكل منهما الحكمة ليعرف مسئوليته ، والحب ليؤدى هذه المسئولية .**

ويظل هذا الوفاق قائماً ، ما دام كل من الطرفين متصلاً برفيقه من ناحية ، وبالله من جانب آخر . فإذا إهتزت العلاقة بالله ، إهتزت معها علاقة الطرفين فى داخل البيت .

فما زال سر السعادة فى البيت مرتبطاً بهاتين الحقيقتين : أن يكون الله هو الذى جمع الطرفين ، وأن يكون الطرفان معاً على علاقة وطيدة بالله .

أفراح القلب السعيد ..

إن إرتباط الإنسان بمن يحب من البشر بعهد وفاء دائم هو إختيار العمر للسعادة

الأرضية . كذلك فإن إرتباطه الروحى بالله - بعهد وفاء أبدى - هو المنطلق لسعادة الأبد والخلود ! وهو الفرح الحقيقى الذى لا تخبو أضواءه ، ولا تنتهى سعادته .

فأفراح الدنيا تلحقها متاعب العمر ، وتنطفئ بهجتها تحت وطأة الحياة ، أما الفرح الذى يبلغه الإنسان حين يرتبط بالله ، فإنه يتحول فى داخله إلى ينبوع سعادة متجدد - يغمر القلب ، ويهب العزاء ، ويجدد شباب العمر مهما كانت الظروف المحيطة ! .

صرخة إنسانية

يارب

أحمدك من أجل مشاعر الحب ،
فأنت الذى أودعت المحبين ،
نبضات قلب يحب .

وأحمدك من أجل الأفراح ،
اليوم المنتظر
اليوم تكتمل فيه سعادة قلبين .

أحمدك من أجل يوم العرس ،
كل زفاف تم فى حضرتك ،
كل زفاف سيتم برضاك .

أحمدك من أجل الوفاء ،
وفاء إثنين
- أى إثنين - يعيشان فى خوفك .
فأنت الذى تربط القلوب ،
حين تصفو النوايا .
وأنت الذى تنتزع بذور الغدر ،

حين تشتعل الأنانية .

أشكرك ، لأن إرتباطنا بك
هو ينبوع السعادة الحقيقية .
هذه السعادة التى تغمر الفقير ،
كما تغمر الغنى ،
وتشبع قلب الجائع والمحروم
وتدرك المريض والمتألم .

فاربط قلبى بك
قبل إرتباطه بمخلوق دونك .
نظف قلبى من فساده وأطماعه ،
وطهر نفسى من خداعها وشهوتها ،
إربط قلبى بك
فى موقع طهر ،
ولحظة صدق

يارب .

٤٧ - مبادئ إنسانية ..

ليس كل من ضحك سعيداً ! ، وليس شقياً كل من بكى !

فى إحدى دور الصحافة ، كان هناك محرر خاص يكتب صفحة الفكاهة ، ويضع فكرة الرسوم الكاريكاتيرية ، ويعقب على الأحداث بأسلوب ساخر ! وظل الرجل يتولى هذه المهمة لسنين طويلة ، حتى صارت الفكاهة جزءاً من تكوينه النفسى والأدبى .

وبينما كان يمارس عمله بنجاح ، وشى به المغرضون لدى صاحب العمل ، وأوغروا صدره من جهته ، فأسفر مسعاهم إلى إبعاد هذا المحرر الصاعد من ميدانه الذى أبدع فيه ، ونقله إلى قسم الحوادث ! .

وكاد الرجل يجن ، فما أبعد المسافة بين المجالين ، فهو يعيش فى إحداهما على الضحكات ويعيش فى الأخرى مع الدموع ! .

وبعد شهور توسط أهل الخير لإصلاح الأمر ، وإرجاع المحرر إلى عمله الأصلى ، لكنه - للعجب - رفض العودة ، وقال : لقد وجدت عملى هنا أسهل كثيراً من عملى هناك ، فإضحاك الناس عمل شاق ، أما إثارة أشجانهم فأمر هين للغاية ! .

الناس لا يقبلون على الضحك ، بقدر إقبالهم على الأسى ، والذين يضحكون تخفت ضحكاتهم سريعاً ! .

منذ سنوات قليلة ، عقد فريق من الأطباء والعلماء وأساتذة الطب الأمريكيين مؤتمراً علمياً لدراسة " الضحك " ! . وفى هذا المؤتمر إتفق الأطباء البشريون والنفسيون على أهمية الضحك فى العلاج والوقاية ! وتوصلوا إلى أن **الضحكة من القلب** تنجم عنها آثار مباشرة لصالح الجسم . والجدير بالتأمل هنا : هو التركيز على أن الضحك المفيد هو الضحك من القلب - من الأعماق .

والناس فى أيامنا لا يضحكون من الأعماق ، فقد تناقص الضحك فى عالمنا . نضب معين السلام الداخلى ؛ فكيف تفيض القلوب بينابيع السعادة ؟ .

كثيراً ما يضحك الناس بشفاههم ، يصدرون أصواتاً عالية متقطعة ، تختلج معها عضلات الوجه ، ويهتز البدن ، لكنهم لا يضحكون من الأعماق ، فليس كل من ضحك سعيداً حقاً .

فى تاريخ المسرح المصرى ، عرف الناس " على الكسار " نجماً من نجوم الكوميديا ، الذين أشبعوا جماهيرهم ضحكاً لسنوات طويلة ! .

وقد حدثت له قصة جديرة بأن تروى ! فبينما كان يقوم بأحد أدواره الفكاهية ، أستدعى إلى وراء الكواليس ليُخبر بنبأ أليم هو وفاة إبنه الشاب ! وبكى الرجل بكاء مريراً ، لكنه عاد ليمسح دموعه ، ويصعد إلى خشبة المسرح ليقدم الفصل التالى بين قهقهة المشاهدين وتصفيقهم ! ولا شك أنه كان يتمزق فى داخله ، وهو يتصنع الضحك ، ويردد الفكاهات ! .

وهذه القصة تتكرر كثيراً فى حياة الناس الذين يأخذون على عاتقهم إضحاك الآخرين . ومن هؤلاء نعرف قصة نجم الكوميديا الإنجليزى " تون هانكوك " الذى أشتهر فى منتصف هذا القرن بمسرحياته الإذاعية ، التى أضحكت الجمهور البريطانى كله لما فيه من مفارقات وتعليقات ذكية . لكن فارس الفكاهة ، كان يعيش وراء الكواليس محنة طاحنة ، أدت إلى إنهيار حياته الأسرية ، وإدمانه الخمر ، وإبتعاده عن الأضواء ، إلى أن مات منتحراً فى غرفته الصغيرة بعيداً عن وطنه عشاق فنه ! .

وليس الحال أفضل من ذلك ، عند الأدباء وكتاب الكوميديا ، فهم أيضاً - وفى مرات كثيرة - يضحكون بأقلامهم فقط ! .

وهناك مثال مشهور لذلك ، الفنان الأيرلندى اللامع " سبايك ماليجان " ، ذلك الفنان الذى وصفه النقاد بأنه عبقرى نادر الوجود فى تاريخ المسرح الفكاهى البريطانى ! هذا الرجل كان يعانى من إكتئاب شديد ، وحياة عائلية فاشلة ، أدت به إلى إحدى المصحات النفسية ! لكن شر البلية أنه كان مضطراً تحت هذه الظروف القاسية ، وبالرغم من الآلام الإكتئابية الحادة ، كان مضطراً أن يكتب المسرحيات الفكاهية إسبوعياً ، ليضمن لقمة العيش لوليده الصغير ! **وظل ماليجان يضحك بقلمه ويبكى بقلبه ! .**

عندما كنت طالباً بالمرحلة الثانوية تعرفت على زميل من زملاء الدراسة يدعى " عطا " . وكان زميلى هذا شاباً مرحاً ، محبوباً من الجميع ، لما تميز به من خفة الظل ، والإقبال على الحياة .

كان وجود " عطا " فى مجتمع ما ، يعنى إشاعة السعادة ، فهو إلى جانب حضور بديهته ، وتعليقاته اللطيفة ، يعتبر موسوعة للطرائف والنوادر ، التى يرويها فى سياق جيد ، ورواية مليحة . من أجل ذلك فقد فاز بلقب " ملك الضحك ".

ومرت سنوات كثيرة لم ألتق فيها بزميل الصبا الضاحك ، إلى أن رأيته يوماً بعد سنوات كثيرة ، ورأيت على وجهه إبتسامة صافية . قلت له : أما زلت تضحك ؟ فابتسم قائلاً : **إبتسامتى اليوم خير من كل الضحك الذى ملأ فمى فى الماضى ! قلت ما الفارق ؟ قال : كنت أضحك من فمى ، وأصبحت أبتسم من قلبى ! .**

ورأى محدثى حيرتى ، فأضاف قائلاً : الحقيقة إننى برغم كل الضحك الذى ضحكته فإننى لم أكن سعيداً ، بل كنت صريعاً لقلق شديد ، فحاولت أن أغرق فى بحر الضحك ! قاومت القلق بالفكاهة لكن الحيلة لم تفلح ، كان هناك شئ ثقيل فى صدرى ، أريد أن أحركه فيزداد ثقلاً ! .

وجاء الوقت الذى أزاح الله فيه هذا الثقل ! بعد أن صارحت نفسى ، وواجهت ذاتى ، ونقبت فى داخلى عن سر قلقى ، الذى طالما تسترت عليه ، وسترته بالضحك ! .

كانت حياتى محوطة ببلادة روحية ، وجمود فكرى ، ومع ذلك فقد أدركت أن إنبساط عضلات الوجه ، والقهقهة الصاخبة لا تحدث سعادة القلب ، بل أن سعادة القلب هى التى تلد (الإنبساط) الحقيقى ! .

ولقد كان الله كريماً معى ، حين كشف لى أن القلب لا يكون سعيداً ، ما لم يفرغ ما فيه من دنايا النفس ، ويمتلئ بروح الطهارة والحب ...

وعرفت بين يدى الله ، كيف تغسل الدموع كآبة القلب المنكسر ، وكيف تفجر فيه ينابيع الرضا والسعادة ! .

وبكيت ليلتى ! إعترفت بذنوبى ، وأودعت أثقال خطاياى عند أبواب الرحمة الإلهية .

وحين ملأ الله قلبى بيقين المغفرة وأجرت يد الله تغييراً فى الأعماق ، حينئذ أشرقت على شفتى إبتسامة السلام القلبى التى لم أعرفها من قبل . وضحكت فى أعماقى بلا صوت ، وبلا ضجيج ! .

فوإن كان للضحك مركز بالمخ تنتقل إليه الدوافع المضحكة ، فإن للسعادة مركز بالقلب تشيع منه البهجة لتملأ الحياة الإنسانية بجملتها .

صرخة إنسانية

يارب

وبرغم الصوت الصارخ فى أذنى
أن آتى إليك ،
لم أشغل نفسى بك !

حاولت أن أخفى قلقى
وراء ستار الضحك !
حاولت أن ألتمس سعادتى
فى أحضان اللهو الصاخب !
حاولت أن أخفف قسوة الأيام
بالإسراف فى المرح !
ظننت السعادة ضحكات ملونة ،
فلطخت بها صفحتى ،
كوجه مهرج السيرك !
ولم أعرف أن السعادة
ينبوع يقين دافق فى الأعماق ،
ينبوع سلام
يتدفق فى قلب التائب
القلب المغسول .
المتطهر بين يديك

فاعمل فى قلبى عملاً ،
إغرس فى قلبى نبعاً
أغرقنى فى بحر التطهير
فيشيع سلامك فى شفتى
ويضئ رضاك على وجهى ،
فيمتلئ فمى ضحكاً
وترنماً ،
لك وحدك ،

يارب

٤٨ - مبادئ إنسانية ..

ولا نكتمل السعادة فى حياتنا
قبل أن نلتقى إرادتنا مع إرادة الله لنا !

كانت الفتاة الهندية الجميلة تستعد للزفاف ، حين إكتشفت ظهور بعض البثور المؤلمة فى أطرافها ، وعلمت بعد قليل أنها أصيبت بالجزام ! .

ولم يكن أمامها إلا أن تغير حياتها لتتوافق مع المفاجأة القاسية . فذهبت فى صحبة أخيها - وهى كسيرة القلب - إلى مستعمرة الجزام - ذات الأسوار الشاحبة خارج المدينة .

وعندما خطت بقدمها داخل البوابة الكنيبة ، إنقبض صدرها . فها هى تدخل بوجهها الصبوح وشبابها النضر إلى مجتمع المجذومين . وقد رأت فى اللحظة الأولى ما كانت عليه السيدات المجذومات من بؤس وحزن عميق ، فضلاً عن قذارة المكان ، ووسخ الثياب ، وبذاءة الأخلاق ، بل وشراسة الطباع أيضاً ! .

كانت الفتاة ترتدى ملابس عروس صغيرة جميلة ، رقيقة نظيفة صافية ، بريئة صبوحة معطرة . وأدركت فى الحال ما ستكون عليه فى هذا المكان الموحش الكئيب المهمل ، وما ستنتهى إليه بين أنياب المرض الشرس والقروح العفنة ! .

وأسندت الفتاة رأسها الصغير على كتف أخيها ، وبكت بمرارة وأسى كما لم تبك من قبل . كان سوء المصير أكبر من أن تتحمله فتاة صغيرة ورقيقة ونابهة ، بعد أن تلقفتها عيون كئيبة - حاقدة - مرة النفس - غارقة فى وحل المرض ودناءة الخلق أيضاً .

وحين إنسحب أخوها عائداً وأغلق الباب ، تيبست قدماها ، وإرتعشت أطرافها ، ولم تستطع أن تخطو نحو العنبر الكئيب . وإتجهت أفكارها إلى البئر العميقة وسط فناء الدار ، وأحست أن هذه البئر العميقة أحق بأن تأخذ شبابها من مستعمرة المجذومين .

وقبل أن تُقدم على الإنتحار ، جاءت سيدة خشنة وجذبتها إلى داخل البيت - لتقضى أولى لياليها السوداء ! .

وعلى فراشها العفن وسط عشرات المجذومات ، بكت الفتاة كثيراً . وكانت دموع .. وكان عتاب ، وكانت آلام طاحنة ، ثم إحباط وتمرد ورفض وغيظ وأفكار معتمة .

وجاءت الليلة التى غيرت كل شئ . ففى هدأة الليل ، ووسط بحور الدموع ، تحدث الله إلى قلبها الجريح وإلى أحاسيسها المرهفة الطيبة . وقال الله لها إنه أتى بها إلى ذلك المكان الكريه من أجل غرض نبيل ولرسالة هامة ! قال الله لها إنه رأى ما آلت إليه حياة النساء البائسات من شقاء ، فأرسلها إليهم لتكون رسالة حب وإنقاذ ورحمة ، وليجعل منها الدواء والسلام للقلوب الممزقة ! .

ومرت الأيام والليالى وهى تدعو الله ، وتستوضح ما يريده فى حياتها . وتعامل الله معها فإكتملت رؤيتها ، ونسيت آلامها الخاصة ، وبدأت رحلتها فى إنعاش روح المجذومات وبعث الحياة فى كيانهم المحطم ! .

وبدأت حملتها الأولى فى تنظيف المكان ، وبعد شهور قليلة تحول المكان إلى حديقة مزهرة ، تحولت غرف النزيلات إلى أماكن نظيفة ، وتغيرت ملامح المجذومات وملابسهن ، وإرتسمت على الوجوه إبتسامة الرضا والقبول . وتحول اليأس إلى حياة وحب وخدمة وتعاطف وعطاء ! .

وبعد سنوات كثيرة قالت الفتاة : " لقد رسم الله لى حياتى بمشرط الجراح ، فأماتنى وأقامنى إنسانة جديدة .

لقد ألقى الله بى كما تُلقى حبة الحنطة فى الأرض ليموت غلافها الخارجى ، ثم ينبت من كيانها المحطم عوداً أخضر مليئاً بالثمار والحياة والربيع . ولقد أخضعت إرادتى لله بصعوبة ، لكننى الآن أستمتع بما أراده الله لحياتى المثمرة " ! .

معنى الإرادة ..

" الإرادة هى نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها إليه " ، هذا ما تقوله الكتب . وتبسيطاً لهذا التعريف العلمى ، نستطيع أن نقول إن الإرادة هى الطلب لذلك فالإنسان حين يطلب شيئاً يقول : " أريد كذا " .

هذه الإرادة يمكن أن تكون قوية ، ويمكن أن تكون ضعيفة . ويتوقف هذا على قوة الشوق لما أريده وقوة الدافع إليه .

وقوة الإرادة هى نزوع واع متمكن من النفس ، وميل يحمل صاحبه على فعل معين لتحقيق هذه الرغبة . وهى قوة مركبة من الشهوة والحاجة والأمل .

وقد إرتبطت الإرادة بمعنى العزيمة ، وذلك لأنه إذا كانت رغبتنا فى الشئ قوية ، كانت عزيمتنا لتحقيقه أقوى . فصاحب الإرادة القوية هو دائماً صاحب عزيمة قوية لتحقيق هذه الإرادة .

وبالرغم من أن الإنسان حر الإرادة ، إلا أن إرادته محكومة بملكاته الإنسانية العقلية والجسمية والروحية ، ولذلك فقد يفعل الإنسان بـ " إرادته " ما لا يحقق مصلحته ، لأن ملكاته العقلية أو الجسمية قد تقصر عن إدراك الأفضل ! .

إرادتنا القاصرة ..

فى إحدى المزارع الإيرانية ، إلتقى صاحب المزرعة بكاهن بوذى تحدث معه عن تجارة الماس ومكاسبها الكبيرة ، مما أغرى صاحب المزرعة أن يبيعها ، ويسعى فى الأرض طلباً لإكتشاف حقول الماس . ومرت السنين والرجل يتجول بين مناجم العالم حتى أنفق ما كان معه من مال . فعاد إلى الأرض التى كانت أرضه ، ونظر من بعيد إلى المزرعة القديمة ، فرأى الثمار فى أشجارها وكأنها عقود الماس . لقد كانت مزرعته منجماً ، لكنه لم يدرك قيمتها ! وكانت إراداته فى الثراء دافعاً لشقائه وحرمانه .

ليس كل ما تتجه إليه إرادتنا خيراً ، وليس كل ما نجند له عزيمتنا مفيداً ، ما لم يكن وراء هذه الإرادة حساً مرهفاً وإدراكاً واعياً .

قوية .. ضعيفة ..

توصف الإرادة بأنها إرادة قوية أو بأنها إرادة ضعيفة .

فهل من الخير أن تكون الإرادة قوية ؟ .

هذا سؤال دقيق تحتاج إجابته إلى الحذر ، فقد نندفع إلى القول بأن الإرادة القوية خير . والواقع أن الإرادة القوية ليست دائماً خيراً . فاللص الذى يتمتع بإرادة قوية لسرقة بيتى مثلاً ، والذى يتسلح بعزيمة قوية لتنفيذ إرادته هذه ، هذا اللص تعتبر

إرادته القوية نقمة عليّ وعلى المجتمع كله - وليت إرادته كانت ضعيفة ! .

إن الإرادة القوية لا تكون فضلاً ما لم يكن وراءها أهدافاً فاضلة . فلابد أن تترشد إرادتنا بالصلاح والتقوى .

لكن الإرادة الضعيفة عيب رهيب أيضاً ، إذا كان الإنسان صاحب رؤية صالحة ، لكنه يتقاعس عنها ! .

إرادتنا وإرادة الله لنا ..

ليس هناك ما يحمينا من جموح إرادتنا إلا أن تلتقى بإرادة الله لنا ، فالله يريد لنا الخير دائماً ، وهو يحذرنا من الإنبساق وراء رغباتنا ، لكنه لا يمنعنا قصراً ، لأنه خلقنا بإرادة حرة مسئولة ! .

إعتاد طفل مدلل أن يحصل على كل ما يريد ، وفى أحد الأيام كان بالحديقة ، فرأى فراشة صغيرة تقف على زهرة . فأراد أن يمسكها ، لكن الأم جذبته بعيداً فصرخ وإندفع نحو الفراشة وأمسكها . وبعد لحظات قليلة أخذ يصرخ ويبكى ويشكو، فلم تكن الفراشة غير نحلة صغيرة لدغت أصابعه ! .

كانت الأم تعلم أنه يتعلق بما يضره ، وأنه يريد ما لا يفيده ، لكنه أصر على خطأه .

ولعل هذا ما يحدث فى حياتنا حين نريد ما لا يفيدنا ، فيحذرنا الله ، ولكننا قد نندفع وراء إرادتنا .

إن السعادة فى حياتنا لا تكتمل قبل أن تلتقى إرادتنا مع إرادة الله لنا .

كيف ندرك إرادة الله ؟

قال المفكر الروحى جون كالفن : " **إذا كانت لنا إرادة فهذا شئ طبيعى يشير إلى أننا بشر . وأن تتجه إرادتنا ورغباتنا إلى الشر ، فهذا شئ طبيعى أيضاً ، لأن للشر طبيعة بشرية ساقطة ميالة للشر . أما أن تتجه إرادة الإنسان إلى الخير ، فهذا شئ تصنعه نعمة الله** " .

إن إرادتنا وأشواقنا وميولنا ورغباتنا وشهواتنا الإنسانية تتحرك جميعها فى

دائرة الأرضيات ، وتحكمها أنانيتنا وقدرتنا البشرية القاصرة . أما ارتفاعنا فوق شهواتنا وميولنا فهو عمل الله فينا .

وإن التسامى والترقى وتنمية الأخلاق والمثل العليا لا تستطيع أن تفعل فى طباعنا ورغباتنا أكثر مما يفعله الترويض فى أسود السيرك . إنه لا يغير طبيعتها ، ولا يحولها إلى حملان وديعة مأمونة ! .

إذا أردنا أن تتوافق إرادتنا القاصرة مع إرادة الله الصالحة لنا ، فلنفتح قلوبنا لله ليغيرها ، ولنترك لروح الله أن يقدس طبيعتنا ويوجه إرادتنا .

صرخة إنسانية

يارب

أريد أن أسير فى طريقك ،

فقد سئمت من ترويض نفسى .

وسئمت من الجرى وراء رغباتى ،

وسئمت من تلميع مظهرى ،

وأريد أن أتغير -

لا بمسعاى وجهدى -

بل بروحك وقدرتك .

فإكشف لى قصورى ،

وأكشف لى فساد طبيعتى وشهوتى ،

وأعمل بروحك فى قلبى ،

أنر الطريق أمام عينى ،

إجعل إرادتى تذوب فى إرادتك ،

أخلقنى إنساناً جديداً -

أخضع لروحك ،

أتوافق مع إرادتك .

يارب .

إذا نلتُ منكَ الودَّ يا غاية المنى
فكل الذى فوق الترابِ ترابُ

ما عدا السعادة !

تنظر النملة الصغيرة إلى أعلى ، فترى حيواناً هائل الجثة يتحرك بسرعة تخالها البرق ، فتنكمش فى مكانها ، حتى تعبر هذه الغيمة ، ولا يكون هذا الحيوان الهائل - فى واقع الأمر - سوى فأر صغير ! .

وهذه الصورة تفسر ما يحس به الرجل الفقير الجالس على أحد الأرصفة يعد دراهمه القليلة بيد مرتعشة حين يمر أمامه رجل يلبس حذاءً جديداً لامعاً ! فنحن الفقراء حين نسمع الأرقام التى تمثل ثروات الأغنياء المشهورين - ننبهر كإنبهار النملة بالفأر ! وإنبهار الفقير المعدم بالحذاء اللامع ! .

إن لغة " الملايين " و " البلايين " فى أسواق المال تصيب الفقراء أمثالنا بالذهول ! وقد تترك فى أذهاننا إنطباعاً بالعظمة المطلقة ، فنحن نرى الأشياء من خلف مجهر إحتياجاتنا ، فتبدو ذات قيمة هائلة تفوق حقيقتها ! .

فهل هذه الدنيا بمعطياتها عظيمة حقاً ، غنية مطلقاً . أو هى مجرد طبق شهى تداعب رائحته أنف جائع محروم ؟ .

يروى لنا " جيمس إيروين " رجل الفضاء الذى صعد إلى القمر أنه حين رأى الأرض من بعيد ظهرت أمامه مثل كرة زجاجية صغيرة تلمع وسط الظلام ! إنها شئ ضئيل هش يمكن أن يتحطم بلمسة واحدة ! هكذا تبدو الأرض وما عليها حين نخرج عن دائرة جاذبيتها ، ونراها من بعيد ! .

وللفلكيين آراؤهم فى أرضنا ، ولهم متاهات رقمية تحير العقول ! لكن أبسط الأرقام تقول : إذا إفترضنا أن الأرض تزن درهمين فإن الشمس بالقياس لها تزن ٢٣ قنطاراً ! على حين تزن بعض النجوم (ملايين) أمثال وزن الشمس ! .

وخلاصة هذا القول أن الأرض وما عليها ليست شيئاً ذا قيمة فى ميزان الخليقة ! ولكنها تبدو عظيمة هائلة لنا نحن الرازحين تحت وطأة الحاجة ، أو سطوة الغريزة ، أو حب الإمتلاك ! .

ومهما كان الأمر فى شأن هذه الدنيا ومن عليها - فإن لغة الإختبار تؤكد أن (ملايين) الناس عاشوا فوق أرضنا ، وماتوا عليها ، وإندثرت معهم مقتنياتهم وعمائرهم وقصورهم التى كانت يوماً ما زينة للناظرين ، وأصبح الأثرياء والفقراء مع ما يملكون جزءاً من تراب الأرض التى تضم فى أديمها أجساد الملوك والصعاليك ، وتطوى فى هاويتها الحسناء والدميمة ، وتسترد ودائع الناس من ذهب أو قش ، ليصبح كل ما فوق التراب تراباً ! .

وقد يدرك الإنسان هذه الحقيقة ، فلا يضع قلبه وفكره على معطيات هذه الدنيا ، ويفتدى حياته بالمثول بين يدى الله الذى له الملك والسلطان ، ومنه الغنى والكرامة ، والسلام القلبى ، والحياة المتجددة ، والشبع الدائم الذى لا جوع معه ولا عطش . وقد لا يدرك المرء هذه الحقيقة ، فيظل يجرى خلف سراب ، ويبنى أبنية من تراب ، لتلحق به ، وتختلط بجسده بعد أن يصبح هو نفسه تراباً من تراب الأرض ! .

فى أيام الحروب - يعمد المتحاربون إلى إلقاء بعض المفرقعات والمواد المتفجرة بعد إخفائها داخل أغلفة براقة : فقد توضع العبوة الناسفة داخل غلاف على هيئة ساعة ذهبية أو قلم ثمين .. إلخ ، فما يكاد يعثر عليها أحد ، ويحاول فتحها أو إدارتها - حتى تنفجر العبوة فتطيح به .

وهذه الخدعة القديمة المعروفة لا تزال واحدة من الاعيب الشيطان التى يستعملها فى عالمنا إلى يومنا هذا ! فهو يضع بضائعه المسمومة داخل أغلفة براقة تخدع العين والقلب ، وقد لا يدرك حقيقتها المخدوع بها إلا بعد أن تفتك به أو تكاد ! .

خدعة المال

يظن البعض أن المال كل شئ فى هذه الدنيا ، أو على الأقل واحد من أهم ما يساند الإنسان فى دنياه . وللناس بعض الحق فى تقييمهم الكبير للمال ، فهم يرون أصحاب المال يعيشون حياة مترفة يتمتعون فيها بكل الخيرات ، على حين يقتصر العوز والحاجة على ذوى الدخول المادية المحدودة .

لذلك فالناس عرضة دائماً للوقوع فى دوامة البحث عن المال ، ومحاولة الإستزادة منه وإستثماره بالطرق كافة ، بل وتتكون لديهم العقيدة الراسخة فى أن المال هو الصديق والسند الوحيد ، فضلاً على كونه الهدف المنشود ! . والإستناد إلى المال خدعة كبيرة فالمال - حتى لدى الموثرين ثراءً فاحشاً - لا يشترى به كل الأشياء ، كما نظن ، ولا يسعد أصحابه ، كما نتوقع ! .

منحت جائزة يوماً ما لأحسن مقالة عن المال ، وكانت المقالة الفائزة تقول :

المال سلعة مفيدة للغاية ، وتستطيع أن تشترى به كل شئ ما عدا السعادة . وهو تأشيرة لدخول أى مكان ما عدا السماء (الجنة) ! .

- **يستطيع المال أن يشترى سريراً ، لكنه لا يشترى النوم ! .**
- **يستطيع المال أن يشترى الكتب ، لكنه لا يشترى العقول ! .**
- **يستطيع المال أن يشترى الطعام ، لكنه لا يشترى (الشهية) ! .**
- **يستطيع المال أن يشترى الحلىّ ، لكنه لا يشترى الجمال ! .**
- **يستطيع المال أن يشترى الدواء ، لكنه لا يشترى الصحة ! .**
- **يستطيع المال أن يشترى الترف ، لكنه لا يشترى التهذيب ! .**
- **يستطيع المال أن يشترى التسلية ، لكنه لا يشترى السعادة ! .**

إنه إله زائف له شهرة عظيمة ! .

أو ليس كل ما فوق التراب تراب ؟ .

صرخة إنسانية

ياربنا

يا نقى الحب
يا شبع النفس .. وراحة القلب .
أنت وحدك الجوهر والحقيقة ،
وغير السراب
وكل ما فوق التراب تراب !

٥٠ – مبادئ إنسانية ..

السلام الحقيقى :

وجود إلهى عميق يولد فى داخل القلب ، ويدوم للأبد !

فى سنة ١٨٦١ م ، ولمدة أربع سنوات ، قامت فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حرب أهلية شرسة بين الشمال والجنوب ، فقتل أكثر من ستمائة ألف مقاتل من الطرفين ! .

وقبل أن تهدأ الحرب بإستسلام الجنوبيين ، كان عدد كبير من الفلاحين - سكان الولايات الجنوبية ، قد أصابهم الفزع والخوف ، فإندفعوا إلى الجبال والكهوف ، يختبئون فيها حتى تنتهى الحرب .

وإنتهت الحرب ، وإستقرت الأمور تماماً ، وعادت الحياة إلى طبيعتها ، وبدأ الناس يتحركون فى حرية وأمن كاملين .

وبعد عامين من إنتهاء الحرب ذهب رجل أمريكى لقضاء أجازته السنوية فوق مرتفعات كارولينا الشمالية ، فصعد إلى قمة أحد الجبال ، وإنحدر إلى الجانب الآخر ، حيث يوجد الوادى الكثيف . وبينما كان الرجل ينزلق ببطء على المنحدر ، إصطدم بكوخ صغير مريب ، وأحس بحركة حذرة ، وهمسات قلقة ، تنبعث من داخل الكوخ ! .

وتوقف الرجل يراقب ما يحدث ، فإذا بباب الكوخ يتحرك ، وينفتح بزاوية ضيقة ، وتطل من خلفه رأس رجل أشعث ، ذى لحية كثيفة ، وشعر منكوش ، وشارب غير مهذب .

نظر الرجل من داخل الكوخ بعينين زائغتين مضطربتين ، وتمتم بكلمات غامضة ، ثم إندفع إلى داخل الكوخ وأغلق الباب بإحكام شديد .

كان من الواضح أن الرجل يعانى من خوف رهيب يهدد حياته الموحشة ! .

وإقترب الزائر من الكوخ ، وطرق الباب ، ومرت لحظات من القلق والتوتر الشديد والهمهمات الغامضة ، ثم بدأ حوار متقطع بين الرجلين . وبعد ساعة من

الزمن ، إستطاع الزائر أن يدخل بعض الطمأنينة إلى قلب صاحب الكوخ ، ففتح الباب ، وسمح له بالدخول .

كان الكوخ من الداخل خالياً مهملاً قذراً ، وفى أحد أركانه رأى الزائر رجلاً آخر منكمشاً بجوار الحائط ، ينظر نظرات زائغة مرتعبة ! .

مضى بعض الوقت ، ثم أطمأن الرجلان للزائر ، فكشفا عن سرهما الغامض ! فإتضح أنهما كانا جنديين من جنود الشمال ، حضرا إلى أحد المواقع الجنوبية ، حيث واجها جحيم الحرب ، فأصابهما ذعر شديد ، فهربا من وجه الموت ، وإندفعا فى عمق الجبال حيث عاشا داخل الكوخ ثلاث سنوات كاملة ، يأكلان عشب الأرض ، ويتوقعان الموت القادم فى كل لحظة من الزمن ! .

قال الزائر وهو يربت على كتفى الرجلين : أيها الجنديان ، لقد إنتهت الحرب تماماً منذ عامين ، وقد أخلى الجنود سكناتهم الحربية ، وعادوا جميعاً إلى بيوتهم الآمنة بين إخوتهم وأصدقائهم فأخرجا فوراً ، وإستنشقا الهواء النقى .. لقد أعلن السلام من زمن بعيد ! .

ولعل هذه القصة الغريبة ، تعكس لنا - بصورة مصغرة جداً - ما يعيشه جميع بنى البشر فى عالمنا المضطرب ، فالناس فى هذا الزمان مذعورون ، متوجسون ، يتوقعون الشر القادم . فقد إمتلأت الحياة بالصراع بين الأفراد ، ومع الصراع تأتى المخاوف والشكوك والهواجس والتربص ، ففقد الناس سلامهم ، وإختفت الطمأنينة من حياتهم . وصنع كل واحد لنفسه الباب الذى يحاول أن يختبئ خلفه من وجه الموت القادم ! .

السلام المفقود ..

وعلى مستوى العالم ، لم تهدأ الحروب بين الدول ، ولم تختف مخاوفها يوماً ! .

قال أحدهم : لو أتيح لشخص أن يتوجه إلى المريخ ، ليقدم تقريراً عن العمل الرئيسى الذى يقوم به سكان الأرض لكانت خلاصة قوله ، أن سكان الأرض التى جئت منها كثيرو الخصام ، شديدو الأنانية ، وأهم ما يشغلهم هو الحرب ، وهم بعيدون عن حياة السلام .

فمن المدهش حقاً أن هذا السلام الضائع طال غيابه عن أرضنا . فمنذ تقاتل

الأخوان الأولان فى بداية التاريخ ، وحتى هذه اللحظة التى نعيشها ، لم تتوقف الدماء الجارية على أرضنا ، ففى كل لحظة يسقط الضحايا ، يزداد الخوف والإضطراب ، ويتعذب ضمير العالم المثقل بالذنوب .

والغريب فى عالمنا أنه عالم متحضر يبنى وينشئ ويؤسس ويقيم ملامح حضارته فى كل لحظة ، لكنه أيضاً يهدم ويحطم سلامه فى كل لحظة أيضاً ! .

فنحن قد نجد بعض العذر للقبائل البدائية التى سكنت الصحراء ، وإختلطت بالوحوش ، وصارعت الطبيعة الخشنة ، فصارت حياتهم أيضاً خشنة قاسية ! فأين نجد عذراً لعالم متحضر ، وصل إلى عمق الفضاء ، وصعد إلى القمر ، لكنه لم يقدر أن يسترد السلام المفقود ، أو يكتشف الطريق إلى راحة البال ؟ ! .

لو كان لعالمنا باباً ، لرسمنا عليه صورة لحمامة بريئة هادئة ، تحمل غصن زيتون أخضر ، وكتبنا تحتها : " خرج ولم يعد " ! .

فهل حقاً خرج السلام ولم يعد ؟ ! .

السلام المعلن ..

لكن الحقيقة أن السلام قد عاد ، لكن الناس لم يحسوا به ، ولم يطلبوه ! .

وبكلمات أدق نستطيع أن نقول إن السلام لم يخرج من الوجود ، لكن الناس أخرجوه من حياتهم ، فإختفى السلام من قلوب البشر ، لكنه لم يختف قط من هذا الكون المتسع . فالله سبحانه إله سلام ، وليس إله خصام وتقاتل ودماء ! ولأن الله باق إلى الأبد فسيبقى السلام بقاءً أبدياً .

- فلماذا لا نجد السلام فى أرضنا ؟

ولماذا لا نجد السلام فى بيوتنا ؟

ولماذا لا نجد السلام فى حياتنا الشخصية ؟

- السبب هو أننا نبحث عن السلام حيث لا يوجد !

فالسلام ليس شيئاً مفقوداً فى عالم بعيد ، والسلام ليس أسطورة تحتاج إلى تحقيق .

السلام ليس شيئاً مادياً ، ولا وثيقة مكتوبة ، ولا معاهدات دولية أو إتفاقيات

عسكرية . السلام قيمة روحية من جوهر الله ، ولأن الله روح ، فالسلام روح ! .

السلام وجود إلهى عميق ، يولد فى داخل القلب ، فيهب الطمأنينة والسكون والراحة والثقة . وهو لا يرتكز على الظروف المتغيرة ، بل يرتفع فوق تقلبات الحياة ، لأن ضامنه هو الله ! .

الناس يصنعون سلاماً كأوراق الشجر ، تهزها الريح وتحملها العواصف ،

لكن السلام الإلهى ثابت كالصخر ، لأن ركائزه ليست من هذا العالم المضطرب.

كيف نجد السلام الحقيقى ؟

عندما نحلل عوامل الشقاء والبؤس والفشل التى تصيب البشر فى كل العصور ، فإننا ندرك أن وراءها عامل واحد مشترك هو " الخطيئة " .

فالفارق بين السماء والأرض ، أن السماء أرض بلا خطيئة ! .

والإنسان تحت سيطرة طبيعته البشرية ، لا يستطيع أن يضبط شهواته ، فيستسلم لضعفاته ، التى تنمو وتزداد ، وتملأ القلب ثقلاً .

لذلك نستطيع أن نوجز العوامل التى تحرم الإنسان من السلام الداخلى فى ثلاثة أسباب :

أولاً : الخطيئة فى القلب ، وتراكم الخطايا ، والفشل فى تحقيق الحياة الصالحة النقية .

ثانياً : عدم التواصل مع الله : فقد خلق الله الإنسان ، وبه شوق له ، فالإنسان لا يطمئن ولا يستريح بعيداً عن الله . لكن هذا التواصل بين الإنسان وربه لا يتم بسبب فساد القلب وتلوثه بالخطيئة ! .

ثالثاً : عدم الإحساس بالأمان : فالإنسان لا يطمئن لليوم ، ولا للغد القريب ، ولا للغد البعيد ، ولا للحياة الأخرى - بعد أن تنتهى كل أيام العمر - فكيف ينام الإنسان مطمئناً فوق بركان من الشكوك ! وكيف يحس الإنسان بالسلام ، وهو مهزوم فى يومه ، محروماً من إلهه ، متشككاً فى مستقبله ؟ ! .

من هنا نرى أن السلام لا يولد فى القلب ، قبل أن يتحقق للإنسان مطالبيه الثلاثة ، وهى :

- غفران خطاياه .
- بناء علاقة قلبية دافئة بالله .
- وإطمئنان على المستقبل ، وضمان للحياة الأبدية .

وهذه الأشياء تمثل إحتياج جميع بنى البشر ، وهى فى ذات الوقت تمثل أشواق السماء ! .

إن الله يفتح باب السلام الحقيقى لكل من يأتى إليه بقلب صادق خاضع معترف ، فيمنحه الغفران والحنان والضمان .

صرخة إنسانية

يارب

لقد خرج السلام من حياتى ،
ولم يعد !
ولقد إجتهدت أن اصنع لنفسى سلاماً :
- من صداقات البشر أحياناً ،
- من ملاهى الحياة أحياناً ،
- ومن التدين والتعبد أحياناً !
لكن سلامى كان دائماً يذوب ،
تحرقه شهواتى ،
وتلطخه خطاياى ،
وتخنقه أحقادى ومشاعرى الدفينة !
وسقط سلامى الزائف ،
تحت ثقل خطاياى الخبيثة !
فالسلام الذى يأتى من الارض ،
يزول كما ستزول الأرض .
لكن سلامك يبقى ويدوم ،

لأنك أنت الباقى وأنت الدائم .
أحتاج إلى سلامك الراسخ ،
الذى يصمد أمام تقلبات الحياة .
سلام لا تحمله الريح ،
ولا تسقطه العواصف .
أننى أحتاج إلى السلام الحقيقى ،
الذى لا يستطيع العالم أن يعطيه .
أحتاج إلى وجودك فى قلبى ،
إلى سكناك فى عمق أعماقى .
فإغفر خطاياى ،
وأعن ضعفى البشرى ،
وإكشف لى بروحك القدوس ،
سبيل البراءة -
من ثقل الخطيئة والذنوب .
وإفتح لى باباً أتواصل به معك ،
واملأنى طمأنينة على مستقبلى فيك ،
واضمن لى حياة ممتدة عندك ،
وأعطنى عربون الأبدية -
يقيناً راسخاً فى القلب .
ضماناً مختوماً بخاتم حبك ورضاك ،

يارب .

٥١ – مبادئ إنسانية ..

طوبى لصانعى السلام

منذ عدة سنوات تلقى بعض رؤساء الدول من مختلف بلاد العالم وثيقة أعدتها مجموعة من أشهر العلماء المعروفين من الحاصلين على جائزة نوبل ، والوثيقة ليست سوى تحذير جاد وقور من إحتمال إندثار الحضارة الإنسانية تماماً ما لم تجد الدول طريقة أخرى لتصفية ما بينها من خلافات غير طريقة اللجوء إلى الحرب ! وتقول الوثيقة :

" هذه هى المشكلة التى نعرضها عليكم - صارخة مروعة : هل نضع نهاية للجنس البشرى أو يعتزل الإنسان الحرب ؟ .

ونحن المجتمع البشرى نناشدكم أنتم البشر أن تتذكروا إنسانيتكم وتنسوا ما عداها فإن فعلتم هذا أصبح الطريق ممهداً للفردوس أما إذا كنتم لا تستطيعون - فتحت أقدامكم يمتد الطريق نحو فناء العالم ! " انتهت الوثيقة .

والحقيقة أن هذه الدعوة الصادقة للكف عن التقاتل - تردد صدى الدعاء الذى يرفعه عشرات الملايين من عشاق السلام فى كل قرن وجيل ! .

جذور فكرة الحرب ..

عندما سالت دماء هابيل بن آدم على أرضنا العتيقة ، ووقف القاتل الأول مبهوتاً وهو يرى السائل الأحمر الساخن ينساب من الجسد الطريح - أطلق الشيطان ضحكة مكتومة ، فقد ألقى بذور الحرب ، وعرف المجتمع البشرى ما القتل ؟ .. فكان ذلك فى ذاته عملاً فظيعاً ! .

كانت الحرب قديماً من عمل الجماعات بغية السلب والنهب أو السيطرة والإمتلاك ، وبتطور المجتمع أصبح القتال حرفة تمتهنها جماعة متخصصة متفرغة للحرب ! ثم تطور المقاتلون إلى قوات يؤلف منها الجيش الذى تغذيه الدولة بكل جديد فى علوم القتال ومعدات الحرب ! .

فالحرب التى بدأت بإنسان يقتل أخاه بسبب الغيرة والحقد تطورت إلى جماعة تقتل

جماعة ، لتسلب ما لها ، ثم تطورت إلى حرفة لها أصولها وفنونها وعلومها ومعاهدها وشرعيتها التى تحميها الدول ! لكن الأمر لم ينته إلى ذلك فحسب ، بل تضافرت العوامل السياسية والأهداف الإقتصادية والمذاهب الفكرية ، فأدت إلى تحالف الشعوب لتأليف كتل قوى ، فعرف عالمنا المسكين الأحلاف العسكرية ، فأصبح الشر شرين ! وتحولت قطرات الدم إلى سيول لا تتوقف ! ففى خلال أربعة آلاف من السنين الماضية لم تهدأ الحرب على هذه الأرض إلا فى ٢٦٨ سنة فقط . أما فى باقى هذه الآلاف من السنين فلم تكتمل سنة واحدة دون أن تنشب حرب فى مكان ما من العالم مؤكدة عدم إنسانية الإنسان تجاه أخيه الإنسان ! .

هرم من الجماجم ..

فى دورة الإنعقاد الحادية عشر لهيئة الصليب الأحمر الدولية فى ٦ من سبتمبر سنة ١٩٦٩ جاء فى التقرير الختامى :

" أن أكثر من ٩٠ مليون شخص قتلوا فى الحرب منذ بداية القرن العشرين ! فى الحربين العالميتين والحرب الكورية وفيتنام .. الخ ، من بينهم ١/٥ مليون قتلوا فى ساعة واحدة عندما سحقت القنابل مدينة درسدن بألمانيا و ٦٠,٠٠٠ شخص قتلوا فى ثانية واحدة عندما القيت القنبلة فوق نجازاكى ! فأى هرم من الجماجم تصنعه الآن كل هذه الرءوس الفارغة المجوفة ، والتى تصرخ للسماء من غدر الإنسان وقسوته ؟ " .

يقول جوس باروس رئيس هيئة الصليب الأحمر وهو مكسيكى :

إذا أستمررنا فى هذا الطريق الوحشى فسيسجل التاريخ أن عصرنا هو أكثر العصور خزياً على إمتداد تاريخ الجنس البشرى ! .

ماذا عن تكاليف الحرب ؟

يقول تقرير الصليب الأحمر لعام ١٩٦٩ إن نفقات التسليح فى القرن العشرين حتى التاريخ المذكور تقدر بتريليونى دولار : (أى ٢ وأمامها ١٨ صفراً) على حين نشبت ١٣٠ صراعاً دولياً فى تلك الفترة ! .

وقد ضرب أحد الخبراء مثلاً لتقريب هذه الأرقام إلى أذهاننا فقال :

" لو أننا وزعنا تكاليف الحرب العالمية الثانية فقط على سكان العالم فى ذلك الوقت والبالغ عددهم بليونين - لبلغ نصيب الفرد منهم - رجلاً كان أم سيدة أم طفلاً - ١٧٠٨ دولارات ، فضلاً عن حماية الممتلكات الخاصة بهم التى تضيف إلى هذا الرقم كثيراً ! .

أما الرئيس الأمريكى الأسبق " دوايت أيزنهاور " - فقد ذكر فى حديث عن ضرورة الإسراع بنزع السلاح . تلك الإحصائيات الخطيرة :

- إن ثمن قاذفة القنابل الحديثة يساوى تكلفة بناء ٣٠ مدرسة حديثة فى ٣٠ مدينة ويساوى تكاليف إقامة محطتين حديثتين لتوليد كهرباء تخدم كل منهما مدينة بها ٦٠ ألف مواطن ! بالإضافة إلى مستشفتين كاملين بهما كل المعدات الحديثة أو إعداد طريق من الإسمنت المسلح طوله خمسون ميلاً ! .

- إن ثمن طائرة حربية واحدة يساوى قيمة نصف مليون بوشل (٨ جالونات) من الحنطة ، وثمن المدمرة الواحدة يكفى بناءَ بيوت حديثة لإسكان ٨,٠٠٠ شخص ! .

من الغالب ومن المغلوب ؟

بعد إن قرأنا عن حجم الخسائر فى الإرواح الغالية ، وحجم التكلفة المادية لأدوات الخراب - فهل نستطيع أن ندرك من الغالب فى الحرب ومن المغلوب ؟ - يقول لورد بيرون " إننا لم نتعلم من التاريخ شيئاً أكثر دقة من أن التاريخ لم يعلمنا شيئاً ! والدليل على ذلك أن الدول لم تتعلم بعد من تاريخ الحروب أن الغالب والمغلوب كلٌ منهما خاسر وأن الجميع يعانون من خسائر لا تعوض " .

كيف نُحِبُ الحرب ؟

الجنرال باتون رجل حرب بلغ مرتبة عالية فى حياته العسكرية ، كأى رجل ناجح كان لابد أن يحب عمله ويفخر به كأى إنسان من بنى البشر ، لكن الرجل وقف مرة ينظر إلى الميدان الغارق بالدم ، المفروش بأشلاء القتلى وجثث المشوهين، فرفع جورج باتون وجهه نحو السماء قائلاً : " يا إلهى ، كيف أحبها ؟ . إن الحرب كيفما كانت شنيعة ومفسدة ! " .

وليس جنرال باتون هو الوحيد فى عالمنا الذى أحس هذه الكراهية للعداء القاتل بين المعذبين فى الأرض ! بل إن هناك الملايين من البشر على مر العصور يرفعون أدعية للسماء

أن يهب الله السلام للأرض ،

ويزرع الحب فى القلوب ،

وينتزع الحقد والطمع والشر من النفوس ،

فيعم سلام الله فى أرض الله ! .

وطوبى لمن يصنعون السلام ! .

٥٢ - مبادئ إنسانية ..

إن متعة الحياة تقوم على سلام الحاضر ، وضمان المستقبل !

أحداث القصة التالية تعود إلى بداية القرن الحادى عشر الميلادى ، وتدور حوادثها فى أسكتلندا . أما كاتبها فهو أعظم الشعراء والكتاب الإنجليز وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) ، والذى أخذ أصولها التاريخية عن المؤرخ هوليتشر الذى كتب تاريخ الإنجليز .

تقول القصة أن الملك " مالكولم " ملك أسكتلندا توفى ولم يترك ولداً ، فخلفه على العرش شاب وديع طيب . وهو الأمير " دنكان " إبن إبنته بياتريس .

وكان فى خدمة الملك دنكان شاب طموح هو " ماكبث " الذى حارب ودافع عن المملكة بشجاعة وقوة وحقق إنتصارات حربية باهرة .

ولكن ماكبث كان يتوق إلى المُلك ، وسرت هذه الرغبة المحمومة فى عقله وكيانه ، كما يسرى السم فى الجسد ، حتى إنهار أمام شهوته الجامحة ، فتآمر على مليكه الطيب ، ودفع حراسه إلى الفتك به وهو نائم . فما أن أجهزوا عليه ، حتى قتلهم جميعهم ، لإخفاء جريمته ! .

وتواطأ ماكبث أيضاً مع عصبة من النبلاء الذين توجوه ملكاً ! .

فما أن أصبح ملكاً حتى تحول إلى طاغية ، وإشتط فى الظلم والقسوة على الناس ، بحجة الإنتقام للملك المقتول ! .

ولكن ماكبث - وبعد إنتصاره وظفره بما يريد - لم يكن سعيداً قط ، بل على العكس من ذلك ، فقد إستبد به وخز الضمير ، وأقلقته المخاوف أن يذيقه غيره من الكأس التى أذاقها لسلفه . وكان شبح الملك القتيل دنكان يترآى له جالساً على رأس المائدة ، حتى أقض مضجعه ، وأسلمه للرؤى المجنونة ! .

وكثرت جرائم الطاغية ، فإستمرأ الدماء ، وأخذ يغتال نبلاء دولته ، ويكدس أموالهم المصادرة فى خزائنه ! ولكن هذا الطغيان الساحق لم يعطه الأمان ، بل زاد

خوفه من الناس وخوف الناس منه ! .

وبنى ماكبث لنفسه قلعة منيعة فوق مرتفع شاهق - أدار منها حكمه الطاغي ليشيع الرعب في قلوب الناس .

لكن قلعة " دنسيتين " لم تدخل الطمأنينة إلى قلب ماكبث ، ولم تعطه حياة هانئة ، فقد دارت الأحداث دورتها ، وجاء " ماكدف " رفيق صباه ، الذى هاجم القلعة ، وإنقض على ماكبث ، وحز رأسه وعلقه على الصارى على أبواب القلعة ليشهده الجميع ، بعد أن إغتصب العرش سبعة عشر سنة ! .

وفى رواية شكسبير يورد لنا الكلمات الأخيرة للرجل الذى قضى عمره فى الصراع الخفى المرير لتحقيق رغباته فى الحياة .. ويقول ماكبث قبل قتله : **" فى طريق الموت والتراب نتحرك خارجاً خارجاً كشمعة خافته ، فالحياة ليست سوى ظل يتحرك ، كممثل مسكين يصول ويجول ساعة على المسرح ، ثم يختفى ولا نعود نسمع صوته بعد ! إنها مجرد قصة .. يرويها شخص معتوه ، وهى مليئة بالضجيج والغضب ، وهى تشير إلى العدم - إلى اللاشيئ ! " .**

من المؤلم حقاً - أن تكون هذه الكلمات ، أو ما شابهها - هى خلاصة خبرات أغلب الناس ، حين تجمح بهم أطماع النفس فى هذه الحياة فيندفعون وراءها ! .

إن هذا الصراع المرير داخل النفس ، يمثل عبئاً ثقيلاً لا يحتمل ، ويجعلنا نسقط فى مهاوى الرغبات القاتلة ونضيع أيام العمر بحثاً عن معانى الحياة ، فلا نجد غير العدم الذى زرعناه فيها بأيدينا الفارغة . ولو أننا أصغينا لصوت الله فى ضمائرنا لأدركنا أن متعة الحياة ترتكز على قاعدتين : سلام الحاضر ، ويقين المستقبل .

متعة الحياة فى : سلام الحاضر

يتعرض الناس لخسائر كثيرة يومياً ، لكن أغلب هذه الخسائر يمكن تعويضها . **لكن أكبر خسائر اليوم هى أن يضيع فيه سلام القلب .**

والناس حين يفقدون هذا السلام الداخلى ، لا يستمتعون بيومهم . بل إنهم يدخرون لغدهم أيضاً أسباب الشقاء ! .

- **والإنسان يفقد سلام اليوم حين يفقد ثقته فى عناية الله ، وحنان الله ، ومحبة الله ! .**

والذين إختبروا فى حياتهم السلام القلبى الفائض لم يكونوا أكثر الناس ثراء ، أو أوفرهم حظاً ، لكنهم أولئك الذين يثقون ثقة مطلقة برعاية الله لمصالحهم ، ويدركون أن الله محبة ، فيرتمون فى أحضان الحنان الدافئة ، كالطفل على صدر أمه الحنون .

فالأم قد تنسى الرضيع ، لكن الله لا ينسى خليقته ، فلماذا نفقد سلامنا ؟

● **والإنسان يفقد سلام الحاضر حين يفقد العطاء ! .**

إن الخطأ السائد الذى يتعرض له جميع البشر هو الظن أن الحياة تكتمل سعادتها حين يأخذ الإنسان من الدنيا ما وسعت يداه . وهو تفكير أولى بسيط كتفكير الطفل الذى يجمع فى يديه الصغيرتين أصداف البحر ، ثم لا يلبث أن يلقيها ليمسك بحفنة رمل ، ثم يفض يده منها ليلهو بالماء ، فإذا إنقضى اليوم عاد لينام بيدين فارغتين ، فيداه الصغيرتان لن تمسكا الدنيا . ! ونحن كذلك .

إن سعادة الحياة اليومية تتمثل فى العطاء والإنسان الذى لا يقدم شيئاً يفقد سلامه الداخلى ! .

متعة الحياة فى : يقين المستقبل

الإنسان بداخله ساعة ! ساعة روحية نشطة - لا تسكت ، لأن الله وضعها فى صدره لتنبيهه ! .

فالإنسان مخلوق روحى متميز ، فيه نسمة الله ، وفيه الضمير ! . وهذا الضمير هو الصوت الذى جعله الله فى داخله ليوقظ روحه ، كلما أخذته الدنيا .

لذلك فإن الإنسان - مهما طابت له الدنيا - يحس بالحاجة إلى شيئ آخر ، لا يستغنى عنه . هذا الشيئ هو يقين القبول عند الله ، وضمان المستقبل الأبدى .

إن الأجراس الداخلية ترن دائماً فى آذاننا لتنبهنا أن وراء الأيام ستنفتح أبواب الأبد لتبدأ الحياة الأخرى التى لا تنتهى ، فأى ضمان لنا أن تكون هذه الحياة خالدة فى هناء أم فى عذاب أليم ؟ .

هذا السؤال يقض مضجع الإنسان الحى اليقظ الضمير . فإذا لم يسترح ضميره بيقين كامل ، فإن سلامه القلبى ستعصف به أعاصير الشك والخوف ، فتحرمه سعادة الحياة ! .

والإيمان برحمة الله شيئ عظيم ، لكنه لا يكفى لإدخال اليقين إلى القلب ، فالله العادل لا يرحم الشرير ، فعدالة الله وقداسته وطهره لا ترضى عن الخطيئة والأثم والقلب الملوث والفكر الدنس ! .

من أين لنا اليقين إذاً ؟

إن اليقين ليس إقتناعاً عقلياً يحكمه المنطق والحجة ، لكنه حديث الروح للروح .

إن الله بروحه القدوس يغمر قلوب التائبين باليقين الكامل بغفران الخطايا وبالقبول والرضا .

ويملأ الله الإنسان بروحه القدوس - كعربون للحياة الإبدية فى حضرة الإله ، هذا الروح القدوس فى داخل المقبولين يشهد لهم ويملأهم يقيناً وسلاماً ، وبه تبدأ متعة الحياة الحقيقية .

صرخة إنسانية

يارب

ما أشقى أيامى بدونك ،
ولو جلست على عروش الأباطرة !
ما أفقر حياتى بدونك ،
ولو إحتكمت على ثروات البر والبحر !
ما أضيق دنياى بدونك ،
ولو ملكت جناحى النسر !
ما أمر عيشى بدونك ،
ولو امتلأ فمى برضاب الشهد !
فأنت السعادة لمن شقى زمانه ،
وأنت الغنى لمن أجدبت حياته ،
وأنت العزوبة لمن تمرر عيشه .
وأنت الحياة ،
ولولاك ما طابت لمخلوق حياة !

فكم أنت حلو للعائدين التائبين !
يولدون جديداً بين يديك ،
فيعرفون الحياة .

أشكرك من أجل وجودك فى حاضرى
ومستقبلى ،
فعنايتك وحنانك ومحبتك :
هى سلام حاضرى .
وخلاصك وغفرانك ووعدك :
هى ضمان مستقبلى وأبديتى .

إنى أستمتع بحياتى معك ،
وأنتظر اليوم السعيد ،
الذى أستمتع فيه بأبديتى عندك .

يارب .

٥٣ - مبادئ إنسانية ..

ما أتعس الإنسان الذى يعيش بلا أمل ،
لكن الأتعس منه ، من يموت بلا رجاء !

فى مدينة شيكاغو ، يعيش موسيقار يدعى " جون فرانسز بيرنج " ، يعمل عازفاً على أحدى آلات النفخ ، ويحيا حياة متواضعة فى شقة صغيرة ذات إيجار زهيد .

لكن هذا العازف الفقير ، يعيش على أمل كبير ، صنعه لنفسه ، فهو يطالب " بنك إنجلترا " بمبلغ ١١٢٠ مليوناً من الدولارات ، يزعم أنها حقه المتراكم لدى البنك على مدى قرنين من الزمان ! .

وقصة بيرنج طريفة جداً ، فهو يقول أنه تابع شجرة العائلة التى ينتمى إليها حتى عاد إلى القرن الثامن عشر ، وأكتشف أن بعض جدوده الأوائل كانوا يستثمرون أموالهم فى بنك إنجلترا ، وعثر على وثيقة تثبت أن أحد الجدود كان يستثمر مبلغاً من المال يقدر بمئة ألف دولار ، وظل البنك يدفع عنها أرباحاً لجده الأكبر حتى عام ١٨٤٦ حين توفى الجد ! .

وأستجمع الموسيقار الفقير هذه الخيوط ونسج منها مطالبه التى تتلخص فى ثلاث حقائق : أولها : أنه الوحيد الباقى على قيد الحياة من عائلة بيرنج .

وثانيها : أن البنك قد توقف عن دفع الأرباح منذ مائة وخمسين عاماً ! .

أما الثالثة ، فهى أن جملة مديونية البنك قد بلغت أكثر من بليون دولار ، هى مجموع الأرباح غير المدفوعة ، بالإضافة لأرباحها المركبة ، بالإضافة إلى رأس المال الأصلى ! .

وقد تفرغ بيرنج لإقامة الدعاوى ضد البنك المذكور ، وبذل جهوداً شاقة ، ومحاولات مستميتة ، لكن إدارة البنك رفضت بشدة أن تمنحه شيئاً من الإصغاء .

وبالرغم من المطالبات الدائمة على مدى سنوات طويلة ، فإن بيريج لم يحصل حتى الآن على دولار واحد ، ولكنه الأمل ! .

الأمل لابد أن يرتفع عن أرض الواقع ، لابد أن يحلق فى آفاق بعيدة صافية ! .

وفى بعض الأحيان يقوى الأمل ، فيصبح كالنسور ، فيرتفع فوق السحاب ، والضباب ، والمخاوف ، والشكوك . ويبتعد عن مؤثرات الأرض ، ويتنسم هواءً نقياً صافياً ! .

وفى أحيان أخرى يضعف الأمل ، فيصير كالنعام ، له أجنحة لكنه لا يطير ، ترتبط أقدامه بالأرض ، فلا يرتفع عنها ، إنه يرفرف قليلاً بأجنحة صغيرة ، لكنه يعود يضع رأسه بين قدميه - إنه لا يقوى على الإنطلاق لأن جسمه ثقيل ! .

ولكل منا تجاربه الإيجابية الخاصة ، حين حلق بأجنحتة المشرق القوية ، فبلغ عين الشمس ! ولنا أيضاً تجاربنا السلبية ، حين ضعف رجاؤنا ، فإلتصقنا بأرض متاعبنا ، وتمرّغنا فى قسوة مشاكلنا .

كثيراً ما كانت أرواحنا منطلقة على أجنحة الأمل ، وكثيراً ما كانت أجسادنا ثقيلة لا تستطيع أجنحتنا أن تحملها ، ذلك لأن للأمل جناحين لا يستطيع بدونهما أن يحلق فى أجواء آمنة . هذان الجناحان هما : جناح العقل ، وجناح الإيمان .

الأمل والعقل ..

هناك فرق كبير بين الأمل وأحلام اليقظة ، وإن كان كلاهما يعبر عن رغبة شديدة فى داخل الإنسان لتحقيق شئ ما . لكن الفرق يتمثل فى أن الأمل ينطلق من أسباب حقيقية ، وقواعد قائمة ، أما الأحلام فلا قواعد لها ولا أسباب ، فهى تهيم بلا ضوابط وتجمح بلا حدود ! .

فإذا كنت أملك - مثلاً - نصيباً فى شركة تجارية ، فإننى آمل أن تحقق هذه الشركة نجاحاً كبيراً ، أصبح به فى عداد الأثرياء ! وهذا هو الأمل .

أما أحلام اليقظة فهى قد تسوقنى إلى أن أتوهم أن الثراء قادم من حيث لا أعلم ، فربما يتدفق فى حجرتى بئرٌ للنفط ، أو يلمع تحت سريرى منجم للذهب ! .

إن الأمل يحلق بنا فى أجواء آمنة ، أما أحلام اليقظة فتحلق بنا فى أجواء خطرة ! .

الآمال العاقلة ترفعنا فوق جناح العقل إلى آفاق الحق المشرقة . أما الأحلام الجامحة ، فتذوب فى حرارة الحقيقة ، وتسقط فى بحور اليأس ! .

الأمل والإيمان ..

الإيمان هو الجناح الثانى للأمل ! .

لماذا ؟ .

لأن الأمل هو الإنتظار المملوء باليقين والترقب والثقة بأن ما نرغب فيه سيحدث حتماً مهما طال الزمن . فإذا إنتزعنا من الأمل هذا اليقين ، لا يتبقى منه سوى الإنتظار الممل المثير للقلق .

رسم أحد الفنانين لوحة ، جعل فيها إمرأة عمياء ، تجلس على كرة الأرض ، فى جو ملبد بالغيوم والعواصف ، تعزف على قيثارة محطمة ، لم يبق بها إلا وتر واحد ! . وأطلق الفنان على هذه اللوحة : الأمل ! .

فالأمل هنا ، صامد واثق قوى ، لا تزعجه الرياح ، فما دام هناك وتر واحد سليم ، فإن الإيمان يبعث فيه أحلى الأنغام .

فإذا كان العقل هو الجناح الذى يحفظ الأمل من الجنوح فى متاهات الخيال ، فإن الإيمان هو الجناح الذى يحفظ الأمل من السقوط فى دوامات اليأس .

إن الإيمان هو القنطرة التى نعبر عليها ، فوق كل شلالات الحياة العاصفة .

قال أحدهم ، لا يمرض الأمل ، ما دام الإيمان بصحة جيدة ! .

الحياة بلا أمل ..

قام عالم أمريكى يدعى هارولد وولف بعمل بحث عن ٢٥ ألف جندى أمريكى ، أسرتهم القوات اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية . فإكتشف أنهم أصيبوا جميعاً بأمراض شديدة ، بل إن بعضهم مات ، من جرّاء المعاملة القاسية ، والغير الإنسانية التى تعرضوا لها ! .

غير أن الباحث وجد عدداً قليلاً جداً ، لم يتعرض للمرض ، ولم يتأثر بالأذى

كغيره من الجنود . ووجد أن الشئ المشترك بينهم هو ذلك المستوى غير العادى من الأمل الذى كان يملأ قلوبهم بالعودة إلى الوطن ، حتى أنهم رسموا على حوائط السجن صوراً لفتيات أحلامهم ، ولبيت المستقبل ! فى الوقت الذى فقد فيه الكثيرون كل أمل فى الحياة ، فهاجمهم المرض إلى حد الموت . **إن الأمل هو الرباط الوحيد الذى يحفظ القلب من الإنكسار ! .**

ما أقسى أن يعيش الإنسان بلا أمل ! .

والموت بلا رجاء ..

لكن هناك ما هو أقسى من الحياة بلا أمل . إنه الموت بلا أمل ! .

كان روبرت أنجرسول خطيباً بارعاً ، لكنه كان ملحداً ، يتجرأ على الله سبحانه وتعالى ، ويهاجم الدين ! وإستخدم أنجرسول براعته وسحر بيانه ، وبلاغة إسلوبه ورصانة لغته ، وسخر هذا كله فى إنكار الدين والحياة والآخرة .

وكان للملحد أخاً شقيقاً ، نشأ وتربى معه ، وأحب كل منهما الآخر حباً شديداً ، وحين مرض الشقيق ، طلب من أخيه أن يؤبنه عند دفنه بكلمة وداع مناسبة . فلما قضى الأمر ، وقف أنجرسول مضطرباً بجوار جسد أخيه ، ثم أطرق بوجهه نحو وجه شقيقه وهو جثة هامدة ، وبعد برهة من الصمت إستطاع أن يضبط نفسه ، فأستند على كفن أخيه وقال والدموع فى عينيه : " **ما الحياة إلا وادٍ ضيق مقفر ، قامت على جانبيه جبال الأبدية الشاهقة ، وتراكمت فى هذا الوادى ستائر الظلمة ، وعبثاً نحاول أن ننفذ بأبصارنا لنكشف ما وراء هذه الظلمة من نور . وحين نصيح صيحات الفزع طالبين النجدة ، فإننا لا نسمع جواباً إلا صدى أصواتنا !** " .

قال أنجرسول هذه الكلمات المرة والمليئة باليأس ، وأحنى رأسه بين كفيه وأطلق صوته بالبكاء والعويل ! .

ما أبأس الإنسان الذى يموت بلا رجاء فى حياة أبدية ، وقيامة مجيدة فى عالم النور ! .

إن الإنسان الذى يحيا عمره بلا أمل ، إنسان شقى تعس . لكن الذى يموت بلا يقين فى قيامة سعيدة ، هو إنسان أشد تعاسة وأكثر شقاء ! .

صرخة إنسانية

يارب
أحمدك من أجل الأمل ،
ففى كل صباح تشرق علينا بنورك ،
فتبدد ظلام الليل ،
وفى كل ليل .
تسكب علينا هدوء سكينتك .
وفى قلب الظلام ،
تبعث فينا إيماناً بالفجر القادم .

نشكرك من أجل العقل ،
فهو يحمينا من الجنوح فى الخيال .
ونشكرك من أجل الإيمان ،
فهو يحمينا من السقوط فى الفشل .
نشكرك من أجل أبواب الأمل ،
من أجل الرجاء الممتد إلى آفاق الأبدية .
فرجاؤنا فيك لا ينقطع على باب القبر ،
بل تبدأ بعد الموت رحلة سعادتنا .
سعادتنا الأبدية فى حضرتك .

أعطنا يقيناً بالقبول لديك ،
اليقين الذى يستند على وعود
محبتك .
أعطنا يقيناً ينبعث من داخل قلوبنا ،
ولا يعتمد على وعود البشر .
إحمنا من شراك إبليس -
من الأصوات التى تضللنا بأقوال
خادعة ،

من الإدعاءات التى تمنحنا الأمل
الكاذب .
أعطنا طمانينة حقيقية ،
لا تقوم على ثقتنا بأنفسنا ،
ولا تعتمد على أعمالنا وعبادتنا
الباطلة ،
بل تقوم على ثقتنا فيك ،
وعلى فيض نعمتك ورضاك .

يارب .

النقد الذاتى :

هو الخطوة الأولى لخلاص النفس ، وتحرير القلب

فى إحدى القرى الواقعة على شاطئ النهر ، جمعت الفلاحة الفقيرة ملابس أسرتها ، ووضعتها فى إناء واسع ، حملته فوق رأسها ، وإتجهت إلى النهر ، لتغسل الثياب فى مياهه الجارية حسب عادة الفلاحات فى القرية .

لكنها حين إقتربت من الشاطئ ، رأت جمعاً من جاراتها يغسلن الثياب . وتذكرت أن الثياب التى تحملها قذرة جداً ، فخشيت أن تلاحظ نساء القرية ذلك ، فعادت بالثياب مرة أخرى إلى البيت . ولما كان فقراء القرية لا يملكون فائضاً من الثياب ، فقد إضطر الأطفال والكبار إلى إستعمالها أسبوعاً آخر .

وفى نهاية الأسبوع ، ذهبت إلى النهر ، وقد زادت الثياب قذارة بصورة مخجلة ، فلما وجدت جاراتها واقفات على شاطئ النهر ، عادت مرة أخرى إلى البيت لتعيد إستخدام الثياب القذرة ! .

وأخذت الفلاحة المسكينة تفكر فى حل لمشكلتها الصغيرة المعقدة . فإهتدت إلى حل خاص . فقامت وجمعت كل الثياب ، وألقت بها فوق ملاءة السرير ، ثم عقدت أطرافها جيداً لتصبح مثل كرة كبيرة . حملتها ومضت بها إلى النهر . وهناك على الشاطئ ، أمسكت بها وأخذت تدفعها فى الماء إلى أسفل ، ثم ترفعها إلى أعلى ، وكررت ذلك كثيراً ، حاسبة أن الماء سيتخلل ثنايا الثياب ، فيطرد أوساخها تماماً ويتركها نظيفة ناصعة ! وبالطبع فإن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وظلت الثياب على حالها ، وإن كانت أوساخها قد توزعت على مساحات أوسع من القماش .

ولعل هذه القصة عن الفلاحة الساذجة ، لا تختلف كثيراً عما نفعله نحن البشر ، حين نحس أن فى حياتنا شوائب كثيرة ، علقت بنا على مرور الأيام . ونحن نخشى مواجهتها أو معالجتها لئلا يراها الناس ! لذلك فإننا نتستر عليها ، ونحجبها داخل ملاءات بيضاء نظيفة تخفيها عن العيون ! وحين تتعقد الأمور ، ونضيق بخطايانا ، فإننا لا نكشف المستور ، ولا نحاسب الذات ، ولا نعترف بالعيوب والذنوب ، ولا

نخرجها لنغسلها فى مياه الرحمة الإلهية ، بل نكتمها حفاظاً على كبريائنا ، وخوفاً من عيون الناس .

إن شفاء النفس من خطاياها ، يستلزم تفتيش النفس ، وإخراج الخبايا ، وكشف الخطايا فى نور الشمس ، والإعتراف بها واحدة واحدة . والإغتسال فى أنهار الغفران . فالإعتراف بالخطايا هو طريق الخلاص ، أما كتمانها فإنه يزيدها قذارة وعفونة ونتانة .

إن النقد الذاتى ، هو الخطوة الأولى فى مواجهة النفس ، والطريق إلى تحريرها وخلاصها من شرور خطاياها .

لكننا نخشى اللوم !

كلنا نخشى اللوم ، ولا نرحب بالنقد ، فكثيراً ما يكون اللوم تسليطاً للضوء على البقع السوداء فى حياتنا . وبالطبع فإن لكل واحد فينا أخطاء وسقطات وضعفات وعيوب ، لا يحب أن تكتشف وتفضح .

لذلك فإننا نتستر على خطايانا ، ونغطيها بسواتر كثيفة ، إلى أن تتحول فينا إلى عادات راسخة ، وتصبح البقع الباهتة مع الأيام بقعاً ثابتة دائمة .

ولأننا نضيق بنقد الآخرين لنا ، وتوجيههم لنا ، فإننا لا نستمع لهم ، ولا نتأمل فى مضمون أقوالهم ، ولا نستفيد من نصائحهم ، بل على النقيض من ذلك ، فإننا نقاومهم ، ونكذبهم ، ونفند أقوالهم ، ونوجه النظر إلى عيوبهم هم . وننشر فوق غسيلنا المتسخ عباءة من الأفضال التى ننسبها إلى أنفسنا . وحين نفعل ذلك ، نكون قد إرتكبنا خطأين جديدين هما : إنكارنا لعيوبنا ، وكراهيتنا لمن نصحونا ! .

نقد الذات

الإنسان الحكيم هو الذى يفحص ذاته ، ليعرف خفاياها ، ويوجه لذاته نقداً صادقاً صريحاً أميناً . فإن لوم النفس يصلحها ، وإمتداح النفس يعميها عن حقيقتها .

سأل المحقق أحد المتهمين عن ذنبه ، فأنكر ! وقال المحقق : لكنك ضبطت متلبساً ! قال المتهم : نعم لقد فعلت ، لكنى لست مذنباً ، فقد دفعنى رفقاء السوء إلى فعل ما فعلت ، قال المحقق : إذن فقد كان فى قلبك بعض الرغبة فيما أتيت ، ثم

شجعك عليها الأصدقاء . فقال المتهم : لا ، لم يكن لى رغبة قط ، لكننى فعلت ما قالوه لى ! قال المحقق : ماذا كان سيحدث لو أنهم قالوا لك إلق بنفسك فى النار ، هل كنت تطيع ؟ قال : بالطبع لا ! . حينئذ قال المحقق : إذن فلست معدوم الإرادة ! أنت تستطيع أن تقول لا لما لا يعجبك ، وتقول نعم لما يتوافق مع إرادتك ! .

هذه هى الحقيقة : **نحن نميل إلى إعفاء أنفسنا من اللوم ، والقاء الذنب كله على الآخرين . والواقع أن لنا يداً فى كل ما نفعله من أخطاء ، بل إننا نحن مسئولون عن جميع أخطائنا وخطايانا ، مهما كانت الظروف والدوافع .**

الحكيم لا يبرر أخطاؤه ، لكنه يلوم ذاته قبل أن يلومه الآخرون .

أدوات النقد الخادعة

ولأننا نميل إلى تبرئة أنفسنا ، فإننا كثيراً ما نستخدم أدوات نقد زائفة خادعة ! تجعلنا أبرياء فى عين أنفسنا . وتتمثل هذه الأدوات فى :

- **مقارنة أنفسنا بالآخرين :**

فنحن نقارن أنفسنا بالآخرين ، فنرى أحياناً أننا لسنا أسوأ منهم ، وربما نرى أننا أفضل من كثيرين ! فنستريح لذلك ونهدأ .

وبطبيعة الحال فإن " حياة الآخرين " ليست مقياساً ثابتاً أو مثالياً . إن ملابسى لا تكون نظيفة لمجرد أنها أنظف من ملابس الميكانيكى الواقف إلى جوارى . إن مقارنة نفسى بغيرى هى أداة من أدوات النقد الزائفة ! .

- **شهادة الأصدقاء :**

هذه أداة لنقد الذات زائفة أيضاً . فشهادة الأصدقاء لنا ، وقولهم أننا ممتازون أو صالحون ، ليست شهادة كاملة ، فأصدقاؤنا لا يرون إلا ما نسمح لهم برؤيته من حياتنا . كما أنهم يميلون إلينا كما نميل إليهم وإلى أنفسنا .

وفضلاً عن كل هذا فإنهم بشر عاجزون مثلنا ، ملوثون مثلنا بكل طبائع ونقصات البشر .

شهادة الأصدقاء لنا ليست وثيقة تبرئة لنا .

● **أعمال البر والإحسان :**

هذه واحدة من الملاءات أو العباءات التي نلف بها أنفسنا ، لنخفي خطايانا ، وسواد قلوبنا ، وأطماع نفوسنا ، وشهوات ذواتنا ، وللحق فإنها ساتر جيد ، تغير نظرة الناس لنا ، فيطلقون علينا لقب " **رجل البر والإحسان** " أو " **المحسنة البارة** " .. إلخ .

وبالطبع فإن عمل الخير والإحسان شئ عظيم مرغوب فيه ، لكنه ليس هو الماء الجارى الذى ينظف قلوبنا ، ويطهرنا من خطايانا . هو مجرد ساتر خارجي لا يمحو خطايا القلب .

● **حياة التدين ومظاهرها :** كثيراً ما نفحص أنفسنا من خلال ما نقوم به من عبادات ، وما نمارسه من فروض ، فنرضى عن أنفسنا ، ونحسب أننا مطهرون من ذنوبنا . والحقيقة أن تأدية الفروض والطقوس ، هى نوع من الأمانة والإلتزام الدينى ، لكنها لا تطهر القلب من ميوله ولا تشفى النفس من شهواتها ، ولا تمحى خطيئة الماضى ولا ذنوب الحاضر .

إن حياة التدين وممارسة العبادات ، كثيراً ما تكون غلافاً خارجياً رقيقاً ، يخفى من تحته قلباً حقوداً ، ونفساً حسودة ، وعين شريرة تملأها الشهوة .

إن الله يقرأ القلب ، ويفحص أعماق النفس ، وأمام عينيه الفاحصتين تحترق كل القشور والأغلفة الخارجية ومظاهر التدين .

ولا خير فى فحص أنفسنا بأدوات النقد الزائفة من ممالأة النفس ، أو مقارنتها بالآخرين ، أو شهادة الأصدقاء ، أو أعمال البر ، أو حياة التدين الظاهرى . فجميعها مقاييس خادعة ! .

كيف أفحص ذاتى ؟

إن فحص الذات عمل روحى ، ينبغى أن يتم فى حضرة الله ، الذى وحده يفحص أعماق النفس .

- **أمام الله لا خداع ، ولا كذب ، ولا دفاع باطل .**
- **أمام الله لا إنكار لخطيئة ظاهرة أو خفية .**

- أمـام الله تظهـر شـهواتنا الخفيـة ، وتنكشف ميولنـا الآثمـة ، ورغباتنـا الدنيئة .
- أمام الله تحترق كل الأغطية التى نتستر بها على خطايانا ، ونخدع بها الناس .
- أمام الله تصمت كل الأبواق التى خدعتنا بكلام زائف ، ويتكشف لنا ضلال الأصوات الكاذبة .
- أمـام الله تهرب غيوم الكذب ، ولا يظهر إلا الحق واضحاً نظيفاً ظاهراً وضيئاً كالشمس .
- إذا أردت أن تجد خلاصاً لنفسك من خطاياها الخفية ،
- وإذا أردت أن تتخلص من خداعك لنفسك ، وإنكارك لشرورك ،
- وإذا أردت أن تعرف موقعك من عين الله الفاحصة التى تراك على حقيقتك ،
- فلتسجد الآن أمام الله بقلب متواضع منسحق ، ودعه يكشف لك الحقيقة ، فى ضوء قداسته وطهره وعدله وحبه .

صرخة إنسانية

يارب

خدعت نفسى كثيراً ،
أشفقت عليها من اللوم ،
وخدعنى الآخرون -
بكلام الرياء والكذب .
أعلم أن الناس لا يرون داخلى ،
أما أنت فتفحص القلب والأعماق .
وتقرأ ما يدور بخاطرى -
وما تحمله أفكارى .
يرعبنى أن أقف أمام قداسة وجهك
وأن أتراءى أمام طهر عينيك

لذلك أجئ إليك الآن ،
بقلب كسير ،
وبروح منسحقة .
أعترف بخطيئتى وشرورى وشهوتى .
وأطلب أن تكشف لى ما تراه بداخلى .
إفضحنى أمام نفسى ،
حتى تسقط الأغطية
وتحترق كل الأقنعة المزيفة .
وتسقط معها كبريائى
إفضح خداع الأبواق الكاذبة حولى ،
وإكشف لى زيف المدعين ،
إملأنى قناعة بحبك وعدلك ،
وأرنى كيف أتطهر فى أنهار حبك
وغفرانك ،

يارب .

٥٥ - مبادئ إنسانية ..

إن معاملاتنا مع الآخرين تكشف جوهر إيماننا ، وتعكس تعامل الله معنا ، وتعامله من خلالنا

أقوال عن العلاقة بالآخرين :

- " يحبك الناس أكثر إذا ساعدتهم على أن يحبوا أنفسهم أكثر " .
- " أفضل تدريب للقلب ، أن تنحنى لترفع الآخرين " .
- " نحتاج إلى من يعطى وينسى ، ويأخذ ولا ينسى " .
- " صفعة على الوجه صادقة ، خير من قبلة كاذبة " .
- " أعطانا الله وجهاً واحداً . ونحن نصنع لأنفسنا وجوهاً أخرى " .
- " قبل أن تحصى أخطاء الآخرين ، إحص عشرة من أخطائك " .

فى فيلم طريف من أفلام الرسوم المتحركة للأطفال ، يصور لنا مخرج الفيلم حلقة من حلقات مصارعة الثيران .

وتبدأ المشاهد بتصوير الحلبة ، حيث يقف المصارع الشهير فى الوسط ممسكاً سلاحه ، متحفزاً للقاء المرتقب . وحول الحلبة يجلس آلاف الناس ، يصفقون للمصارع البطل ويشجعونه . ثم يدخل إلى قلب الحلبة ثور ضخم مخيف ، فتتعلق به كل العيون . ويدور المصارع حول الثور دورتين ، ثم يبدأ طعناته الأليمة فى جسد الثور ! .

وينتفخ صدر الثور ، وينظر إلى المصارع بعيون متوقدة ، ويضرب بأقدامه الأرض ، وفى لحظة خاطفة يندفع نحو المصارع ، ويكاد يطعنه طعنة قاتلة ! لكنه يتراجع إلى الخلف ، ويحبس أنفاسه الساخنة فى صدره ، متحملاً آلام الطعنات الدامية .

وفى هدوء ووقار يتجه الثور خارجاً من الحلبة ، ليرقد فى حديقة مجاورة يملأ صدره من رائحة الورود ، وينظر نظرة آسفة على هذا الجنس البشرى ، الذى

يستمتع بمشهد الدماء ، ويهاجم مخلوقاً مسالماً لم يسئ إليه من قبل ! .

ما أعجب الإنسان - الذى بالرغم من تقدمه العلمى والحضارى ، يعيش أحياناً حياة خالية من أبسط القيم الإنسانية .

إن تعاملات الناس مع بعضهم البعض ، تكشف أحياناً عن مشاعر طيبة ، لكنها أيضاً قد تكشف عن أنانية وجحود وقسوة تصل إلى حد الوحشية .

إن الذين يقدمون لنا الورود أقل كثيراً من الذين يزرعون فى طريقنا الأشواك ! .

نحن والآخرون ..

هناك قصة شهيرة ، عن رجل مسافر ، سقط فى يد عصابة من قطاع الطريق ، الذين جردوه من أمواله وثيابه ، وأوسعوه ضرباً وتجريحاً ، ثم ألقوا به فى وسط الطريق ! .

وبينما الرجل مطروحاً ، مر به كثيرون من الأقارب ، والجيران ، وعلماء الدين ، فلم يعبأ به أحد ، وإجتازوا مقابله دون أن يقدم أحدهم له المعونة اللازمة ! .

غير أن الرجل - حين أفاق - وجد نفسه راقداً فى فراش مريح ، وقد عولجت الجراح ، وتغيرت الثياب ! .

ولدهشته ، فقد عرف أن منقذه هو واحد من أعدائه المنبوذين ، الذين طالما جاهر هو بعدائه لهم ، وكثيراً ما رفض التعامل معهم ! لكن الرجل الكريم حمل الجريح ، وقاسمه أخطار الطريق ، وتحمل عنه نفقات العلاج والمبيت ، ثم إنصرف سراً قبل أن يفيق ، حتى لا يعرف شخصه ، فيحس بالجرح أو الخجل ! .

هذا النوع من التعامل الإنسانى ، يرتفع كثيراً فوق الفلسفة التى تدعو إلى مجرد محبة الصديق ، وبغض العدو ! .

فإذا كان من يسئ إلى أحبائه إنساناً شريراً ، ومن يحسن إلى من يحسن إليه إنساناً عاقلاً سوياً ، فبماذا نسمى هذا الإنسان الذى يحب أعداءه ، ويحسن إلى من يسئ إليه ويعطر أقدام الذين يدوسونه ويسحقون حقوقه ؟ .

من المؤكد أن هذا النوع من الناس لديهم قوى أخرى تملك مشاعرهم - وترفعهم فوق طاقة البشر ! .

فـى قلـب القـارة السـوداء ، عـاش أحـد زعمـاء قبائـل " الزولـو " يمـارس طقوسـه الوثنية ، وزعامته القبلية ، ويفرض على أفراد القبيلة سلطانه الدينى .

وبـالرغم من حرصـه الشديد علـى تطبيـق تعـاليم الـدين وأحكامـه ، فقد كـان جبـاراً قاسياً ، يبطش بكل من يخرج عن طاعتـه ! ويعاقـب النـاس بشراسة وقسوة ، إذ كـان قوى البنية ، شرس الطباع ، لا قلب له ولا عاطفة ! .

وفـى ليلـة صـافية ، جلست إحدى زوجاتـه ببـاب الكـوخ ، تفكـر فـى زوجهـا الغليـظ القلب ، قائلة : **كيف يكون الإنسان متديناً ، ولا يقدر دينـه هذا أن يغير قلبـه وطباعـه وتعاملاته الإنسانية ؟ أى دين زائف هذا الذى لا يغير القلب ، ويغمـر الحيـاة بالحب والعطاء والرحمة والسلام الداخلى ؟ .**

ويشاء الله أن ينير بصيرتها ، لتجد الطريق إليـه ، ويمـلأ فكرهـا البدائـى البسـيط بنور معرفته . فيغمر قلبها السلام الحقيقى ، وتمتلئ حياتها بقوة إلهيـة غـامرة ، جعلهـا تهتف للإله الحى الحقيقى ، الذى يغير طبائع البشر .

وأحس الزعيم الدينـى - الغليظ القلب بما حدث لزوجته إذ تغيرت حياتها وسلوكها ، فإغتـاظ لـذلك جداً ، وقـال لهـا : **مـاذا يستطيع إلهـك أن يفعل ، أليسـت آلهتنـا هـى الأقوى ؟ .**

وألقى الرجل فى وجه زوجته إنذاره الأول والأخير ، مهدداً بقتلها إن لـم تتخـل عن أفكارها الجديدة ! .

وفى الليلة التالية إنهال الرجل بعصاه الغليظة على رأس الزوجة ، حتى غابت عن الوعى وسط بركة من الدماء ! .

وقبل أن تموت السيدة ، سألها الرجل فـى سعادة ونشوة : **أين إلـهك القوى ، هل إستطاع أن يفعل لك شيئاً ؟ .**

أجابت السيدة : نعم - لقد فعل لى شيئاً عظيماً لا يستطيعه سواه ! فإنه يمنحنـى الآن القـوة والقدرة أن أحبـك بـالرغم مـن قسـوتك ووحشيتك ! وأستطيع الآن بقـوة الله أن أسامحك ، وإبتسم لك - دون مرارة أو غيظ - بـالرغم مـن الآلام المريـرة ! فهـل تقـدر آلهتك أنت أن تعلمك الحب ؟ .

إن معاملاتنا للآخرين ، تكشف عن جوهر حياتنا ، وحقيقة ديننا ! وهي تعكس تعاملات الله معنا ، وتعامله من خلالنا ! .

صرخة إنسانية

يارب

يسكن فى قلبى وحش جائر ،
يأكل كل ثمار الحب !
يلتهم بقلبى الإنسان !
فأرانى أكره بعض الناس ،
وأسئ لبعض الناس ،
وأغار -
حين يكون الخير وفيراً
فى أفواه الناس !
أحياناً أبدى بعض الحب ،
أم أنفق بعض المال ،
أحياناً أسعى نحو الخير ،
وأقدم شيئاً للمحتاج ،
وألوم القسوة والإهمال .
لكنى حين أعود لذاتى ،
أعرف أن القلب خواء .
أعرف أن بقلبى وحش جائر ،
فإمنحنى قوة روحك ،
كى تثمر فىّ حباً ،
ينمو فوق حطام الذات ،
يشهد فىّ عنك ،
يعلن فىّ عن قدرات الله !
يعلن عن قدرات الحب .

يارب

النزاهة ألوان : فهناك نزاهة المظهر ، ونزاهة العين ، ونزاهة الفكر ، ونزاهة التصرف ، إلخ . وجميعها مواقف إنسانية ولكن

النزاهة الحقيقية حالة إستنارة روحية

تستند إلى عمل روح الله فى تغيير قلب الإنسان !

منذ ثمانية وخمسين عاماً (أى فى عام ١٩٥١) توفى الكاتب الفرنسى الشهير " أندريه جيد " بعد أن أثرى الحياة الأدبية بكثير من كتاباته الإبداعية . ومن بين هذه الإبداعات مذكراته الشخصية التى أودعها خلاصة مشاعره ، فصارت بدورها مصدراً خصباً لدراسات أدبية أخرى ، شارك فيها الكثيرون من المحققين والناقدين والمعلقين والأدباء .

يحكى أندريه جيد فى مذكراته قصة مؤلمة - ظلت عالقة بذهنه طوال عمره . والقصة تدور حول غرق السفينة " لا بورجون " . فعندما غرقت السفينة ، قفز الأقوياء إلى قوارب النجاة التى لم تكن تتسع للجميع . وفى أحد هذه القوارب تزاحم الركاب ، حتى إمتلأ القارب ، ولم يعد يحتمل ركاباً آخرين . وعلى وجه الماء كان هناك عشرات الضحايا - أغلبهم شيوخ ضعفاء ، ونساء يحملن أطفالهن ، وصغار يواجهون الغرق ، ويلهثون وراء آخر فرصة للنجاة ، فيمدون سواعدهم الضعيفة يمسكون بحافة القارب مستنجدين بركابه ، لرفعهم ، أو إلتقاط أطفالهم . وبينما كان الغارقون يستجدون العون ، تقدم إليهم بعض الرجال الأقوياء من ركاب القارب ، وأخذوا يدفعونهم بعيداً ، ثم أخرجوا خناجرهم يمزقون بها أيدى المتشبثين بالقارب ويقطعون أصابعهم ، ويسقطونهم فى مياة المحيط ، حتى لا يعرضون القارب للخطر ! .

ولعل هذه القصة تثيرنا - نحن القراء - فنوجه اللوم لهؤلاء القساة الذين لم يرحموا رفقاء الطريق وشركاء المحنة . ولكننا فى الحقيقة لا نعلم ماذا كنا سنفعل لو أننا كنا فى موقعهم ؟ ! وهل كنا سنتصرف بنزاهة مطلقة وإيثار كامل ، فنلقى

بأنفسنا فى الماء ونمنحهم أماكننا ؟ ! وهل كان من الممكن أن نكون من النبل والشهامة حتى أننا نختار الموت الشنيع لنمنح الحياة لغيرنا ؟ ! .

الواقع أننى لا أريد الآن أن نوجه الإدانة لأنفسنا فيما لم نفعل ، لكن التفكير فى مثل هذا الموقف قد يساعدنا على إدراك حقيقة ضعفنا البشرى ، ومحدودية قدراتنا الإنسانية على العطاء والإيثار والتضحية بالذات من أجل الآخرين الذين لا نعرفهم !

ولا يعنى هذا أننا قد صرنا وحوشاً شاردة ، أو أن العالم قد أصبح غابة كبيرة ، أو أن مواقف الشهامة والنزاهة قد إنعدمت فى حياتنا اليومية .

فالإنسان لازال يحمل بعض ملامح إنسانيته ، ولابد أن هناك الكثير من المواقف النزيهة التى تحدث فى حياة البشر وعلاقاتهم ، ولكن هذه المواقف ليست سوى ومضات روحية لا تمثل طبيعة البشر .

ما هى النزاهة ؟

فى الريف المصرى - وفى الأوساط الشعبية يطلقون صفة النزاهة على الشخص الوسيم الوجيه حسن المنظر ، الذى يرتدى الثياب الغالية ، ويعتنى بهندامه (والهندمة كلمة عربية من أصل فارسى ، وتعنى العناية بالمظهر والثياب) .

ويقول العامة عن شخص ما إنه : " **نزيه فى نفسه** " . وهم يقصدون بذلك أنه عزيز النفس ، به أنفة وكبرياء ، يحرص على إجتناب المهانة ، ويمتنع عن كل ما قد يمس الكرامة . فهو يخفى حاجته ويترفع عن السعى وراء أغراضه ، ويتنازل عن أشياء مشروعة يجاهر بها غيره - إذا لمس فى المطالبة بها ما قد يمس كبرياءه من بعيد أو قريب ... إلخ ، وهى صفات فى أغلبها محمودة فى العرف الشعبى ! .

كما يوصف شخص ما بأنه " نزهى " ، ويقصد بذلك أنه يهتم بالترفيه عن نفسه وتدليل ذاته ، فهو كثير التنزه ، ميّال للتنعم .

أما المعنى اللغوى والأعمق للنزاهة فهو" التباعد " .

فالنزيه هو الذى يباعد بين نفسه والشبهات ، فيتنزة عن الرذائل - أى يبتعد عن الرذائل ، فيصبح " نزه الخُلق " . فهل يستطيع الإنسان أن يكون نزيها ، والى أى مدى تمتد نزاهته ؟ .

الإنسان والنزاهة ..

لا شك أن العلاقات البشرية مليئة بالصراعات والتنافسات والإنحرافات وتعارض المصالح ، وهى أمور معقده تترتب عليها مشاعر سلبية كثيرة تشعل الضغائن وتشكل المواقف الخشنة وردود الأفعال الجافية .

كما أن الحياة البشرية مليئة أيضاً بالمواقف الإنسانية التى تتسم بالنزاهة والخلق والإلتزام بالمبادئ والإبتعاد عن الرذائل . **لكن النزاهة طريق صعب ، فالنزاهة - مثل الإستقامة - هدف مأمول يسعى الكثيرون لتحقيقه فى حياتهم ، لكنهم يواجهون مطاليب غالية . فالسلوك النزيه مثلاً يستلزم " الحيدة التامة " ، والتنزه عن السعى وراء المصلحة الشخصية ، والإلتزام بالحق - وإن كان مضراً . وهى أشياء تتعارض مع ميولنا البشرية ومع أنانيتنا الطبيعية . وما دام الناس يتمسكون بالكذب المنجى ، ويتخلون عن الحق المضر ، فمن أين تأتى المواقف النزيهة والأحكام النزيهة ؟ .**

النزاهة والقوة الروحية

نميل نحن البشر بطبيعتنا إلى تكييف المواقف لصالح أنفسنا . وكثيراً ما يدفعنا ذلك إلى غض الطرف عن الأضرار التى قد تحدث للآخرين ثمناً لتحقيق فائدة لنا .

ومن قبيل هذا مثلاً - أن يبيع الإنسان شيئاً بأكثر مما يستحق . أو أن يقبل مركزاً - أو حتى مديحاً - ليس هو أحق الناس به ، وهو بذلك يضر بإنسان آخر كان أحق منه . وكانت النزاهة تقتضى رفض ذلك ، لكن النزاهة صعبة لا تستطيعها النفس البشرية المغرقة فى أنانيتها .

وقد يلتزم البعض بالمبادئ وبالحق ، فيقبل أن يمنح الحق لصاحبه متغاضياً عن صالحه الشخصى . ومثال لذلك أن ينال الإنسان تقديراً معيناً ، أو جائزة خاصة ، فيعلن أن فلاناً أحق بها منه . فيكون بذلك قد أتخذ موقفاً نزيهاً - وضع فيه الحق فوق المصلحة . وهو شئ نادر الحدوث ! .

غير أن البعض يتمتعون بنوع من النزاهة الفائقة التى لا يمكن أن تكون من طبائع البشر - مع أنهم بشر ! ذلك لأن هناك قوة روحية من خارج أنفسهم - تساندهم وتمنحهم طبيعة جديدة قادرة على البذل والعطاء والحب والتضحية

والتفانى . وهى قوة إلهية - لها حسابات فوق منطق البشر ولا تعتد بحسابات الأرض . أنها تمنح القوة الروحية التى تتنزه على المصالح الشخصية وترتفع فوق الرغبات الذاتية .

ولعل أفضل تطبيق لذلك هو أن نعود إلى القصة التى قرأناها فى بداية هذا المقال : قصة السفينة " لا بورجون " . و نقارن بين هذه القصة وقصة واقعية أخرى سجلها صاحبها بعنوان " مات لأجلى " . وفيها يقول أنه كان مساعد بحار فى سفينة قديمة تعرضت لعاصفة شديدة حطمتها تماماً .

وكما هو متبع فى هذه الظروف ، ظل هو ورئيسه القطبان على ظهر السفينة الغارقة حتى أنزلا جميع الركاب مستنفدين كل فرص النجاة . ويضيف البحار قائلاً : " لم يبق سوى مكان واحد على القارب الأخير الذى بدأ يتحرك مبتعداً عن السفينة التى كنت أنا والقطبان فوق سطحها ، وتصورت أن صراعاً سيدور بيننا ، فقد كان الأمر مسألة حياة أو موت . وتأكدت من ذلك حين قبض القبطان بقوة على ذراعى ، فظننته سيقتلنى لينجو هو بنفسه ، لكن القبطان كذب ظنى ، فقد إستجمع قواه الخائرة ، ودفع بى من أعلى السفينة لأسقط فى القارب المطاطى . وحين نظرت إلى أعلى رأيت على وجهه علامات الرضا . وتذكرت أن هذا الأب الطيب كان يحدثنى كثيراً عن الله ، وكان يقول لى أن الله غير حياته ! " .

ويعلق صاحب القصة : " لقد مات لأجلى ، وهذا شئ لا يفعله البشر ما لم تكن قلوبهم قد تغيرت ، وأصبحت تسكن فيها قوة سماوية غير تلك التى نسميها الأخلاق أو التدين أو المبادئ العليا أو الصلاح ! " .

إن النزاهة الحقيقية ليست وليدة الأخلاقيات الأرضية ، لكنها حالة إستنارة روحية ، تستند إلى قوة عمل روح الله فى تغيير القلب .

صرخة إنسانية

يارب

كثيراً ما إعتنيت بمظهرى ،
وحرصت أن أبدو وسيماً فى عيون الناس ،
وكثيراً ما إدعيت أننى صاحب مبادئ -

وصاحب أخلاق فاضلة .
واكتشفت أننى كاذب خادع ضعيف ،
تحكمنى أنانيتى ومصالحى .
ولقد كرهت ضعفى ،
وكرهت عبوديتى ،
وكرهت رغباتى الجامحة .
ولقد كرهت مظاهر التدين ،
وكرهت أنماط العبادة الجافة .
تقلقنى النصائح الوعظية ،
وتزعجنى الخطب الجوفاء .
أحتاج إلى قوة حقيقية ،
قوة من السماء ،
قوة تكشف لى الطريق ،
وتنير عقلى ،
وتغير قلبى ،
وتعمر حياتى ،
وتمنحنى طبيعة جديدة ،

يارب .

ثراء القلب خير من ثراء الجيب

إذا أقترن الثراء المادى ، بالفقر الروحى ، حرم الإنسان من سعادة الدنيا وسعادة الآخرة

على شاطئ البحيرة المقدسة ، وتحت الشجرة القديمة ، جلس الساحر والطبيب والعرافة وقارع الطبول ، وهم أشهر الشخصيات فى القبيلة ، يتشاورون ويتناقشون مع بقية الزعماء . وكان من الواضح على وجوههم المتجهمة أنهم يعالجون مشكلة خطيرة أو يواجهون أمراً هاماً ! .

والواقع أن هذا الإجتماع كان يعقد مرة واحدة كل سبع سنوات ، وهو إجتماع مثير يتبعه إحتفال عظيم يشترك فيه جميع أفراد القبيلة .

على مقربة من مكان الإجتماع وقف ثلاثة رجال طوال عراض عراة ، قيدت أيديهم خلف ظهورهم ، ومن حولهم مجموعة من الجنود يحملون الحراب ، ويقفون فى تحفز وترقب ، وعيونهم معلقة بجماعة الزعماء ينتظرون أوامر التنفيذ ! .

وعلى الجانب الآخر من البحيرة كانت جماهير الشعب تتابع بنظرات قلقة ما سوف يسفر عنه لقاء الزعماء ! .

فماذا كان يدور فى هذا اللقاء ؟

لقد كان القادة يحاولون حل المشكلة التى تقابلهم لأول مرة فى حياة القبيلة . ففى هذه السنة لم يتقدم أحد من أفراد الشعب لشغل الوظيفة الخالية : وظيفة الملك ! ورغم الإعلان ، لم يكن أحد يريد أن يصبح ملكاً للقبيلة ! .

فإضطر الزعماء إلى إلقاء القبض على ثلاثة من أفراد الشعب وجلسوا ليختاروا واحداً منهم ليصبح الملك الجديد ! .

وما أن إتخذت جماعة الحكماء قرارها وتم إختيار الملك ، حتى فكت قيوده ، فتقدم بخطوات حزينة نحو المنصة العالية ، وبدأت الإحتفالات ، فإنحنى أمامه جميع الزعماء ، وإرتفعت الهتافات ، وأصبح بعد ذلك الآمر الناهى ، حيث تفرض قوانين القبيلة أن يلبس أحلى الثياب ، ويأكل أفخر الطعام ، ويتزوج من يشاء من جميلات القبيلة ، ويتحلى بأغلى الجواهر ، وينفق بلا حساب ! .

ولابد لنا أن نتساءل : لماذا إذن تمنع الناس عن شغل هذه الوظيفة المرموقة ، ولماذا لم يقبلها واحد من الزعماء ؟ ربما نتصور أنهم شعب متواضع لا يحب المراكز العليا ويتهرب من مظاهر العظمة ! لكن الواقع لم يكن كذلك بالمرة . بل كان الزهد فى وظيفة الملك راجعاً إلى تقاليد القبيلة التى كانت تقضى بتعيين ملك جديد كل سبع سنوات ، وفى نهايتها يُقتل الملك .

فى إحتفال رسمى ، يعلن عن بعده الوظيفة الخالية ! .

الغريب فى هذا الأمر كله ، أنهم كانوا دائماً يجدون من يتقدم لشغل الوظيفة ! .

متطوعون للهلاك !

بالرغم مما لمسناه فى القصة السابقة من غرابة ، إلا أن الكثيرين فى أيامنا - لا زالوا يتطوعون للهلاك . إن أصحاب مذهب " أحينى اليوم وأمتنى غداً " كثيراً ما يقبلون على مساومات خاصة يبيعون فيها مصائرهم (مستقبلهم - شرفهم - ضميرهم ... إلخ) مقابل سنوات المتعة الموقوتة ! .

ويعتبر المال والثراء والسلطة والمتعة موضوعات أساسية للمساومة . فعلى هذه الأشياء يساومنا الشيطان ويستميلنا إليها ، وقد نقبل عليها متجاهلين العواقب الوخيمة ! .

الثراء الأجوف والفقر الكريم

لا يستطيع أحد أن يقول إن الفقر أفضل من الغنى، فالثراء نعمة من نعم الله ، لكننا نستطيع أن نقول إن الثراء المادى إذا لم يكن مدعوماً بثراء روحى يوجهه ويحميه ، فإنه يظل ثراءً أجوفاً ! .

- **فهو أجوف لأنه لا يمتد إلى الآخرين :**

ولعل وجود الفقراء والجائعين فى كل مكان فى العالم - رغم ثراء العالم ، دليل دامغ على أن أثرياء الأرض بصفة عامة يفتقرون إلى الثراء الروحى ، فالعطاء ثمرة القلب الثرى ، كما أن الأنانية ثمرة القلب المادى . الثراء المادى الذى لا يدعمه قلب عامر يشبه الإناء الأجوف الذى يصنع صوتاً عالياً لكنه لا يحمل خيراً ! .

- **وهو أجوف لأنه لا يحمل السعادة حتى لصاحبة :**

قال أحد أصحاب الملايين فى أيامه الأخيرة : لست أعلم تماماً فائدة كل هذه الأموال ، أنها لا تؤكل ، ولا أستطيع إنفاقها ، وليس هناك ما أريد شراءه . ولم أمسكها أبداً فى يدى ، فهى دائماً فى يد الآخرين ، وما أحمله فى يدى مجرد أوراق تحمل القضايا والهموم ، وأنا لا ألبس أفضل من سكرتيرى ولا آكل أكثر من خادمى ! .

وعلى الجانب الآخر فإن الفقر الناتج عن عفة النفس والحفاظ على المبدأ والتمسك بالقيمة والشرف ، هذا الفقر : فقر كريم ، قد يوجع البطون - لكنه يريح القلب ويرفع الرأس .

ثراء القلب ..

- إذا كان ثراء الجيب يتمثل فى الجيب الملئ بنقود العالم ، فإن ثراء القلب يتمثل فى القلب الممتلئ من روح الله .

- وإذا كان ثراء الجيب هو الطريق إلى المتعة المادية الملموسة ، فإن ثراء القلب هو الطريق إلى المتعة الروحية الخفية .

- وبينما يعلن الجيب عن ثرائه بإنتفاخه بالمال ، يعلن القلب عن ثرائه بفراغه من الهم ! .

لكن كيف يتحقق ثراء القلب ؟

يتحقق ثراء القلب حين يمتلئ بما يشبعه حقاً ويكفيه ! والناس يحاولون ملء قلوبهم من كل شئ لكن القلب لا يشبع بماديات الحياة ، لذلك تظل القلوب جائعة عطشى متلهفة فقيرة خاوية ، حتى إذا إنتفخت الجيوب والبطون ! .

إن ثـراء القلـب فـى إمتلائـه مـن روح الله ، ولكـى يمتلـئ لابـد أن يتفـرغ ولابـد أن يغتسل ! .

الثراء المادى إنفتاح على خزائن البنوك والمال ،

والثراء الروحى إنفتاح على خزائن الحب الإلهى وعطاياه الروحية .

ثراء الجيوب يتوقف عند حافة النهاية ، فالأكفان ليس لها جيوب ،

أما ثراء القلب بلمسة الله فهو ثراء إلى الأبد .

إن العالم يقدم لنا سنوات الثراء والمتعة ، ثم يقتل هذه المتعة تدريجياً تحت ضغوط الخوف والقلق إلى أن يغتصب الحياة كلها . أما الله فهو يغمر القلب ويجدد الحياة ، ويمنح السلام والضمان والأمان ـ حياة إلى الأبد .

إن الأثرياء حقاً هم الأثرياء بمعرفة الله .

صرخة إنسانية

يارب

لست غنياً ،
ولست فقيراً ،
ولست أسألك غير ما أعطيتنى .
لكن قلبى يفتقر إليك ،
وروحى جائعة إلى غناك .

لقد سرق الشيطان عمرى ،
أغرانى بسنوات المتعة ،
تربص لى خلف أبواب الحياة ،
أعد لى أكفان الموت !
يقيمنى ملكاً على الفراغ ،
يكللنى بتيجان خاوية ،
يشترى رحيق عمرى - يعصرنى !

يبيعنى فى كل يوم للعدم !

إننى أتجه اليوم إليك ،
كى تشترى روحى .
أسكب قلبى أمامك ،
أمنحك ذاتى وكيانى ،
أفرغ فى محضرك حمولة
قلب ثقيل .

فأغسل قلبى ،
واملأ قلبى ،
وأغمر قلبى .. فى
بحور مجدك وغناك ،
أجعلنى غنياً بغفرانك ،
ثرياً بمعرفتك ،

يارب .

نحتاج إلى قلوب طيبة .. بريئة .. صافية ..
تتوالد فيها مشاعر إنسانية صادقة بلا رياء !

عندما ألتقيت بجارنا الجديد لأول مرة ، لفت نظرى ما كان عليه من رقة وأدب ومجاملة ، فضلاً عن عباراته المشجعة لجميع من حوله . وتأكدت لنا مع الأيام دماثة خلقه وحسن منبته ، فقد أحب الجميع ، كما أحبه الجميع أيضاً . ولقد كان الرجل يتمتع بميزات كثيرة جعلته موضع تقدير كل من تعامل معه ، فهو يجيد الإصغاء مثلما يجيد الحديث ، فإذا أستمع أصغى وإذا تحدث أوجز . كما أنه عاقل متزن لا يسرع بالحكم فى الأمور ما لم يصل إلى قناعات قوية .

وفى يوم من الأيام أبديت له أعجابى بلباقته وحكمته وحسن إختياره للكلمات ، وحرصه على مشاعر الآخرين ، وقلت له : " لم أشاهدك غاضباً أو منفعلاً قط ، فهل هذه طبيعتك منذ نشأتك ، وهل تعامل تلاميذك بالمدرسة بهذا الأسلوب الرقيق دائماً ؟ " .

وقبل أن يجيبنى ، قلت - وكأننى ألتمس له العذر : " إن مهمة المعلم فى المدرسة صعبة للغاية ، والتلاميذ كثيراً ما يغيظون معلميهم ، وربما تضطر إلى إستعمال الشدة والعنف أحياناً ! " .

وأبتسم جارى إبتسامة يشوبها كثير من الألم وقال : " الحق إننى لم أكن كما ترانى الآن ، قد كنت فظاً غليظاً شديداً عنيفاً متهوراً ، لكننى تعلمت كثيراً من خلال تعاملاتى مع تلاميذى ! " .

وأدركت أن وراء هذه الكلمات قصة ، ربما لا يريد صاحبى أن يتحدث عنها ، لكنه أستطرد قائلاً : " كنت فيما مضى شديد الغضب ، شديد الإنفعال ، أسرع فى إتخاذ قراراتى بوحى من مشاعرى الهائجة . وظللت كذلك حتى جاء صباح أحد الأيام ، وكنت أقف فى شرفة المدرسة المطلة على الفناء أستعرض صفوف التلاميذ فى اليوم الأول من العام الدراسى . وفى لهجة حازمة طلبت من الجميع أن يرفعوا بطاقاتهم إلى أعلى باليد اليمنى ، وإرتفعت الأيدى فى إتساق وجمال . غير أن طفلاً

صغيراً أخطأ ، فرفع البطاقة باليد اليسرى، فكثيراً ما تختلط الأمور على الأطفال الصغار . ولكنى قررت أن أكون حازماً معه حتى لا يخطئ مرة أخرى . فقلت له من خلال مكبر الصوت : " أرفع يدك اليمنى أيها الغبى ! " . وإضطرب الصغير وإرتجف ، وإهتزت ذراعه فى الهواء ، لكنه لم يستجب لقولى . وإندفعت كالسهم الغاشم نحو الصغير كى ألقنه الدرس الأول فى الطاعة والأدب ، ولأجعله عبرة للآخرين . وعندما أقتربت من الطفل هالنى ما رأيته على وجهه البرئ من إضطراب وخوف ساحق ، فقد كانت ذراعه اليمنى مبتورة تماماً ! " .

رأيت الدموع فى عينى محدثى ، ومرت لحظات من الصمت ، ثم أضاف قائلاً : " وأحسست بمرارة فى حلقى لم تذهبها الأيام ، وأدركت أننى أحتاج . وأنا المعلم - أن أعرف أشياء كثيرة فى مبادئ الحياة الإنسانية . فأخذت أراقب مواقفى وكلماتى وإنفعالاتى وأحاديثى وأفكارى وعلاقاتى . وتعلمت الكثير - ومازلت أتعلم ، وكان معلمى الأول الطفل الصغير الذى جرحت مشاعره الرقيقة بكلماتى الخشنة ! " .

العلاقات الطيبة فن ..

إلى وقت قريب - لم يكن العالم يعرف من ألوان الفنون سوى فنون الصناعة والحرفة . فقد بدأ الفن تشكيلياً تطبيقياً من خلال مهارات الصناع ، وكانت الإبداعات غير التشكيلية تسمى بأسماء أخرى . ثم إتسع مفهوم الفن ليشمل أشكالاً أخرى من الإبدعات الذهنية والعلمية ، وإنضمت إلى قائمة الفنون إبداعات قديمة وحديثة - كانت تسمى قبلاً علوماً . فسمعنا عن " فن الخطابة " و " فن الشعر " و " فن القصة " و " فن الرواية " وغيرها ، كما أصبحت هناك فنون السينما والمسرح والموسيقى والغناء والرقص التعبيرى ، وإمتلات الأسواق بكتابات كثيرة عن الفن الصحفى والإذاعى والتلفزيونى وفنون الإتصال وغيرها .

ومن خلال تلك المسميات الكثيرة التى إنضمت إلى قائمة الفنون الإبداعية ،عرفنا " فنون الإعلان والتسويق " و " فن البيع والشراء " و " فنون العلاقات العامة " و " فن الحوار " ... إلخ .

وإنضمت فنون المعاملات بين الناس إلى قائمة الفنون ، ووضعت لها القواعد والمناهج والنظريات وأقيمت لها مؤسسات ومعاهد تعليمية متخصصة ، وخبراء يبيعون الإرشادات والنصائح ! وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً ، حتى أن " جون

روكفلر " أحد مشاهير رجال المال والتجارة الأمريكيين قال يوماً : " إن المقدرة على معاملة الناس - بضاعة - يمكن أن تباع وتشترى مثل السكر والبن ، وإنى على إستعداد أن أشتريها دائماً بأكثر مما يشترى أى شئ آخر ! " .

وكان إقبال الناس على تعلم فن العلاقات الطيبة سبباً فى إنشاء معاهد كثيرة لتدريس هذا الفن ، كان من أشهرها معهد العلاقات الإنسانية الذى أنشأه " ديل كارنيجى " بمدينة نيويورك لخدمة رجال المال والإقتصاد ، والذى حقق نجاحاً مبهراً . فقد أقبل عليه الناس ، وأرسلت إليه الشركات التجارية موظفيها لتلقى دروس التعامل . ومن الطرائف المعروفة عن هذا المعهد أن مؤسسه كان يدون بيده بعض المذكرات ليزود بها تلاميذه ، لكنه لاحظ اقبال الناس على إقتنائها ، فجمع هذه الملاحظات وصنفها فى صورة كتاب أسماه " كيف تؤثر فى الناس ؟ " فإذا به يبيع منه أكثر من ثلاثين مليون نسخة ! .

لا شك أن العلاقات الطيبة فن جميل .

العلاقات الطيبة ليست فناً !

بالرغم مما حققته فنون العلاقات الإنسانية من نجاح مبهر ، فإن هناك رأى آخر يرى أنه لا ينبغى أن ننظر إلى العلاقات الإنسانية بإعتبارها فناً ،فالفنون نوع من الصناعات الراقية التى تتميز بالإبداع ، والعلاقات الإنسانية الطيبة أسمى من أن تكون صنعة . وهى أكبر كثيراً من أن تكون مجرد تلميع للسلوكيات ، أو ترشيداً للأخلاقيات ، أو إبهاراً لمن نتحدث إليهم .

فالعلاقات الإنسانية ينبغى أن تعكس المضمون الإنسانى الصادق ، ببراءته وعذراويته ، دون تلوين أو تزويق أو خداع ! فلا ينبغى أن تتحول المعاملات إلى فن وتقنية نتعلم بها كيف نغلف مشاعرنا بالـ " إيتيكيت " ، مثلما يغلف الفاكهى التفاحات المعطوبة بأوراق السلوفان .

المنابع الطيبة ..

إن العلاقات الإنسانية الطيبة تتولد فى القلوب الطيبة ، فتأتى بثمرات طيبة . فالعلاقات الإنسانية الطيبة هى العلاقات الطبيعية التلقائية التى تنبع من القلب

كالثمرة الناضجة على غصنها ، وليست كالثمرة المهجنة التى تتدخل الهندسة الوراثية فى تفخيم حجمها أو فى تلوينها . العلاقات الإنسانية الطيبة هى التى تبين المشاعر الحقيقية الصادقة دون خداع أو مداهنة أو رياء ! .

العلاقات الإنسانية الطيبة لها أب شرعى واحد هو القلب الطيب ، فالأرض الطيبة التى تنتج النبتة الطيبة ، وقد تستطيع فنون العلاقات الإنسانية أن تهذب من جفوة التعاملات ، مثلما تستطيع التكنولوجيا تحلية ماء البحر ، لكن النبع الطيب هو الذى تتفجر منه المياة العذبة ، وقد تستطيع فنون العلاقات أن تيسر عقد صفقة تجارية ، ولكنها لا تروى المشاعر الإنسانية المتعطشة إلى البراءة والصدق ! .

إننا نحتاج إلى قلوب طيبة .. بريئة .. صافية .. تتوالد فيها مشاعر إنسانية صادقة بلا رياء ! نحتاج إلى قلوب يعيد الله صياغتها ! .

صرخة إنسانية

يارب

أنت وحدك نبع الصفاء الدائم ،
وأنت وحدك الينبوع الرائق الشفاف .
أما نحن فقد تلوثت حياتنا
بالخطيئة ،
وتشوهت إنسانيتنا بالأنانية
والأحقاد !

وحين قبحت صورتنا ،
تجملنا بالمكر ،
إصطنعنا المساحيق والألوان ،
واخترعنا فنون الخداع ،
وتخفينا وراء الستائر السميكة .

حين عرفنا أن النبع قد فسد ،
لم نسع إلى التطهر .

وحين علمنا أن الفكر قد إتسخ ،
لم نسع إلى الإغتسال !

يا ربنا
أنت وحدك هو النبع الصافى ،
فيك وحدك نغتسل ،
وفيك وحدك نتطهر ،
فاغفر لنا .
طهر داخلنا ، جدد ضمائرنا ،
فلم يعد مجدياً إرتداء الأقنعة !

لم تعد قلوبنا تنتج الثمر الطيب ،
فطهر قلوبنا .
لم تعد عقولنا تنتج الفكر النقى ،
فجدد أذهاننا .

أنر أمامنا السبيل ،
وأكشف لنا الطريق ،
وأعطنا حياة جديدة - نقية - خصبة ،
يتوالد فيها الثمر الطيب .

يارب .

٥٩ - مبادئ إنسانية ..

إن أعظم وسادة للنوم الهادئ المطمئن هى وسادة اليقين بأنك مقبول عند الله

عندما علم اللص بأن سكان " الفيلا " الهادئة يبيتون تلك الليلة خارج البيت ، قفز فوق سور الحديقة عند منتصف الليل ، ثم تسلل إلى داخل المبنى .

كان إقتحام البيوت ليلاً هو حرفته التى تدرب عليها منذ طفولته ، وهو يعرف كيف يفتح الأبواب الحصينة ، وكيف يحطم الخزائن الصلبة ، ويعرف بخبرته أين يحتفظ أصحاب البيوت بأشيائهم الثمينة ، كما يعرف كيف يبحث عن هذه الأشياء فى الظلام على ضوء أعواد الثقاب ! ، وبسبب هذه الخبرة الطويلة ، إستطاع اللص فى ساعة واحدة أن يفحص محتويات البيت ، وأن يلتقط الأشياء الثمينة ، وأن ينهى عمله فى وقت قياسى ! ، وحين إطمأن على نجاح مهمته ، أعد لنفسه كوباً من الشاى ، وإلتقط من الثلاجة بعض الأطعمة ، وتناول وجبة عشائه المتأخر وإستعد للرحيل .

نظر إلى ساعته ، وعلم بخبرة اللص أن خروجه فى مثل هذه الساعة وهو يحمل حقيبة كبيرة أمر يثير الشبهات ، والأفضل أن ينتظر إلى الصباح . وفكر كيف يقضى الساعات الباقية من الليل ، هل يتسلى بقراءة كتاب فى مكتبة البيت ، أم يشاهد التليفزيون ، أم يجلس فى هدوء ليستريح ؟ وساعده إحساسه بالتعب أن يفضل الراحة على القراءة والمشاهدة .

وعلى الفراش المريح فى غرفة النوم ألقى بجسده المرهق ، ولم تمض غير لحظات حتى غاب فى نوم عميق . وحين إستيقظ من نومه فى اليوم التالى ، وجد نفسه محاطاً بطوق محكم من الخدم والعمال وأصحاب البيت ! وفى ذهول شديد إستسلم لرجال الشرطة ! لقد نجح فى إتمام عمله البغيض ، لكن النوم هزمه هزيمة منكرة ! .

النوم القاتل ..

بالرغم من أن النوم وسيلة لازمة للراحة من إرهاق العمل ومن جهد النهار ، إلا

أنه يكون أحياناً قاتلاً ، وذلك عندما ينام الإنسان حيث ينبغى أن يكون مستيقظاً ! .

أذكر أننى كنت مسافراً - فى شهر من شهور الصيف - فى سيارة صغيرة لنقل الركاب ، وكان معى بالسيارة أربعة أشخاص غير السائق ، وكان الوقت ظهراً والطقس شديد الحرارة شديد الرطوبة .

وجلست فى المقعد الخلفى بين رجلين سمينين ، فما أن تحركت السيارة حتى مال كل منهما فى إتجاهى ملقياً رأسه على كتفى ثم غط فى نوم عميق . ولما فشلت محاولاتى المستمرة فى تحريكهما إستسلمت صابراً ! .

ولاحظت أن الرجل الجالس أمامى قد مال برأسه على كتف السائق ونام ، بينما إرتكز رفيقه على زجاج النافذة المجاور وأغمض عينيه ! وقلت لنفسى : الحمد لله أن السائق لم ينم بعد ، وإنصرفت أنا إلى كتاب كنت أطالعه . ولم تمض غير ساعة من الزمن حتى لاحت منى نظرة إلى المرآة الصغيرة أمام السائق ، فلاحظت أنه هو أيضاً قد نام ! .

ورغم ما أصابنى من الفزع والدهشة ، فقد إستطعت أن أوقظ السائق قبل أن يندفع بالسيارة فوق قنطرة قديمة مهجورة ! وإنتبه السائق ، وصحح مساره لكنه لم يقل كلمة إعتذار واحدة ، ولم يُبد أسفاً ، بل قال هى جرأة يحسد عليها إنه متعود أن ينام قليلاً فى أثناء القيادة ! ولعل هذا يفسر لنا لماذا يقال أن ضحايا حوادث السيارات على الطريق أكثر من ضحايا الحروب .. إنه النوم القاتل ! .

ولكن النوم فى أثناء قيادة السيارة ليس وحده النوم القاتل ، فهناك ألوان أخرى من النوم تقتل الإنسان دون أن يدرى ! ومنها :

- **نوم الضمير :**

الضمير هو الصوت الداخلى الذى ينبه الإنسان حين يُقبل على الخطأ . إنه جرس الإنذار الذى يحذره من السقوط قبل أن يسقط ، ثم ينبهه لتصحيح موقفه إذا هو أخطأ . فإذا نام ضمير الإنسان فلا يكون هناك من يحذره أو ينبهه ، فيندفع فى طريق الغواية دون ضابط يضبطه ثم يستمر فى خطئه دون حاجز يوقفه ! .

إن الضمير النائم يقتل صاحبه ! .

● نوم العقل :

أتصور أحياناً أن العقل ينام أو يغيب ! وإلا فما معنى أن يفعل إنسان متعلم أشياء مشينة لا يفعلها حتى الجهلاء ، وما معنى أن يفعل إنسان ناضج أشياء تافهة يخجل منها الصغار ، وما معنى أن ينكر عالم من العلماء وجود الله ، مع أن وجوده واضح كالشمس لأنه خالق الشمس ! ما معنى هذا كله ؟ ! إن التفسير الوحيد لذلك هو أن الإنسان يتعمد أحياناً أن ينيم ذهنه حتى لا يفكر ، وحتى لا يدرك ، أو أن الشيطان يعمى أذهان غير المؤمنين حتى لا يعلمون ولا يدركون وكأن عقولهم نائمة ! .

وإذا نام العقل ، فلا فرق بين العاقل والمجنون ، ولا بين الإنسان والجماد .. إنه نوم قاتل ! .

● نوم القلب :

المقصود بالقلب هو المشاعر والعواطف والأحاسيس ، وهى هبات إلهية وضعها الله فى النفس البشرية ، حتى تشعر وتتجاوب وتتفاعل مع عواطف الآخرين . فالإنسان صاحب القلب اليقظ يستطيع أن يقرأ الكلمات فى العيون ، ويسمع الهمسات فى السكون ، ويَّرق ويذوب ويشّع الحب والحنين من حوله ! لكن بعض الناس لهم قلوب نائمة ومشاعر غافلة وأحاسيس بليدة وعواطف ساكنة . إنهم لا يبادرون ولا يتجاوبون ولا يستقبلون ولا يستشعرون الحب .

وإذا نام القلب فلا فرق بين الإنسان والحجر .. إنه نوم قاتل ! .

● النوم الروحى :

النوم الروحى هو إغفال الجانب الروحى فى حياة الإنسان ، والإغراق فى الجوانب المادية . إنه إغلاق الأذن عن سماع صوت الله ، وعدم التجاوب مع رسائله المستمرة لنا - فى كل لحظات العمر .

- **النوم الروحى هو الغفلة عن أهم جانب فى الحياة الإنسانية .**
- **النوم الروحى هو السهو عن جوهر الذات البشرية .**
- **النوم الروحى هو عدم الإنتباه لأهم عنصر فى التكوين الآدمى .**

إن الإنسان جسد يتغذى بالطعام الأرضى ، ونفس تتغذى بالعواطف الإنسانية ، وروح تحيا بالتواصل مع الله ، والغريب أن يصحو الإنسان لمطالب الجسد مع أنه قصير الأجل ، ويستيقظ لمطالب النفس مع أنها ذائقة الموت ، لكنه يغفل عن الروح مع أنها باقية إلى الأبد .

إن النوم الروحى هو الغفلة عن إدراك معنى الحياة .

وهو الغفلة عن إدراك قيمة العمر .

وهو الغفلة عن إدراك ما بعد الموت .

وهو الغفلة عن معرفة سبيل النجاة والخلاص .

وهو الغفلة عن طريق الحياة الأبدية الخالدة !

إن النوم الروحى موت مبكر ، وقتل للحياة ، وإغلاق لباب الرجاء فى حياة خالدة سعيدة .. إنه نوم قاتل ! .

أفضل وسادة للنوم !

قد لا يستريح الإنسان وهو نائم على فراش من حرير ، بينما يسند آخر رأسه على حجر خشن وينام ملء الجفون . فليست الوسادة هى التى تمنح النوم بل راحة البال ! .

وراحة البال ليست شيئاً يُشترى بالمال ، كما أنها ليست فى متناول الجميع ، فراحة البال لا تتحقق قبل أن تتوافر لك أشياء كثيرة منها :

- **أن تسلم أمرك لله ، واثقاً فى عنايته وعدله .**
- **أن تضع همومك ومشاكلك فى يد الله واثقاً من قدرته وحبه .**
- **أن ترد الحق إلى صاحبه ، وترفع الظلم عمن ظلمت .**
- **أن تمد يد العون لمن يحتاج إلى عونك .**
- **أن تغفر لمن أساء إليك غفراناً صادقاً من القلب .**

وهذه جميعها وسائد لراحة البال والنوم الهادئ . لكن أعظم وسادة هى اليقين القلبى بأنك مقبول عند الله ، وأن أبواب السماء مفتوحة أمامك .

يارب
أغفر لى إهمالى وغفلتى ،
وسامحنى على إنشغالى عنك .
أيقظنى من نوم الضمير والذهن
والقلب ،
وامنحنى حساً واعياً وضميراً يقظاً .

أيقظنى من نومى الروحى
ومن جشعى المادى ،
وإمنحنى روحاً ناهضة مستيقظة :
تتنبه لصوتك ،
وتتواصل معك .

إمنحنى عيناً تراك وتنفتح عليك ،
وإمنحنى أذناً تسمعك وتسرع
نحوك ،
امنحنى قلباً واعياً -
يصحو من غفلته ويتوب إليك .

إن خطاياى أحجار تحت رأسى -
تؤرقنى وتؤلمنى ،
فحررنى من خطاياى
وحررنى من قلقى ، وألمى ،
وأكشف لى طريق خلاصك
وغفرانك ،
فأحيا فى الهدوء والسلام ،
وأنام فى الطمأنينة وراحة البال .

يارب .

٦٠ - مبادئ إنسانية ..

أحلى ما يقوله اللسان هو الصدق ،
وأحلى الصدق إعتراف القلب ،
وأحلى إعترافات القلب كلمات التوبة !

تقدم السائل الفقير ، ومد يده نحو الرجل الذى كان يعبر الطريق ، وطلب إليه أن يساعده ببعض المال .

وبحث الرجل الطيب فى جيوبه ، فلم يجد ما يعطيه ، فنظر إلى السائل وقال له فى أسف شديد : " يؤسفنى يا أخى إننى لا أحمل نقوداً " .

ونظر الفقير إليه بنظرة عامرة بالشكر والتقدير ، وقال : " شكراً يا سيدى ، شكراً لك ، سأظل أذكر فضلك وإحسانك " .

ودهش الرجل الطيب وقال للسائل : " لماذ تشكرنى ، وماذا قدمته لك من فضل ، ألم أعجز عن تلبية سؤلك ؟ " .

وأجاب الفقير قائلاً : .. لكنك قلت لى يا " أخى " ، وهى كلمة لم أسمعها منذ زمن بعيد ! .. إنك لم تمنحنى مالاً ، لكنك أشبعت قلبى وأسعدتنى ! .

كم من الكلمات الحلوة ، أفضل كثيراً من المال ؟ ! وكم من الكلمات الحلوة تشبع القلوب الجائعة للعطف والحب والحنان ؟ ! وما أكثر العطاشى للحب فى زمن الجفاف والكلمات المرة الجارحة ! .

بحر الكلمات والحروف

يمتلك بنو البشر رصيداً ضخماً من الكلمات التى تملأ معاجم اللغة . وتتميز هذه الثروة الضخمة بأن أصحابها لا يودعونها البنوك - كما فى سوق المال - لكنهم يستخدمونها ويستثمرونها فى حرية كاملة .

وكما ينفق البشر أموالهم فى حكمة ووعى أحياناً ، وينفقونها فى حماقة وجهل

أحياناً أخرى ، فإنهم يفعلون ذلك بالكلمات أيضاً .

فالبعض يصوغ من الكلمات قلائد الجمال وقصائد الحب ، يسعد بها القلوب .
والبعض يصنع من الكلمات قذائف التجريح وأشواك الأذى ، يوخز بها النفوس ! .

والكلمات مرآة النفس ، فإذا خرجت بلا تجميل ، فإنها تعكس طبائع الناس ، وتظهر مكنون القلب . لكن أغلب الناس يتجملون ، ويحتجزون الكلمات الصريحة الخشنة ، ويطلقون العبارات " المذوقة " اللامعة .

والواقع أننا كثيراً ما نتوة فى سوق الحروف ، ونغرق فى بحر الكلمات ! .

- فالكلمات الطيبة ، مهزومة فى داخلنا ، غارقة فى أعماقنا .
- والكلمات الخشنة تطفو فوق السطح ، وتبادر باقتحام الشفاه ! .
- وكثيراً ما ننتقى الخشن والجارح والقبيح ، ونترك الرقيق والناعم والمريح ! .
- كلماتنا الرقيقة تبقى عاطلة فى أجوافنا ، وكلماتنا الجارحة تزاحم وتنطلق! .
- الكلمات الخشنة هى مثل الطيور الجارحة ، بهيمية الخلق ، لا تعرف الذوق والكياسة . وهى لذلك تقتحم الألسنة والحناجر ، دون دعوة أو سماح ! فلا تضبطها الشفاه ، ولا تحكمها إشارات العقل والضمير ! .
- أما الكلمات الحكيمة الرقيقة ، فهى كالنبيلات ، كسيدات القصور ، لا تقتحم ولا تزاحم ! .
- الكلمات المهذبة خجولة متوارية ، تظل ساكنة غائبة فى جنبات النفس ، أما الكلمات الغاضبة الجامحة فلا تقيدها سلاسل الجحيم .
- والكلمة الحلوة تسرى كالأحلام ، وتنساب كالنسيم وتلمع كالندى .

فما كل هذا الضجيج الذى تحمله الكلمات من حولنا ؟

وما كل هذه الطلقات الخشنة التى تطلقها الألسنة ؟

ولماذا تطغى مرارة الحروف على حلاوة السنين ؟

ربما تكون الإجابة هى الإحتياج الشديد لتطهير القلوب . فالقلب هو الينبوع : إذا

صلح ، كان ماؤه شفاءً . وإذا فسد كان ماؤه سماً . أما الألسنة فهى حبال البئر التى تخرج ما فيه من شفاء أو سم ! .

أحلى ما يقوله اللسان

لكن أحلى ما يقوله اللسان هو كلام الصدق ، وأحلى الصدق هو إعتراف القلب ، وأحلى إعترافات القلب هى كلمات التوبة .

وحلاوة الكلام هنا ، تتمثل فى صدقه وبساطته وتلقائيته المتناهية ، فالتائب الحقيقى لا يرتب الكلمات ، ولا ينتقى ألفاظاً منمقة يضعها على لسانه ، بل تتفجر من أعماقة أنات حارة ، ينطق بها القلب ، فترددها الشفاه الراعشة ، خليطاً من الإعتراف بالذنب ، والإيمان برحمة الله وحبه وعدله ، وعزماً على الخضوع والتسليم بين يدى الله .

والتائب الحقيقى ، قد لا يذكر ما نطق به لسانه لحظة التوبة ، فقد تتعثر الكلمات فوق الشفاه ، لكن السماء تترجمها إلى تنهدات مقبولة ، لأن جوهرها هو الصدق ، والصدق لغة السماء .

إن جميع الكلمات التى ننطق بها فى حياتنا تعود إلينا بكلمات أخرى ، بعضها ردود طيبة وبعضها ردود جارحة ، بعضها مُريح وبعضها مُؤلم . غير أن كلمات التوبة التى ترتفع إلى السماء ، تعود إلينا بأفضل الإجابات ، إذ يبعث الله لقلب التائب الراحة والسلام وطمأنينة النفس .

لذلك فإن السماء تصمت ، لتستمع إلى كلمات التائب ، فكلمات التائب أعذب عند الله من أصوات الملائكة ! لأنها تحمل فى أعماقها خضوعاً بعد عصيان ، وعودة بعد ضلال ، وإستقراراً بعد شرود ، وحياة بعد موت ، ودخولاً إلى حياة جديدة تمتد للأبد .

صرخة إنسانية

يارب

أحمدك من أجل الكلام ،

فقد شاءت إرادتك الصالحة -

أن تخلقنى إنساناً ناطقاً -
دون جميع خلائقك .
أعطيتنى لساناً معبراً -
يعكس أحاسيسى ومشاعرى
واحتياجى .
ومنحتنى فيضاً من الكلمات
الحروف ،
تتجسم فيها خواطرى .

ملايين الكلمات ،
إنطلقت من بين شفتى ،
فضاعت فى هواء الكون .
وعاد الصدى يحمل الخيبة
والعبث .

وملايين الكلمات ،
إقتحمت أذنى على مر السنين ،
فأثمر بعضها معرفة وفهماً ،
وأثمر بعضها ضجيجاً وصخباً ،
وأثمر بعضها ذنوباً وخطايا !
ما أكثر كلماتى التى ماتت بلا
حصاد ،
إلا حصاد الكذب والرياء !
فقد إعتلت كلماتى الكاذبة لسانى ،
وشفتىّ .
حتى فى حديثى إليك ،
وأنت العارف بباطن القلب !
فكثيراً ما نطقت بالصلاح ،
بينما الباطل يسكن فى ضميرى !

وكثيراً ما نطقت با لحمد
والتسبيح ،
بينما العصيان يملأ القلب
والإرادة !
وكثيراً ما ردّدت الأدعية المحفوظة ،
وأقمت الفرائض المرسومة ،
وأعلنت ولائى لك بأعذب الكلمات ،
بينما الشهوة تحرق قلبى
وتستعبدنى !
لذلك أجئ إليك اليوم ،
معترفاً ..
تائباً ..
أتضرع إليك بكلمات لا تنطقها
الشفاه ،
كلمات بلا هجاء وبلا حروف .
تنهيدة قلب ثقيل -
أثقلته الذنوب والخطايا .
فاقبل توبتى ،
وحررنى من قيود خطيئتى ،
أنقذنى من رياء الشفتين ،
وأكاذيب الكلمات الجوفاء .
أنقذنى من أصوات الضلال الخانقة ،
واسمعنى كلمات الحياة .
ضع على لسانى الصلاة الصادقة
المقبولة ،
وضع فى قلبى يقين رضاك .
يارب .

فهرس الكتاب

مبادئ إنسانية عن

الحب .. والزواج .. والأبناء .. والأسرة

١ - **مبادئ إنسانية** ....

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء .

" **جوهر الحب** " .

٢- **مبادئ إنسانية** ....

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء .

" **مواقف الحب العاطل** " .

٣- **مبادئ إنسانية** ....

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء .

" **الحب الصاعد إلى أعلى** " .

٤ - **مبادئ إنسانية** ....

إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا صرنا ملائكة وصيّرنا الأرض سماء .

" **نماذج من الحب** " .

٥- **مبادئ إنسانية** ....

نحن نحب أنفسنا ، ولكن من الحب ما قتل !

إن أحببت نفسك ، فأسرع لإنقاذها من نفسك ! .

٦- **مبادئ إنسانية** ....

عندما يغدر بنا الأصدقاء ، تبقى السماء ملجأنا ، الحب الصادق ..

" **ينابيع الحنان الفائضة !** " .

٧- **مبادئ إنسانية** ....

هناك طريق مضمون لإكتساب الحب .. إنه منح الحب !

" **الإغتسال فى نهر الحب الإلهى** " .

٨- **مبادئ إنسانية** ....

بالحب وحده يهدأ بركان الغضب .

٩- مبادئ إنسانية ....

لا تعطِ أجازة لقلبك ، بل دعه ينبض بالحب وبالشوق لله .. ! .

١٠- مبادئ إنسانية ....

الله هو الحب المطلق ، ووجوده فينا هو الذى يضمن وجودنا .

١١- مبادئ إنسانية ....

ما أعظم محبة الله التى لا تفرق أو تميز ،
وما أعظم رحمته التى تتسع لكل القادمين ! .

١٢- مبادئ إنسانية ....

إن أيام الخطبة صورة مصغرة لأيام العمر
كلاهما إستعداد لنعيم وهناء ، أو جحيم وشقاء .

١٣- مبادئ إنسانية ....

العلاقة بين الجنسين يمكن أن تكون علاقة حية تعكس الثقة والإحترام .
" سلام القلب " .

١٤- مبادئ إنسانية ....

ما يُبنى بالخداع ، مصيره الضياع .

١٥- مبادئ إنسانية ....

ليس المهم أن تختار شريك حياتك الموافق ،
بل أن تكون أنت شريكاً موافقاً أيضاً ! . **" يتعذب بلا حدود " .**

١٦- مبادئ إنسانية ....

إذا أردت السفر فأدع الله مرة ، وإذا ذهبت لحرب فأدع الله مرتين ،
فإذا أردت الزواج فأدع الله ثلاث مرات ! .

١٧- مبادئ إنسانية ....

قد تشترك العين والقلب والإرادة والعقل فى صنع الإرتباط الخادع الذى
يجلب الشقاء ! . **" الإرتباط بالله يضع الأساس المتين للتوافق المريح " .**

١٨- مبادئ إنسانية ....

إن بيتاً يبنيه الله ، يثبت مدى الحياة .

١٩- مبادئ إنسانية ....

قد يستطيع كل إنسان أن يتزوج ، لكن البيوت السعيدة يبنيها الله ! .

٢٠- مبادئ إنسانية ....

من يبنى لنفسه بيتاً بلا أساسات قوية ينهار فوق رأسه ! .
" الزواج الذى يقوم على الخداع ينتهى إلى الضياع ! " .

٢١- مبادئ إنسانية ....

السعادة فى البيت تأتى بفضل القلوب الدافئة وليس بفضل الرؤوس العاقلة .
" بيوت يسكنها الحب " .

٢٢- مبادئ إنسانية ....

السعادة فى البيت تأتى بفضل القلوب الدافئة وليس بفضل الرؤوس العاقلة .
" عندما يدخل الله بيوتنا " .

٢٣- مبادئ إنسانية ....

وإذا لم نطع آباءنا الذين نراهم ، فكيف نطيع الله الذى لا نراه ولا نسمعه ؟ .
" رضا الوالدين من رضا الرب " .

٢٤- مبادئ إنسانية ....

تربية الأبناء مثل تنسيق الزهور تحتاج إلى ذوق وحب وإحساس مرهف .
" أعرف أن زهورى تذبل ! " .

٢٥- مبادئ إنسانية ....

تربية الأبناء مثل تنسيق الزهور تحتاج إلى ذوق وحب وإحساس مرهف .
" نحن نقتل أبناءنا " .

٢٦- مبادئ إنسانية ....

أجعل الله فى فكرك .. فى عمق ذاكرتك .. فى قلبك .. فى شبابك ..
فى حاضرك .. فى مستقبلك . **" أذكر خالقك فى أيام شبابك " .**

٢٧- مبادئ إنسانية ....

أكرم أباك وأمك فيكون لك خير . **" الأم " .**

٢٨- مبادئ إنسانية ....

أكرم أباك وأمك فيكون لك خير . **" الأب " .**

٢٩- مبادئ إنسانية ....

إن صوت الأجيال السابقة لازال صداه يملأ أرجاء الكون .

" أفكار بناءة عن أحبائنا جيل الرؤوس البيضاء " .

٣٠- مبادئ إنسانية ....

أحبب جارك كنفسك .. مبادئ حسن الجوار .

٣١- مبادئ إنسانية ....

الناس بالناس والكل بالله ! .

٣٢- مبادئ إنسانية ....

كما نبدأ من البيت طريقنا إلى العالم الواسع ،

كذلك نبدأ من أرضنا هذه الإستعداد للوطن الأخير ! .

مبادئ إنسانية عن

الجمال .. والنجاح .. والسعادة .. والسلام .. والأمل

٣٣- مبادئ إنسانية ....

الجمال هو الطابع الذى يضعه الله على وجوه عارفيه .

٣٤- مبادئ إنسانية ....

لو لم تكن روحى قد صيغت على غرار الخالق ، لقنعت بالجمال الخارجى الذى يبهر الأبصار . **" العين التى تكشف حقيقتنا وتستر عيوبنا " .**

٣٥- مبادئ إنسانية ....

إن جمالاً بلا فضيلة ، كزهرة بلا رائحة ، لا تصنع ربيعاً ، ولا تعط عطراً ! .

٣٦- مبادئ إنسانية ....

إن السماء تعزف لنا سيمفونية راقية للحب والجمال .

أما الأصوات الخشنة فتنبعث من داخلنا ! .

٣٧- مبادئ إنسانية ....

ربما ينجح الإنسان فى أن يجمل مظهره الخارجى ، لكن الداخل يغيره الله .

" الجمال الداخلى ليس هو جمال أخلاقياتنا البشرية ، بل هو جمال الله فينا ! " .

٣٨- مبادئ إنسانية ....

عقول تبتكر الخير ، وعقول تبتكر الشر ،
وعقول تشوه الجمال ، وعقول تصنع الأصنام ! .

٣٩- مبادئ إنسانية ....

أجمل وأنجح صيغة نقترحها للعولمة : **" عالم واحد تحت رعاية رب واحد " ! .**

٤٠- مبادئ إنسانية ....

هل تريد نجاحاً حقيقياً دائماً للأبد ؟ أطلب القوة الإلهية التى تجدد القلب ! .

٤١- مبادئ إنسانية ....

قد ينجح الإنسان فى التعامل مع أغلب الشخصيات الصعبة ، ثم يتعثر فى تعامله مع الذات . **" أصعب الشخصيات التى تواجهك هى أنت ـ فاعرف نفسك ! " .**

٤٢- مبادئ إنسانية ....

ليس نجاحاً هذا الذى لا يربط الإنسان بالسماء .

٤٣- مبادئ إنسانية ....

إن أعظم نجاح فى حياتنا هو : النجاح الذى ينقلنا إلى دائرة رضا الله ! .

٤٤- مبادئ إنسانية ....

السعادة تنبع من القلب المطمئن الذى وجد سلامه فى الله .

٤٥- مبادئ إنسانية ....

السعادة لا تُصنع ، لكنها تفيض من الداخل متى كان القلب مليئاً بها !

٤٦- مبادئ إنسانية ....

هناك أفراح بسيطة المظهر تغمرها السعادة ،
وأفراح تبدو غارقة فى الأضواء وهى محفوفة بالأشواك .

٤٧- مبادئ إنسانية ....

ليس كل من ضحك سعيداً ! وليس شقياً كل من بكى !

٤٨- مبادئ إنسانية ....

ولا تكتمل السعادة فى حياتنا قبل أن تلتقى إرادتنا مع إرادة الله لنا .

٤٩- مبادئ إنسانية ....

إذا نلت منك الودّ يا غاية المنى . فكل الذى فوق التراب ترابُ .
" ما عدا السعادة " .

٥٠- **مبادئ إنسانية** ....
السلام الحقيقى : وجود إلهى عميق يولد فى داخل القلب ، ويدوم للأبد ! .

٥١- **مبادئ إنسانية** ....
طوبى لصانعى السلام .

٥٢- **مبادئ إنسانية** ....
إن متعة الحياة تقوم على سلام الحاضر ، وضمان المستقبل .

٥٣- **مبادئ إنسانية** ....
ما أتعس الإنسان الذى يعيش بلا أمل ، لكن الأتعس منه ، من يموت بلا رجاء ! .

٥٤- **مبادئ إنسانية** ....
النقد الذاتى : هو الخطوة الأولى لخلاص النفس ، وتحرير القلب .

٥٥- **مبادئ إنسانية** ....
إن معاملاتنا مع الآخرين تكشف جوهر إيماننا
وتعكس تعامل الله معنا ، وتعامله من خلالنا .

٥٦- **مبادئ إنسانية** ....
النزاهة ألوان : فهناك نزاهة المظهر ، ونزاهة العين ، ونزاهة الفكر ،
ونزاهة التصرف ، إلخ . وجميعها مواقف إنسانية ولكن . **" النزاهة الحقيقية**
حالة إستنارة روحية تستند إلى عمل روح الله فى تغير قلب الإنسان ! " .

٥٧- **مبادئ إنسانية** ....
ثراء القلب خير من ثراء الجيب . **" إذا أقترن الثراء المادى ،**
بالفقر الروحى ، حرم الإنسان من سعادة الدنيا و سعادة الآخرة " .

٥٨- **مبادئ إنسانية** ....
نحتاج إلى قلوب طيبة .. بريئة .. صافية .. تتوالد فيها مشاعر إنسانية صادقة بلا رياء ! .

٥٩- **مبادئ إنسانية** ....
إن أعظم وسادة للنوم الهادئ المطمئن هى وسادة اليقين بأنك مقبول عند الله .

٦٠- **مبادئ إنسانية** ....
أحلى ما يقوله اللسان هو الصدق وأحلى الصدق إعتراف القلب ،
وأحلى إعترافات القلب كلمات التوبة ! .

المجموعة الكاملة لمقالات

" مبادئ إنسانية "

للكاتب الكبير والشاعر والأديب المعاصر " نعيم عاطف " .

والتى نشرت بمجلة " هو وهى " - تم صدورها فى خمسة أجزاء :

١. الحب .. والزواج .. والأبناء .. والأسرة ..

(والجمال .. والنجاح .. والسعادة .. والسلام .. والأمل ..)

٢. طبائعنا البشرية .. وأشكالها .

٣. الله : الحب والخير والدواء .

٤. أجمل الصور الإيجابية .. وأقبح الصور السلبية فى حياتنا .

٥. خريف الحياة .. وربيعها .

****

تحت الطبع

" للكاتب الكبير نعيم عاطف "

فى كتاب واحد

- فصول مجهولة من تاريخ البشر .
- محاورات " هو وهى " :

- بسم الله نبدأ ، وعن الله يحلو الحديث ..
- وعن آمالنا والآمنا نتحدث ..
- وبالحب نختتم الحوار ..

إصدارات

سمير سوانى

١. كيف تهزم ذاتك .. وتصير متواضعاً .

٢. كيف تهزم .. ؟ ذوقاً صالحاً علمنى .

٣. ٣٥ كتاب × كتاب .

٤. عظات لا تقرأ ! . (جزء ١) .

٥. خلاصات وخبرات فى الحياة . (جزء ١) .

٦. من جعبة هؤلاء . (جزء ١) .

٧. ألغاز وأحجية كتابية . (جزء ١) .

٨. ألغاز وأحجية كتابية . (جزء ٢) .

٩. قصاقيص ورق . (جزء ١) .

١٠. قطرات الندى . (جزء ١) .

١١. يا رب .. (جزء ١) .

✿✿

قريباً ..

- قالوا عن .. الله .
- شخصيات لا تنسى .
- الموسوعة العلمية للمعلومات العامة .
- أهلاً بك فى .. سياحة حول العالـم .

مبادئ انسانية عن

الحب . . والزواج . . والأبناء . . والأسرة . .

والجمال . . والنجاح . . والسعادة . . والسلام . . والأمل . .

عزيزى القارئ . . . ستقرأ عن هذه الموضوعات، وموضوعات أخرى، فى هذا الكتاب الذى بين يديك . كُتبت بقلم الكاتب والشاعر والأديب "نعيم عاطف" والتى نشرت بمجلة "هو وهى" . . . منها :

- إذا إمتلك الحب الصادق قلوبنا . . صرنا ملائكة وصيرنا الارض سماء .

- هناك طريق مضمون لإكتساب الحب . . إنه منح الحب .

- إن أيام الخطبة صورة مصغرة لأيام العمر كلاهما إستعداد لنعيم وهنا، أو جحيم وشقاء .

- العلاقة بين الجنسين يمكن أن تكون علاقة حية تعكس الثقة والإحترام . . وسلام القلب .

- ما يبنى بالخداع . . مصيره الضياع .

- ليس المهم أن تختار شريك الحياة الموافق، بل أن تكون أنت شريكاً موافقاً أيضاً .

- تربية الأبناء مثل تنسيق الزهور تحتاج الى ذوق وحب واحساس مرهف .

- الجمال هو الطابع الذى يضعه الله على وجود عارفيه .

- ليس نجاحاً هذا الذى لا يربط الإنسان بالله .

- السعادة لا تصنع، لكنها تفيض من الداخل - متى كان القلب مليئاً بها .

- ليس كل من ضحك سعيداً، وليس شقياً كل من بكى .

- إن متعة الحياة تقوم على سلام الحاضر، وضمان المستقبل .

- ما أتعس الإنسان الذى يعيش بلا أمل، لكن الأتعس منه، من يموت بلا رجاء .

